

الموسكو



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

في هذا العدد:

- ☐ رد الاستدلال برواية الوصية على دعوى المهدوية - الشيخ أبو محمد القره غوثي.
- ☐ تحسين الأنام من دعاوى الاتصال بالإمام - الشيخ جاسم الوائلي.
- ☐ عنصر الخفاء في القضية المهدوية - الشيخ حسين الأسدي.
- ☐ الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة) - المرحوم الشيخ عامر الجابري.
- ☐ دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية - الشيخ مشتاق الساعدي.
- ☐ سلمان الحمدي - وارتباطه بالعقيدة المهدوية - الشيخ د. علي الفياض.
- ☐ الدعاة المهدي وأثره في بناء الفكر والعقيدة - الشيخ حميد الوائلي.
- ☐ ضرورة وجود المعصوم - الشيخ إسكندر الجعفري.
- ☐ انتظار الفرج وأثره في الحد من الآفات الاجتماعية - محمد باقر آخوندي.



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام:

السيد محمد القبانجي

رئيس التحرير:

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير:

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

هيئة التحرير

الشيخ محمد رضا الساعدي

العلاقات العامة

الشيخ علاء الساعدي

تقويم النص:

الشيخ ياسر الصالحي

التنضيد الالكتروني:

حسن محمد الطريفي

الترجمة

الدكتور السيد مجتبى الحلو

التصميم والاخراج الفني:

حيدر محمد الطريفي

عدد النسخ:

٥٠٠ نسخة

الناشر:

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للمجلة

الهيئة الاستشارية

السيد محمد علي الحلو

السيد أحمد الاشكوري

الشيخ نزار آل سنبل

السيد ضياء الخباز

الشيخ علي آل محسن





مجلة علمية تخصصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

قواعد النشر في مجلة الموعود

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الرصينة المختصة بعقيدة الموعود.
٢. الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A٤).
٣. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين وجهة العمل والعنوان ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وجد.
٤. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تُنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
٥. أن تُرفق نسخة من السيرة العلمية، إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
٦. أن لا يكون البحث قد نُشر سابقاً.
٧. لا تُعبر الأفكار المنشورة في المجلة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.
٨. يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
٩. تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تُنشر.
١٠. يُمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.
١١. تُرسل البحوث للمجلة، أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:
العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف:

٠٠٩٦٤٧٧١٩٤٨٢٢٢٩ / ٠٠٩٦٤٧٨١٠٣٨٤٠٨

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

التمهيد الأربعيني

رئيس التحرير

تُمثِّل بعض القضايا في المجتمعات البشرية الركائز الأساسية للتراث الشعبي، وتتوارث الأجيال قرناً بعد آخر هذا التراث، وتُضحي ببقائه حتّى لو لزم بذل النفس من أجله. ويُعدُّ التراث المتنوع لشعب ما مصدراً من مصادر المعرفة، ورافداً للفكر والإبداع والارتقاء المعرفي والأخلاقي في الأمة. إنّ هذا الأمر يتكوّن بمعزل عن كون هذا التراث قد تشكّل عن عادات وتقاليد، أو كان مستلّاً من نظام معرفي أو عقدي. ومن جاذبة هذا الموروث يستلهم الأدباء والشعراء، بل والمفكّرون والفلاسفة مبادئ تنطلق بهم لتشكيل هويّة مجتمعهم. ويتمتّع الكثير من التراث لدى الشعوب في زماننا بحماية قانونية دولية خشية تعرضه للتلاشي والاندثار، فتنصّ القوانين الدولية على ضرورة المحافظة على التراث وتطويره وتنميته، وأنّ هذه المسؤولية تقع على عاتق الأفراد والجماعات، حيث جاء ذلك في إطار اجتماع المؤتمر



العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة عام (١٩٧٢م)،
وانبثقت من ذلك لجنة التراث العالمي التي مهمتها حماية التراث
للشعوب والدول.

والجدير بالذكر أنَّ هذه القوانين هي لحماية التراث، وليس لها
علاقة بآلية تكوّن ذلك التراث وأسباب حصوله.
نعم يحلو للبعض أن يرمي جملة من الظواهر التراثية ذات العمق
المتأصل بالخرافة والبدعية... وهذا شيء آخر.

من الزاوية الدينية لا يختلف الأمر كثيراً، إذ الكثير من الموروثات
التراثية هي في الحقيقة ممارسات دينية ابتعدت عن ثوبها الديني،
ولبست ثوباً شعبياً، ومع تطاول الزمن لم تعد تُنسب للدين، وصار
شاخصها البارز هو تراثيتها وما تُمثّله من عمق في الموروث الشعبي.
وفي الحقيقة أنَّ جملة من الطقوس إنّما تُقام على أساس ما تتمتع
به من قيمة معنوية ورمزية، وغالباً ما تكون تلك الطقوس أفعالاً
تأخذ منحى الضبط والتنظيم، وتكون نابعة - نحواً ما - من عمق
استدلالي مرتبط بجهات عليا تُمثّل للأفراد عنصر القداسة والارتباط.
نعم قد يبدو في بعض الأحيان بعض من تلك الطقوس أنّها لا
تتمتع بقدر من الحكمة، أو أنّ فيها عدم انسجام أو منفّرية.

ويمكن لنا بنظرة أولية أن نصنّف الطقوس والموروث الاجتماعي إلى
طقوس اجتماعية ودينية وروحية وعلمية وسياسية، بل وحتى رياضية

وذهنية.

ومن زاوية أخرى يمكن تصنيفها إلى طقوس غريبة وعادية ومألوفة، أو لها أساس أو ليس لها كذلك، وطقوس قديمة وحديثة. وهكذا ومن بين تلك الطقوس طقس العبور - في اليابان -، والذي لزال يُمارَس إلى الآن حيث يمارسه الآلاف ويُعبّر عن عبور أفراد إلى سنّ البلوغ، أو عن انعزالهم بعد وصولهم لسنّ معيّن. وكذلك طقس الحفل الثلجي لمدينة سابوروا اليابانية الذي يستمرّ لمدة سبعة أيّام ويحضره الآلاف.

وهكذا العشرات، بل المئات من الطقوس والمهرجانات التي يحضرها الآلاف، والتي تُقام في مختلف البلدان والشعوب لمهرجان دفيش (كوينا) التركي، والذي يُعدّ مهرجاناً دينياً يحضره الآلاف، كذا مهرجان الأرز الإندونيسي، ودي والي الهندي، والطماطم الإسباني، كذلك دريو البرازيلي، وكمريوز الأمريكي، والمصايح التايلندي، والخريف الكوري، والعيش مع الأموات الإندونيسي، وهكذا لا يخلو شعب من الشعوب من مهرجان وطقس، بل العشرات، يحضره الآلاف، يُعبّر فيه الناس عن انتماء اجتماعي أو اقتصادي أو ديني، وهكذا. من هذا المنطق فإنّ إحياء السنن والطقوس سواء ما كان منها دينياً أو ثقافياً هو سُنّة عقلائية يمارسونها بدافع تخلّيدها والاستفادة منها للأجيال اللاحقة، واستحضار القيم التي تحملها لأجل تجسيدها.



أمّا في المجتمعات الإسلاميّة بشكل خاصّ، فإنّ المنظومة التشريعية قد وظّفت هذه الموروثات في سبيل المحافظة على المجتمعات، وأثرتها أيّما إثراء، بل أدخلت بعضاً منها في إطار المنظومة الدينية وجعلتها جزءاً من التراث الديني، ومن بين تلك الموروثات المقدّسة التي تنامت بشكل كبير ولافتٍ هي المسيرة الأربعينية لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام، والتي أضحت اليوم بفضل الجهود الجبّارة من قِبَل جميع الجهات الراعية لها، المسيرة المليونية الأولى عالمياً، من حيث العدد والمساحة والتعبئة والتنظيم والبذل والأمان، وتحصيل سُبل الكمال والتطوّر الذاتي والروحي.

إنّ النصوص الشرعية المقدّسة تنصّ على أنّ السائر في هذا الدرب يصل إلى محطة يكون فيها قديساً: فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «ان الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من اهله باول خطوة مغفرة لذنوبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى ياتيه...» وإنّ من أتاه «وكلّ الله به ملكين يكتبان ما يخرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرٍّ»^(١).

وهذه المحطة لا تحصل متكاملة ما لم ينظم إليها حضور وليّ الأمر عليه السلام الذي به قبول الأعمال وسرّ صعودها...

إنّ هذه المسيرة المليونية تُمثّل في الحقيقة عقد بيعة مع الإمام المهدي عليه السلام من خلال طريق: يا حسين عليه السلام.

إنَّ هذه الحشود الجبَّارة هي النواة الأولى لدولة الإمام عليه السلام.
إنَّ بحيرة كربلاء التي تصبُّ فيها هذه الروافد البشرية كفيلة بأن
تُغيِّر مسار التاريخ وتفتح نافذة الظهور المبارك.
إنَّ المنظَّم الحقيقي لهذه المسيرة المباركة هو الإمام عليه السلام، فهو راعيها
وحاميها والمدافع عنها، وهي رصيده الذي لا ينضب.
فينبغي أن تُرسم في هذه الجغرافية الخاصَّة لوحة فريدة لم يسبق
للعالم أن رأى جمالها وجلالها وسحرها وألقها، إنَّها لوحة (التمهيد
الأربعيني).

* * *

الهوامش:

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٥٢ و ٢٥٥ / ح (٢-٣٨٣) وح (٦/٣٨٣).





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

ردُّ الاستدلال برواية الوصية على دعوى المهدوية

الشيخ أبو محمد القره غولي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله خالق الخلق أجمعين، والصلاة والسلام على خير الأنام نبي الإسلام محمد وآله السادة العظام. وبعد.. فقد خلق الله الإنسان ونفسه مجبولة على طلب الأشياء والقدرة على تسخيرها والانتفاع منها، فآدم أبو البشر عليه السلام حين دله إبليس على شجرة الخلد وملك لا يُبلى تناول منها، مع أن الله تعالى قد عهد إليه أن لا يقرب منها، ومخالفة ذلك العهد غير ممكنة له إذا لم يجد من نفسه منازعة لما وعدهم به إبليس اللعين وميلاً كبيراً نحوه، والحكمة في خلقه الإنسان مجبولاً على ذلك أنه سيكون سبباً للعمران والارتقاء والسعي للاستكشاف، والشارع المقدس لم يمنع من ذلك وإنما أراد تشذيبه، فوضع له مجموعة محددات عامة لئلا يجعل البشر منشغلاً بمقتضيات ذلك عن الغاية الأصلية لخلقه، ولئلا يتوجّه بنو النوع إلى الإجحاف بحق الآخرين وإيقاع الظلم عليهم، فيكون سلوك الطريق الذي لا شائبة فيه مرتبطاً باختيار الإنسان وفق ما اقتضته حكمة الله البالغة في خلقه.

وتوالت الأجيال ترث بعضها ليشرى النوع الإنساني فكراً في جانب النظر، ويتمكّن من قدرة عالية على تحديد قواعد السلوك العملي. لكن النوازع الجبلية





في خلقته باقية على حالها، لأنها مقتضى إنسانيته، وعناصر التكوين في النوع معلولة لله تعالى لا دخالة لنا فيها في الإطار العام.

ولكن هذه النزعات الجبلية التي يمكن أن تصبح عناصر فاعلة في ارتقاء الفرد والمجتمع لم يستثمرها أكثر أبناء النوع.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠).

فوجهت دفعة مركب المسير الحياتي لأكثر الناس نحو ما يرون فيه مصالح ومرادات للنفوس، وحاولوا استثمار كل ما من شأنه أن يوصلهم إلى ما يريدون، بالاحتيال مرة، وبالاقتراء والدجل أخرى، وبالقهرة والقوة الثالثة، وبالمداورة رابعة، وبالمقايضة خامسة، وكل شيء عند نسبة كبيرة من أبناء النوع قابل للمقايضة. والإسلام لم يمنع من ذلك، لكنه أرشد إلى الصفقات الرابحة وحذر من الخاسرة، فقيل أن يُعبر بالبيع والشراء في التعاطي معه وهو ربُّ الأرباب وخالق الناس من تراب، فقال عز من قائل: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: ١٠ و ١١).

وعبر عن فعله بالشراء: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١).

وغير ذلك.

ووفقاً لذلك تكرر في التاريخ استعمال مختلف الطرق المتلوية للوصول إلى المراد، ومن أهم الأشياء التي تسعى لها النفوس هو أن تكون لها سمة القداسة والرمزية، وسقف الدعاوى لا يمنعه إلا المحال الواضح عند الناس، فحين كان يقبل الناس أن يكون الإله بشراً نادى فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤)،



وحين تحرّكت أطماع أناس نحو ادّعاء النبوة ادّعتها أعداد، وحين عظم في نفوس الناس محلّ الأئمة ادّعى أناس هذه الحيشة والمنزلة.

وحين تآقت أنفس الناس إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام ودولة الحق التي ستنشأ على يديه تسارع طلاب الدنيا إلى ادّعاء الانتساب إلى الدائرة المقربة منه، وإنما كثر ذلك لأن مجتمعاتنا تويّ اهتماماً كبيراً بفرج الله الأعظم ومشروعه الإصلاحية الكبير، وأعان على ذلك انتشار الجهل بالموثوث الشرعي وتكالب الدنيا على أتباعه، فتآقت أنفسهم إلى الفرّج، وأرادوا أن لا يُجرّموا من أن يُحسّبوا عليه.

وزماننا ليس بدعاً من مقاطع الزمان، ولا الناس فيه مختلفة عن بقيّة الناس في مختلف الأزمنة، فحاول أناس أن يحسّبوا أنفسهم على سفن النجاة، بل أرادوا أن يكونوا ملاحيها، ووجدوا في جهال الأئمة طلبتهم، فدلسوا عليهم واستغلّوا ضعف إدراكهم وتوق أنفسهم، فنعقوا مع ناعقين طلبوا الباطل بظاهر الحق، فكان ما كان.

وكلّ هؤلاء المدّعين يتعكّزون على تدليس في بعض الموثوث الشرعي وحرف للكلام عن مواضعه.

ونحن ومن منطلق المسؤولية نحاول أن نقف على بعض ما استندوا إليه لإثبات صحّة مدّعاتهم ونقلب أفهامنا فيه، ونشير إلى نقاط الوهن والضعف والتدليس على الناس، ليتذكّر متذكّر ويزدجر مزدجر، والله من وراء القصد. أسأل الله أن يحلّل عقدة من لساني ليُفقه قولي في أهمّ ما يستند إليه من ادّعى أنّه اليماني والمتمثّل برواية الوصيّة، أنّه خير ناصر ومعين.

رواية الوصيّة :

أطال أحمد بن إسماعيل وبعض أتباعه الوقوف على رواية الوصيّة بزعمه والتي رواها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة، فلا بدّ من نقلها بتمامها ثمّ الوقوف على مكان الخطأ في الاستدلال بها.



قال الشيخ: أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن خليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثنات سيّد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ في الليلة التي كانت فيها وفاته لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة»، فأملى رسول الله ﷺ وصيته حتّى انتهى إلى هذا الموضع، فقال عليه السلام: «يا عليّ، إنّهُ سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا عليّ أوّل الاثني عشر إماماً، سمّاك الله تعالى في سمائه عليّاً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصحّ هذه الأسماء لأحد غيرك.

يا عليّ، أنت وصيّ عليّ أهل بيتي حيّهم وميتهم، وعليّ نسائي، فمن ثبتها لقيتني غداً، ومن طلقها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي عليّ أُمّتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلى ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه سيّد العابدين ذي الثنات عليّ، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمد الثقة التقى، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد، فذلك اثنا عشر إماماً، ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، (فإذا حضرته الوفاة) فليسلّمها إلى ابنه أوّل المقرّبين، له ثلاثة أسامي، اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله، وأحمد، والاسم الثالث المهدي، هو أوّل المؤمنين»^(١).

* إنَّ أوَّل من صُرحَ باسمه في سند هذه الرواية هو عليُّ بن سنان الموصلي العدل، وهو لم يُذكر في كتب الرجال، وهذا يعني أنَّه مجهول الحال، ولا يُنتفع هنا بوصف العدل، إذ يمكن أن يكون ذلك وصفاً لجدِّه، وهو لا ينفع أيضاً في توثيق من ثبت له الوصف، إذ المهمُّ أن تثبت عدالته لنا، وإطلاق وصف العدل غاية ما يدلُّ عليه أنَّه في نظر من أسماه بذلك عدل، بل قد يكون ذلك نحواً من التعريض كما أسموا أبا عبيدة الجراح أمين الأُمَّة مع أنَّ النبيَّ ﷺ عليُّ ما روي أراد التعريض به وبدوره في السقيفة، فقال له: «أصبحت أمين هذه الأُمَّة»^(٢)، وإن كان هذا الاحتمال ضعيفاً هنا.

هذا مضافاً إلى أنَّ كلمة (العدل) كانت تُطلق عادةً على الكُتَّاب في القضاء والحكومات كما أشار إلى ذلك السيّد الخوئي (رضوان الله عليه).

* وأمَّا عليُّ بن الحسين، فهو مشترك يُعرَف بالراوي والمروي عنه، ولم نقف على من يروي عن أحمد بن محمد بن خليل، ويروي عنه عليُّ بن سنان الموصلي فهو مجهولٌ أيضاً.

* وأمَّا أحمد بن محمد بن خليل فمجهول الحال أيضاً حيث لم يُذكر بمدح ولا ذمٍّ في كتب الرجال، ولا يُعرَف من هو. والكلام نفسه جارٍ في جعفر بن أحمد المصري، نعم قال ابن حجر العسقلاني في حقِّه: (وكان رافضياً)^(٣)، وذلك لا يدلُّ على وثاقته فضلاً عن تشييع الرجل، إذ لا نقبل شهادة ابن حجر. مضافاً إلى ذلك إنَّ ابن حجر نقل اتِّهامه بوضع الأحاديث، وثبوت تشييعه لا ينفع أيضاً ما لم يوثَّق ليكون صحيح الرواية، أو يمدح من جهة أخرى غير الوثاقة فتكون روايته حسنة.

وأمَّا الحسن بن عليٍّ عمُّ جعفر بن أحمد المصري ووالد الحسن بن عليٍّ، وهو عليُّ بن بيان بن سيابة المصري فمجهول الحال، لم يذكر علماء الرجال أيّاً منهما بمدح أو ذمٍّ، ولم يبقَ إلَّا البزوفري الذي وثَّق.



فكيف نقبل رواية رواها مجهول عن آخر مثله لنؤسس عليها قضية في المعتقد و يترتب عليها كفر من لم يعمل بها وفق ما يزعمون؟! إن مثل هذه الرواية غير قابلة للاعتماد عليها حتّى في مسألة فرعية، فكيف يُعتمد عليها لإثبات اثني عشر مهدياً بعد الإمام الحجة عليه السلام؟!

وعلى ما تقدّم لا يمكن تطبيق كبرى حجية خبر الثقة نظراً لانتفاء الموضوع، أو لا أقلّ من عدم التحقق من ثبوت الموضوعات في جُلّ الرواة في سندها. وإذا كان الأمر كذلك فالاعتماد إمّا على كشفها إذا كان قطعياً، وإمّا على القرائن الخارجية، أمّا نفس الرواية فاحتمال صدورها اعتماداً على هذا السند غاية في الضعف. فإذا فرضنا أنّ الجماعة الذين نقل عنهم الشيخ الطوسي كان احتمال مطابقة نقلهم للواقع بمستوى (٩٠٪)، ونسبة الإصابة في إخبار البروفري بنحو (٩٠٪) أيضاً نظراً لوثاقته، وتسامحنا وقلنا: إنّ نسبة المطابقة في إخبار كلٍّ من عليّ بن سنان وعليّ بن الحسين وأحمد بن محمد بن محمد بن الخليل وجعفر بن أحمد المصري والحسن بن عليّ وعليّ بن بيان (٧٠٪)، فإنّ احتمال صدور الرواية من الإمام الصادق عليه السلام سيكون حاصل ضرب: $(٩٠\% \times ٩٠\% \times ٧٠\% \times ٧٠\% \times ٧٠\% \times ٧٠\% \times ٧٠\% \times ٧٠\%)$.

وحاصل ضرب هذه النسبة على التسامح في تقديرها يساوي (٩, ٥٢٩٥٦٩٪). ويأتيني عاقل ليقول: ابن مسلكك الاعتقادي في اثني عشر مهدياً على رواية هذا مقدار احتمال صدورها.

وإذا أضفنا إلى ذلك أنّ دلالتها ليست قطعية، بل ظنية بنحو الظهور لو تمّ، ولنفرضه بنسبة (٧٠٪)، فالنتيجة (٦٧٠٦٩٨٣, ٦٪) هو احتمال إرادة هذا المعنى من المعصوم بواسطة الرواية، لأنّه حاصل ضرب احتمال الصدور في احتمال إرادة ذلك المعنى.

فهل دُهيّت لأقبل أنّ هذا هو النظر الشرعي في هذه المسألة، ما لكم كيف تحكمون؟



ويمكن أن يكون الاحتمال أقلّ من ذلك كما لو كانت نسبة الإصابة في خبر هؤلاء الضعاف أقلّ من (٧٠٪) كما هو ليس ببعيد.

وإذا أضفنا إلى ذلك مضعفاً احتمالاً آخر، وهو احتمال الخطأ في التطبيق، إذ كلامنا السابق كان من جهة احتمال الصدور ومن جهة احتمال إرادة المعنى، وأمّا أن يكون المقصود بالمهدي الذي عنته الرواية فعلى فرض أنّها عنت مهدياً غير الأئمة المعصومين عليهم السلام، فما الذي يُعيّن أنّ هذا المدّعي أو ذاك هو المقصود؟ وهنا جهتان: الأولى احتمال الخطأ في التطبيق، وهو وارد جداً من جهة أنّ الحديث إن انصبّ على قضية خارجية فتشخيصها ستقوم به مشخّصات عديدة، فالوجود الخارجي له آلاف المشخّصات. وتحديدته وإن كان لا يحتاج إلى استيعابها جميعاً بالذكر إلّا أنّه يحتاج إلى العديد منها عادةً، فليس من السهل الجزم بأن فلاناً هو المراد، خصوصاً والروايات هنا - ومنها الرواية مورد النظر - لم تتعرّض لأيّة مشخّصات إلّا كونه ابن الإمام الثاني عشر. ولا قيمة لذلك في عالم التشخيص، ولا أثر له في دفع الالتباس في تعيين المراد بذلك، خصوصاً وأن المدّعي يقول: إنّ الإمام عليه السلام جدّه الرابع، وهذا يعني أنّ المتتبعين له عليه السلام كثر، وإذا قبلنا احتمال إرادة حفيد من المرتبة الرابعة فلم لا نقبل احتمال إرادة حفيد من المرتبة العاشرة، بل حتّى العشرين؟ وهذا يعني أنّ من ينطبق عليه وصف البنوة قد يصل عددهم إلى مئات الآلاف. فأنّى لأحد أن يُشخّص في ضمن دائرة الاحتمال هذه مع عدم وجود شخص في الرواية مع ملاحظة أنّ هذا الخبر قد صدر قبل ما يقرب من ألف وثلاثمائة عام؟

وأمّا الجهة الثانية، فهي احتمال تعمّد الكذب. وفي محلّ كلامنا فإن هذا الاحتمال كبير، لأنّ المورد ليس مجرد إخبار عن قضية خارجية أو تطبيق لخبر لا علاقة له بالمطبّق، بل التطبيق هنا يتضمّن دعوى كبيرة للمطبّق لا يضاهاى ما ادّعاه من منزلة آية منزلة أخرى في زمن الغيبة. فأعظم ما ثبت لأحد من



الناس في زمن الغيبة هو السفارة عن الإمام الحجة عليه السلام. وهذا الرجل يدّعي أنّه ابن الإمام والخليفة من بعده، واليمني الممّهد له، مع دعاوى أخرى ليس هذا محلّ التعرّض لها.

ومع ملاحظة هاتين الجهتين تعرف كم نتسامح حين نقول: إنّ نسبة صحّة تطبيق (٥٠٪) مثلاً.

ولولا جزمنا من الخارج بالكذب في هذه الدعوى لقلنا: إنّ نسبة صحّة التطبيق في مثل هذا المورد لا تتجاوز الـ (١٠٪).

فلو كان احتمال صحّة تطبيقه في ذلك (٥٠٪) - ولا أظنّه يكون، بل أجزم بعدمه -، فالاحتمال النهائي سيهبط إلى نصف ما وقفنا عليه من الاحتمال سابقاً، أي ما يزيد على (٣٪) بقليل، أي ما يقرب من (٣٤، ٣٪).

إنّ الآلية التي أوصلتنا إلى حساب احتمالات الإصابة والموافقة للواقع من خلال ضرب احتمال الإصابة للواقع في كلّ إخبار، هي المعتمدة في الإحصاء الرياضي الحديث والمنطق بعينها.

فلو أنّ زيداً أخبر أنّ بكرّاً أخبره أنّ الحادثة الكذائية قد حدثت، وكانت نسبة المطابقة للواقع في إخبار بكر (٧٠٪)، ونسبة الإصابة للواقع في إخبار زيد (٨٠٪)، فهذا يعني بعد إخبار زيد أنّه يوجد احتمال (٨٠٪) أنّ بكرّاً قد أخبره، ولمّا كانت نسبة المطابقة في إخبار بكر هي (٧٠٪)، فهذا يعني أنّ احتمال صحّة الخبرين الذي يعني مطابقة الواقع هو (٧٠٪) من الـ (٨٠٪)، وهو حاصل ضرب الاحتمالين معاً، والذي يساوي (٥٦٪)، وهكذا إذا كان شخص ثالث أخبر عنهما، فراجع عن الثالث، فخامس عن الرابع.

وحين يُضاف لذلك كون الدلالة في اللفظ غير قطعية، فهذا يعني وفق مثالنا السابق الذي فيه (زيد وبكر) أنّ احتمال صدور الرواية مثلاً من المعصوم عليه السلام هو



(٥٦٪)، أي أنَّ احتمال صدور هذا اللفظ هو (٥٦٪)، فإذا كانت دلالة اللفظ على المعنى 'احتمالية' كأن نحتمل أنَّ المتكلِّم على 'فرض صدور الكلام منه أراد هذا المعنى' بنسبة (٦٠٪) مثلاً، فاحتمال إرادة المعنى 'المخصوص من الإمام هي (٥٦٪) من الـ ٦٠٪، وهو حاصل ضرب الاحتمالين، وهو (٦، ٣٣٪).

فإذا اجتمعت معها جهة احتمالية أخرى، وهو أن يكون المراد من المعنى الذي حدّدناه هذا الفرد بخصوصه اتّبعت نفس الطريقة.

فالعلاقة بين جميع هذه الكواشف الاحتمالية طويلة، فتكون الآلية المتّبعة في استخلاص الاحتمال النهائي هي ضرب احتمالات الموافقة للواقع في كلّ منها بالآخر.

وأَيُّ عاقل يقدم على صفقة بمال زهيد ونسبة الربح فيها دون خمسة في المائة؟! إنَّ ذلك غير معقول إلّا في القمار ولعبة اليانصيب، ومن يخاطر فيها بكلِّ رأس ماله معتوه بلا ريب.

فكيف إذا كان الثمن هو عمر الإنسان وحياته؟!

«إِنَّهُ لَيْسَ لَأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا»^(٤).

وإنّما هي نفس واحدة كما في رواية الأحول حين احتجَّ على زيد بن عليّ حين دعاه إلى الخروج معه^(٥)، وزيد زيد وأحمد أحمد.

مع ملاحظة أنَّ الخسارة فيها تؤدّي إلى أن يُحشَر المرء خلف مفتر كذاب ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١).

لا مجال لاحتمال الخطأ في الدين:

حين يستند أبان بن تغلب في حكم فرعي، وهو دية قطع أربعة أصابع من المرأة إلى القياس واستبعاد أن تكون دية أربعة أصابع أقلّ من ثلاثة مع أنّها كالأولوية، لم يقبل الإمام عليه السلام منه ذلك، ويُشخّص موطن الخلل في استناده، ثمّ يحيله على القاعدة. والرواية معروفة، وهي صحيحة أبان بن تغلب.



قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في رجل قطع إصبعاً من أصابع المرأة كم فيها؟ قال: «عشر من الإبل»، قلت: قطع اثنين؟ قال: «عشرون»، قلت: قطع ثلاثاً؟ قال: «ثلاثون»، قلت: قطع أربعاً؟ قال: «عشرون»، قلت: سبحان الله، يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون، ويقطع أربعاً فيكون عليه عشرون؟ إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق ونبرأ ممن قاله، ونقول: الذي جاء به شيطان، فقال: «مهلاً يا أبان، هكذا حكم رسول الله، إن المرأة تقابل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت إلى النصف، يا أبان إنك أخذتني بالقياس، والسنة إذا قيسَتْ مُحَقَّقَ الدين»^(٦).

ومثل هذا الوضوح عند أبان حتى قال على من جاء بخلاف ما اعتقد أنه شيطان، وفي حكم فرعي في حق مالي، ومع ذلك يُبين له الإمام عليه السلام الخطأ في مأخذ الحكم الذي بنى عليه. فكيف يُطلب منا أن نخضع لدعوى في أمر غاية في الأهمية يزعم مدّعيه أن من لم يعمل به فهو خارج عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه ممن يستحق النار وبئس المصير، وهذا مستوى الاحتمال في مطابقة مدّعاها للواقع؟!

إن الدين لا يقبل التفريط ولو كان بمستوى يقابله (٩٩٪) إلا أن يأذن الشارع بذلك، وقد أذن بالاعتماد على خبر الثقة أو الخبر الموثوق بصدوره، كما أذن بالرجوع إلى الظهور العرفي في تحديد معنى الألفاظ الواردة في الموروث الشرعي، ولم يقبل الاعتماد على القياس إلا أن يورث القطع، أي لم يجز الاعتماد على القياس ولو كانت نسبة الإصابة للواقع (٩٩٩) بالألف. فإنّه حتى وإن أورث الاطمئنان ليس حجة وإن قبلنا الاعتماد على الاطمئنان في موارد أخرى للسيرة العقلانية على العمل به وعدم ردع الشارع المقدس عنها. فهنا قد ردع الشارع عن العمل بالقياس، وهذا الردع يشمل الموارد التي يورث القياس فيها الاطمئنان.



فلا مجال للمسامحة في مسألة فرعية ولو كان الاحتمال المخالف (١٪) إلا أن يأذن الشارع المقدس بذلك.

ولم يتحقق في هذه الرواية ما يوجب الاعتماد عليها من جهة سندها، وقد يكون موردها آيياً عن ذلك، على أنها لم ترد لتكون محلاً للتعبّد ولو في الدلالة - لو صحّ صدورها -، لأنها بصدد الإخبار عمّا سيكون في المستقبل.

فكيف أجسّد تمسّكي بديني من خلال العمل بما يقول القائل: إنّه المصدق الأوحد لما عتته مع أن ثبوت ذلك دون (٤٪)؟! اقض عجباً.

فإن قلت: وفق حساب الاحتمال المتقدّم والطريقة الإحصائية المزبورة لا يبقى لنا خبر يسوغ عقلاً ولا عقلاً الاعتداد عليه.

قلت: أولاً: ليست كلّ الروايات بهذا المستوى من السقوط السندي.

وثانياً: هناك روايات تجتمع معها بعض القرائن التي ترفع احتمال الصدور إلى مستوى الوثوق، وعلى مبني المشهور الوثوق بالصدور يُحقّق موضوع الحجية للمروي، فيجري التعبّد اعتماداً على مثل مفهوم قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

ومفهومها إن كان الجائي غير فاسق فلا تتبينوا، وهو تعبير آخر عن الحجية.

واعتماداً على إمضاء المعصومين عليه السلام لهذه الطريقة من التعاطي والاعتماد على أخبار الثقات حيث لم يردعوا عن ذلك مع استحكام هذه السيرة وطريقة التعاطي ممّا يعني ارتضاءها في التعاطي مع الأخبار، لأنّه إن لم يرّض الإمام بذلك ولم يردع لكان قد نقض غرضه، خصوصاً وإن أكثر جزئيات الأحكام في الشريعة مستندة أخبار آحاد ليس إلا.

والاعتماد على سيرة التشريعة التي لا بدّ أن تكون مأخوذة من المعصوم عليه السلام إن لم يكن ذلك انطلاقاً من عقلائيّتهم، وإلا فإنّها ستكون سيرة عقلائية، والمتشريعة كان جلّ اعتمادهم في معرفة أحكام الشريعة وجزئياتها على أخبار الثقات.



وثالثاً: قد يجري تطبيق حجّية خبر الواحد على كلّ راوٍ في السند، فيكون نقل الآخر مثلاً والذي انتهى إليه النقل إذا أفاد وجداناً احتمال (٨٠٪) بصحّة نقله، فإنّ حكم الشارع المقدّس بحجّية خبره يعني تنزيله منزلة العلم من حيث ترتيب الأثر، فكأنّه (١٠٠٪)، وهكذا بالنسبة للذي قبله حتّى نصل إلى الراوي المباشر عن المعصوم عليه السلام. فالمعتمد ليس الاحتمال الوجداني، بل أمر الشارع بالعمل، وهو موجود في أخبار الثقات دون غيرهم.

ولا نريد أن نطيل الوقوف عند بحث تخصّصي ليس هذا محلّ التعرّض له، فإن قيل: إنّ بناءً على حجّية الظهور وحجّية خبر الثقة ينبغي أن نُنزّل خبر الجماعة الذين أخبر عنهم الشيخ الطوسي منزلة العلم، وكذا خبر البزوفري، ولا نحتاج أن نضرب حاصل ضرب احتمال صدق الخبر باحتمال إرادة المعنى الظاهر، لأنّ حجّية الظهور تقول لي: نزّل دلالتة الظنيّة منزلة العلم، فتكون النتيجة حاصل ضرب: (٧٠٪) في نفسها (٦) مرّات. وهي تساوي (٧٦٤٩، ١١٪) سوى احتمال الخطأ في التطبيق.

قلت: ١ - إنّ النسبة الضئيلة هذه قليلة جدّاً، خصوصاً إذا ضربناها باحتمال الصحّة في التطبيق، إذ ستكون أقلّ من (٦٪).

٢ - بعد أن سقط الاستدلال بالرواية من جهة عدم الحجّية في سندها لا معنىً للتعبّد في بعض السند، وكذا الكلام في التعبّد بالدلالة، فالتعبّد من خلال الحكم بالحجّية لا أثر له إن لم يمكن تتميم الدليل من الجهات الأخرى، لأنّه سيكون بلا أثر.

لا يقال: إنّ الأثر موجود، لأنّ مستوى الكشف واحتمال مطابقة الواقع سيزداد وفق ما قدّمنا.

فإنّه يقال: إنّ نفس الاحتمال والانكشاف غير قابل للزيادة حقيقةً، لأنّ الاحتمال والانكشاف خاضع للأسباب التكوينية، ولا دخالة للشارع في ذلك



بما هو شارع، وإنما ينزل منزلة العلم على فرض جريان دليل الحجية في الأثر العملي المترتب على العلم، أي من الناحية العملية تُرتب ما تُرتبه لو كنا عالمين.

وإذا لم تتم الجهات الأخرى في الدليل بحيث يقال بالجملة هو حجة لا يمكن أن يقال: علينا ترتيب الأثر العملي، فلا يبقى في الرواية بعد سقوطها عن الحجية إلا كشفها الحقيقي عن الواقع، ومقدارها وفق التمثيل المتقدم حوالي (٥, ٣٪).

هذا مضافاً إلى جملة من المضعفات الداخلية الأخرى والخارجية.

ثم إن هنا مسألة مهمة، وهي أن احتمال مخالفة الواقع لا يقتصر المنشأ فيه باحتمال تعمّد الكذب، بل قد يكون لقلة الدقة والغفلة، ومثل هذا الاحتمال موجود في محل كلامنا كما أشار إليه الحرّ العاملي في كتاب الإيقاظ من الهجعة حيث قال:

(وما تضمّنه الحديث المروي في كتاب الغيبة على تقدير تسليمه في خصوص الاثني عشر بعد المهدي عليه السلام لا ينافي هذا الوجه، لاحتمال أن يكون لفظ ابنه تصحيفاً، وأصله أبيه بالياء آخر الحروف، ويُراد به الحسين عليه السلام، لما روي سابقاً في أحاديث كثيرة من رجعة الحسين عليه السلام عند وفاة المهدي عليه السلام ليُغسله).

واحتمال التصحيف الناشئ من الغفلة لا يقتصر المنشأ فيه على الرواة، بل قد يكون من الشيخ الطوسي على فضله العظيم ومنزلته الكبيرة، فهو لم يصل إلى مرتبة استحالة حصول الخطأ في نقله، ولذا قال الفقهاء: (وإنّه في صورة اختلاف نقل الرواية الواحدة ينقلها الشيخ الطوسي والشيخ الكليني يُقدّم نقل الكليني لأنّه أ ضبط).

وذلك أيضاً لا يُسقط احتمال حدوث التصحيف حتّى من الكليني الذي هو أ ضبط من الشيخ الطوسي.



بل قد يحصل التصحيف ممّن نسخ كتاب الشيخ الطوسي مباشرة أو ممن نسخ من نسخة غير أصلية، اللهمّ إلّا إذا وقفنا على النسخة الأصلية التي كتبها الشيخ بنفسه.

لكن هذا الاحتمال ليس أصلاً يُعتنى به، بل يُثار عند وجود معارضة مع نسخة أخرى من الرواية، والمفروض أنّه غير موجود في الرواية محلّ البحث، أو عند وجود معارضة من رواية أو روايات أخرى، وحينها إذا أردنا أن نُوجّه الاختلاف بين النقلين للرواية الواحدة أو اختلاف المضمون للروايات المتعدّدة أو مخالفة الرواية لقواعد مسلّمة يُثار احتمال وقوع التصحيف كتفسير لهذه المنافاة بحسب النقل مع أنّ واقع ما صدر عنهم عليه السلام لا يقبل التنافي فيما بين جزئياته ولا التخالف مع القواعد المسلّمة عقلية كانت أو غيرها.

وكيف كان فهذا لا يُعدّ وجهاً مستقلاً لردّ الاستدلال بالرواية، نعم ينفعنا كمضعّف احتمالي لها، ودور تأثير المضعّف الاحتمالي بعد سقوط الرواية عن الحجّية، والمفروض أنّها كذلك، هذا مضافاً إلى جملة من المضعّفات الداخلية والخارجية.

المؤشّرات الداخلية:

هناك جملة من المؤشّرات في الاستدلال بالرواية تجعلنا نترث قبل تصديق مؤدّاها:

١ - غرابة نفس الدعوى: إنّ من الأمور المضعّفة لاحتمال صحّة نقل قضيّة ما أو ادّعاء دعوى ما غرابة تلك القضية وعدم مألوفيتها، وكلّما ازدادت غرابة الدعوى احتاجت في مقام إثباتها إلى بيان أوضح ودليل أقوى.

حين تأتي السيّدة العذراء عليها السلام بولد وتقول: إنّهُ ليس من أب، فإنّ دعاوها احتاجت إلى دليل يصدّم الآخرين بوضوحه وقاطعيته للشكّ، فكان أن نطق في المهد صبيّاً فأبكتهم، ولم يُبق لهم طريقاً للردّ. وحيث يقول شخص: أنا



سفير السماء، فقولته غاية في الغرابة، فاحتاجوا إلى برهان قاطع للشك، ولم يكتفَ بمجرد إخبار الأنبياء السابقين عنهم، وتمثّل البرهان بالإتيان بالأُمور الخارقة مع التحديّ المسبق، وهي المعجزات. ولا يكتفى هنا بصحّة المطالب التي يطرحها الفرد - غير البنوة أو السفارة -، فلو أنّ شخصاً دعا إلى التوحيد وأتى بأحكام الشريعة الحقّة وادّعى أنّه نبيّ أو خليفة أو سفير للإمام عليه السلام، فإنّه لا يقبل منه بمجرد صحّة مبدأ التوحيد في كلماته وموافقة أحكامه التي تحدّث بها لأحكام الشريعة.

حين يدّعي اليهود أنّ الله عهد إليهم عدم الإيمان برسول إلا أن يأتي بيّنة محدّدة تتمثّل بقربان تُرسل عليه نار من السماء فتحرّقه لم يُستجب لهم، لا لأنّ هذا الطلب غير مشروع، بل لأنّهم كاذبون في مقولتهم أنّهم سيؤمنون عند تحقّق ما طلبوا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

بل نزع الاستغراب قد تتملّك الأولياء، بل والأنبياء إن أخبروا بقضيّة غريبة، فعند إخبار الملك المقربّ مريم العذراء عليها السلام بنبأ الولد من غير أب كان ردّها التلقائي: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٠).

أي كيف يكون الولد والأسباب المألوفة لا تقتضي أن يكون لي ولد؟ مع علمها بأنّ الذي يخاطبها ملك من الذين لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون.

وعند بشارة زكريا عليه السلام بالولد كان ردّه التلقائي: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (مريم: ٨).



وقريب من ذلك قول زوجة إبراهيم عليه السلام حيث تقول الآيات: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ (الذاريات: ٢٨ - ٣٠).

إن موسى عليه السلام كان نبياً عظيماً، وحين تحدّاه فرعون والملا من قومه في مقارعة السحر وقبل الموعد في يوم الزينة، ويبدو أنّه كان يوماً مهرجانياً يحضره الكثير من الناس في مكانٍ خاص، ورأى سحر سحرة فرعون أوجس في نفسه خيفةً، وهو أمر طبيعي وفق النزعة الطبيعية للبشر.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿ (طه: ٦٥ - ٦٨).

وكيف كان فغرابة القضية المدّعاة أو المخبر عنها تستدعي التريث في الإذعان بها، ولذا قال الملك لمريم عليها السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيِّئٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمراً مَقْضِيّاً﴾ (مريم: ٢١).

وقال الله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيِّئٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً﴾ (مريم: ٦).

فلم يكتفِ الله تعالى بتذكيره بأنّه هَيِّئٌ عليه حتّى أتاه بنظير، وهو خلقه زكريا التي كانت مسألة وجدانية عند زكريا عليه السلام.

واحتاجت زوجة إبراهيم عليها السلام أن تُذكّر بأنّ هذا قول الله وهو الحكيم العليم. في كلّ هذه الموارد لم يَلْمِ أيُّ من هؤلاء الأعاظم على الاستغراب أو على السؤال عن الكيفية، لأنّ بنية البشر النفسية تقتضي هذا النوع من ردود الأفعال في مثل هذه المواقف.

ما تقدّم يُبيّن أنّ من الطبيعي عدم قبول الادّعاءات الغريبة إلّا إن قام على ذلك دليل قطعي لا يقبل الشكّ، ونحن أمام دعوى بمنتهى الغرابة من



شخص معروف عن عائلته أنَّها ليست هاشمية النسب، ويدَّعي أنَّ الإمام المهدي عليه السلام جدُّه الرابع، وما يتضمَّن ذلك من دعوى أنَّ الإمام متزوَّج وله ذرية، وأنَّه قد اختير سفيراً للإمام عليه السلام، ونائباً خاصّاً له، مضافاً إلى جملة الموهنات الأخرى.

٢ - إنَّه حين نُقلَ عن بعض الأئمَّة عليهم السلام في السند، وصفهم ببعض الأوصاف التي لا نشكُّ في ثبوتها عندهم، لكن ليس من المألوف التعرُّض لهذه الأوصاف في الأسانيد للأئمَّة عليهم السلام، كوصف السجَّاد عليه السلام بأنَّه ذو الثفنات، ووصف الحسين عليه السلام بأنَّه الزكي الشهيد، فلمقام مقام نقل يُكتفى فيه عادةً بتشخيص المنقول عنه. وهذا المؤشِّر وإن كان ضعيفاً إلَّا أنَّه يُعطي احتمالاً ولو ضعيفاً أنَّ الراوي أراد أن يُسوِّق لهذه الرواية، وقد يكون ذلك لأجل وضعها، نعم وقد يكون للتأكيد على رقي سندها.

٣ - إنَّ من الأسماء التي ذكرت الرواية أنَّها خاصَّة بأمير المؤمنين عليه السلام وصف المهدي عليه السلام، وذكرت أنَّ هذه الأسماء لا تصحُّ لأحد غيرك، مع أنَّ الوصف قد ذُكِرَ لكلِّ الأئمَّة عليهم السلام. والمدَّعي يقول: إنَّه ثابت لاثني عشر شخصاً آخرين بعنوان الوصف، وله بعنوان الاسم.

٤ - ما هو الوجه في تخصيص الإمام الجواد عليه السلام بأنَّه ثقة؟ وما هو وجه تسمية الهادي عليه السلام بأنَّه الناصح؟ ولم يُعهد أنَّهما قد اختصَّا بالتسمية بذلك. نعم قد اختصَّ الجواد عليه السلام فيما تداولته الألسن بوصف التقي.

ولإكمال الصورة التي رسمناها وأتصافها بالإنصاف لا بدَّ من التعرُّض لبعض ما يمكن أن يُقوِّي من الرواية.

ومنه أنَّها منقولة عن الصادق عليه السلام، ونُصَّ فيها على أسماء الأئمَّة عليهم السلام، وهذا المضمون صحيح بلا ريب، ومخالف لرأي الحكومات المتعاقبة، بل يمكن أن يكون منشأ لإيقاع عقوبة عليه.



ومنه أنّه يلوح من وصف بعض رجالها أنّه عامّي، ومضمون الرواية على خلاف ما تقول به العامّة، ونقل الرجل مضموناً على خلاف معتقده يُعتبر مؤشّر صدق في نقله، ومن نقل عنه البزوفري هو عليّ بن سنان المصري العدل حيث لم يستبعد السيّد الخوئي رحمته الله أن يكون من العامّة بقرينة وصف العدل، وهو وصف يُوصف به بعض علماء العامّة، وقد ذكر في ترجمة الفقيه الدرامي العدل أنّه: (لا يبعد أن الرجل من العامّة، وأن كلمة العدل من ألقابه، وهذه الكلمة تُطلق على الكُتّاب في القضاء والحكومات، فيقال: كاتب العدل) ^(٧). ولكن ذلك لا يُغيّر في الصورة شيئاً، لأنّه إنّما يقوّي الصدور في ما كان مخالفاً لاعتقاد العامّة وموافقاً لاعتقادنا، وهذا خاصّ بالقسم الأوّل من الرواية، وأمّا القسم الأخير من الرواية، والذي يبدأ من قوله: «ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليُسلّمها إلى ابنه أوّل المقرّبين...»، فلا قرينة لما ذُكر على صحّته، والذي لا يكون ثقة ليس من الضروري أن تكون كلّ قصّته الكذب وسمة كلّ ما رواه المخالفة للواقع، بل الكذاب بصيغة المبالغة لا يكون كذلك، بل لا يُؤمن تعمّد الكذب عنده، ولا أحد يلتزم أن كلّ كلامه كذب.

ولو تمّت قرينة مثل هذه القرينة فهي لا تنفع أيضاً، لأنّه بعد سقوط الرواية عن الحجّية في سندها أو بالمعارضة لما هو أقوى منها لو تمّت سنداً، فلا تبقى فيها فائدة من جهة البناء على مضمونها إلّا في حدود كشفها الاحتمالي، وما دام لم يصل إلى القطع أو الاطمئنان كحدّ أدنى فوجودها كعدمها، اللهم إلّا إذا وُجدت روايات وقرائن أخرى يدعم بعضها البعض، وأوصلنا المجموع إلى الاطمئنان بصحّة مضمون إن لم يكن علمٌ تحقّق نوع استفادة منها، وأين ذلك البعض الذي يدعم مضموناً من الرواية المحتمل؟



القرائن الخارجية :

ثم إنَّ هناك جملة من القرائن الخارجية التي تمنع من الأخذ بهذا المضمون الوارد فيها، أو الذي يُدعى أنَّها تامَّة الدلالة عليه وأنَّ بالإمكان استفادته منها، ومن ذلك:

١ - أنَّها مخالفة للمشهور، كما نصَّ على ذلك صاحب البحار.

وذكر المفيد في الإرشاد أنَّ ذلك لم يرد على سبيل القطع والثبات، وأكثر الروايات أنَّه لن يمضي مهدي الأُمَّة إلَّا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج وعلامة خروج الأموات وقيام الساعة للحساب والجزاء، والله أعلم^(٨). وقريب من ذلك عبارة الشيخ الطبرسي حيث قال: (ولم ترد به الرواية على القطع والثبات، وأكثر الروايات أنَّه لن يمضي من الدنيا إلَّا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج...) إلى آخر كلامه^(٩).

٢ - المعارضة لما دلَّ على أنَّ خروج اليماني من اليمن.

ووجه المعارضة أنَّ صاحب هذه الدعوى لم يقتصر على ادِّعاء بنوَّ المهدي عليه السلام وخلافته من بعده، بل ادَّعى أنَّه اليماني.

وكيف كان فقد روى الصدوق في إكمال الدين بسنده عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليِّ الباقر عليه السلام يقول في حديث: ... قال: قلت: يا بن رسول الله، متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبَّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال...، وخروج السفيناني من الشام، واليماني من اليمن...» الخبر^(١٠).

ورواية جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث عن السفيناني واليماني، وأنَّه بعد ظهور السفيناني «يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة...» الخبر^(١١).

ورواية عبيد بن زرارة، قال: ذُكرَ عند أبي عبد الله عليه السلام السفيناني فقال: «أنتي يخرج ذلك ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء؟»^(١٢).



٣ - المعارضة مع الروايات التي أمرت بالسكون حتّى يخرج السفياي.

وهنا طائفة أخرى معارضة، وهي الروايات التي منعت من التحرك قبل ظهور السفياي، ومنها رواية الحضرمي، وفيها: «فإذا ظهر - أي السفياي - على الأكوار الخمس - يعني كور الشام -، فانفروا إلى صاحبكم»^(١٣).

ووجه المعارضة كما تقدّم في النقطة الثانية، إذ بلحاظ دعوى كونه يمانياً كانت الروايات المزبورة معارضة.

والرواية التي رواها الكليني: «لا تبرح الأرض يا فضل حتّى يخرج السفياي، فإذا خرج السفياي فأجيئوا إلينا»^(١٤).

وفي رواية سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير، الزم بيتك وكن حلساً من أحلاس، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أنّ السفياي قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»^(١٥).

والرواية الأولى قيّدت النفر بظهور السفياي على الأكوار الخمس (مُدُن الشام).

٤ - مخالفتها لروايات انقطاع السفارة.

دلّت الروايات على انقطاع السفارة بعد عليّ بن محمّد السمري عليه السلام، فقد روى في الاحتجاج:

خرج التوقيع إلى أبي الحسن السمري: «يا عليّ بن محمّد السمري، اسمع أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياي والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»^(١٦).



وهذه الرواية وإن خالفت ما اشتهر شهرة عظيمة من لقاء بعض الأفاضل به عليه السلام، إلا أنه يقوى في النفس أنها ناظرة إلى ادّعاء المشاهدة مع دعوى السفارة، واتّصال فقرة (فمن ادّعى المشاهدة) بقرينة على خلاف عموم المشاهدة - أي ولو بدون دعوى السفارة - يمنع من انعقاد ظهور بالعموم، ولو لم يُمنع من ذلك وانعقد الظهور ابتليت الرواية بالقطع بخلافها، فمن جزمنا بصدق دعواه المشاهدة خرج من عمومها، إذ لا تبقى مع القطع بالخلاف حجية للظهور في مورد القطع. وهذا المدّعي لا نجزم بصدق دعواه، هذا في مجرّد المشاهدة. وأمّا ادّعاء السفارة كما فعل فمخالف للرواية قطعاً.

ولا شكّ أنّ الحجّة في زماننا هو الإمام الثاني عشر عليه السلام، فخرج من تجب بيعته ومتابعته لا وجه له إلا أن يكون سفيراً عنه. وأمّا ظرف إمامته المزعومة فهي بعد ظهور الإمام عليه السلام وانتهاء أيامه. ولا شكّ أنّه لا يُراد بيعته باعتبار أنّه إمام. فالإشكال على ما زعمه وطبّقه من فهمه للرواية.

٥ - معارضتها برواية المنع من التوقيت.

لقد تکرّر في الروايات النهي عن التوقيت، ونفي التوقيت عنهم والإخبار عن كذب الوقتين، فقد نقل في البحار في باب التمحيص والنهي عن التوقيت جملة من الروايات التي تعرّضت لذلك، فبلفظ: (كذب الوقتون) أو (الموقتون) جاءت الأحاديث رقم:

(٥) كذب الوقتون ثلاثاً.

(٦) كذب الموقتون.

(٧) كذب الوقتون وهلك المستعجلون.

(٤٤) كذب الوقتون.

(٤٥) كذب الوقتون.

(٤٨) كذب الوقتون.



وبلفظ (إِنَّا لَا نُوقِتُ) أو ما يقرب منه:

(٦) ما وَقَّتْنَا فيما مضى وَلَا نُوقِتُ فيما يستقبل.

(٨) فلسنا نُوقِتُ لأحد.

(٤١) فَإِنَّا لَا نُوقِتُ وقتاً.

(٤٧) إِنَّا لَا نُوقِتُ لهذا الأمر.

(٤٨) إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوقِتُ.

وبلفظ تكذيب الموقتين وما يرجع إليه:

(٨) مَنْ وَقَّتْ لَكَ مِنَ النَّاسِ شَيْئاً فَلَا تَهَابَنَّ أَنْ تُكَذِّبَهُ.

(٤١) مَنْ أَخْبَرَكَ عَنَّا تَوْقِيتاً فَلَا تَهَابَنَّ أَنْ تُكَذِّبَهُ.

والمجموعة الأولى واضحة الدلالة على عدم الركون إلى مقولة الموقتين.

أمَّا المجموعة الثانية فقد يقال: إِنَّمَا غَيْرُ تَامَّةِ الدَّلَالَةِ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا أَخْبَرَتْ عَنْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُوقِتُونَ، وَلَيْسَ فِيهَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى عَدَمِ إِمْكَانِ مَعْرِفَةِ الْوَقْتِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْعَدُولُ عَنِ التَّعْبِيرِ بِعَدَمِ مَعْرِفَةِ الْوَقْتِ إِلَى نَفْيِ التَّوْقِيتِ مُؤَثَّراً عَلَى أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُونَهُ وَلَكِنْ لَا يُخْبِرُونَ عَنْهُ.

وهذا يعني بحسب النظر البدوي إمكان أن يطلع غيرهم ولو في مستقبل الأيام على وقت الظهور فيُخبر عنه، وعلى هذا فليس في هذه الروايات دلالة على استحالة الوقوف على الوقت وتحديده.

فإذا قيل: لماذا لم يُخبر الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوقت إذا أمكن لغيرهم أن يُخبروا؟

قلنا: قد يكون عدم إخبار الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ لوجود محذور بعد زمان ظهوره عَلَيْهِ السَّلَامُ عن زمان الحضور وبداية الغيبة، فإذا أخبر الناس عن زمان ظهوره أشعر ذلك البعد التاريخي الأتباع باليأس، وقد جاء في الرواية التي رواها الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن الحميري بإسناده يرفعه إلى علي بن يقطين، قال: قلت لأبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما بال ما روي فيكم من الملاحم ليس كما روي،



وما روي في أعاديكم قد صح؟ فقال عليه السلام: «إِنَّ الَّذِي خَرَجَ فِي أَعْدَائِنَا كَانَ مِنَ الْحَقِّ، فَكَانَ كَمَا قِيلَ، وَأَنْتُمْ عَلَّيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ فَخَرَجَ إِلَيْكُمْ كَمَا خَرَجَ»^(١٧).

وقد استفاد علي بن يقطين من هذا البيان في الجواب عن سؤال أبيه الذي كان عبّاسي الهوى والمسلّك، إذ قال الأب:

ما بالنّا قيل لنا فكان وقيل لكم فلم يكن؟ فقال له عليّ: إنّ الذي قيل لنا ولكم من مخرج واحد، غير أنّ أمركم حضركم فأعطيتم محضه وكان كما قيل لكم، وإنّ أمرنا لم يحضر فعللنا بالأمانيّ، فلو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامّة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرع وما أقرببه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج^(١٨).

ونحن لو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة ماذا كان سيحصل؟ وطول الأمد يُقسي القلب، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: ١٦).

والتفريع بالفاء يُعطي أنّ طول الأمد سبب لقسوة القلب. وقريب منه في الدلالة قول موسى عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (طه: ٨٦).

ومثل هذا المحذور لا يتحقّق في من كان قريباً من زمن الظهور، ولذلك حدّدت الروايات الفاصلة الزمانية بين العلائم القريبة دون غيرها كقتل النفس الزكيّة الذي يفصله عن ظهور الإمام عليه السلام خمسة عشر يوماً، والسفياي الذي حدّدت مدّته بتفصيل واضح من ظهوره إلى بسط يده على كور الشام الخمسة إلى مدّة حكمه بعدها، فقد انتفى المحذور بالقرب الزمني، ولكن التأمل قد يُعطي غير ذلك، إذ يمكن أن نسأل عن الكيفية التي يطلّع بها غيرهم على وقت الظهور ما دام المعصومون عليه السلام لم يخبروا بذلك.



إنِّي لأجزم أنَّ الموروث الروائي لا يمكن أن يكون مستنداً لتحديد الوقت، إذ كيف يكون كذلك مع أنَّ في تحديد الوقت محاذير، منها مخالفة الحكمة والمصلحة، إذ إنَّه سيُشعر الناس بالبعد فينفصلون عن الانتظار، بل والمشروع المهدوي، كما أنَّ في ذلك مخالفة لطوائف من الروايات قد نتعرَّض إلى بعضها في الصفحات القادمة. ولو أمكن لتأخَّر أن يُحدِّد الوقت من الروايات لأمكن لتقدُّم في بدايات عصر الغيبة الكبرى أن يُحدِّده.

بل إنَّ الأئمَّة المتقدِّمين كأمير المؤمنين ومن بعده من ولده عليه السلام وهم يعلمون علم اليقين أنَّه بعد زمان ولادته ستأتي غيبتان تطول إحداهما كثيراً ولم يستوضح الناس ذلك منهم عليه السلام، وظلَّ الكثير من الأتباع مستحضرين العدة للخروج، وهم يأملون ذلك في حياتهم، ولم يردعهم المعصوم عن ذلك، ومع ملاحظة هذا أترى المعصوم عليه السلام يترك في الأثر ما يمكن معه تحديد زمان الظهور؟! تلك أمانهم.

فكيف يأتي من يُخبر بقرب ظهوره عليه السلام، وأنَّه سيُمهِّد له الآن؟! أم ترى القائل يقول: أمهِّد له الآن لكي يظهر ربما بعد ألف سنة؟! وهذا ما يمكن أن نفهمه من بعض الروايات كالحديث ^(٤٨) في الباب: «كذب الوقتون، إنا أهل بيت لا نُوقَّت».

فالربط بين الجزئين يكون مع انحصار مستند إخبار الموقَّت بالتوقيت الصادر من أهل البيت عليه السلام.

والحديث الثامن في الباب أوضح دلالة على ذلك:

«من وقَّت لك من الناس شيئاً فلا تهابنَّ أن تُكذِّبه، فلسنا نُوقَّت لأحد».

ولو أمكن لتأخَّر أن يُوقَّت لأمكن لتقدُّم من العلماء أن يُحدِّد الوقت أيضاً.

والمسألة غيبية ليست ممَّا يتوقَّف على علوم طبيعية أو رياضية، ليتمكن أن يصل إليها المتأخِّرون دون المتقدِّمين بملاحظة تقدُّم هذه العلوم كثيراً في زماننا،



ولسان الأدلة بتعبير «كذب الوقّاتون»، و«لا تهابنَّ أن تُكذّبه» واضح أن المحذور ليس في الإخبار، بل في عدم تيسّر طريق لمعرفة الوقت.

نعم يخرج من ذلك الإخبار بعد ملاحظة مجموعة من العلامات التي استوعبت الروايات ما يدفع الالتباس في مصداقها الواحد، وهي قريبة من الظهور جداً، كقتل النفس الزكية والسفياني واليماني والصيحة والخسف، إذ لا محذور في وقتها من التحديد، وهي غير قابلة للالتباس على الناس. فهل يمكن أن يتكرّر خروج جيش من الشام يتّجه باتجاه الأرض المقدّسة ويعبر المدينة المنورة ثم يخسف الله تعالى به الأرض؟

وكم مرّة يُنادى في السماء: أَلَا إِنَّ عَلِيّاً وشيعته هم الفائزون، أو ما يرجع إليه؟ ومن هنا فلا محذور في الإخبار بما أخبر به الأئمة عليهم السلام من قرب ظهوره عليه السلام. والمجموعة الثالثة واضحة الدلالة أيضاً.

والمحصّل من هذه المجموعات الثلاث أن الاطلاع على زمان الظهور لغير الأئمة وبالنحو الذي يمكن أن تتّسع دائرة الاصطلاح عليه ممتنع، ولذا كذب الأئمة عليهم السلام الموقّتين في توقّيتهم، ونهونا عن التردّد في تكذيبهم، ممّا يعني امتناع اطلاعهم على ذلك الأمر، لأنّه غير قابل لكشف الستر عنه، وانتفاء إمكان اطلاع شخص عليه، ومن هنا قالوا عليهم السلام: «فلا تهابنَّ أن تُكذّبه».

٦ - المعارضة لاقتران خروج اليماني بخروج السفياني:

هناك جملة من الروايات التي حدّدت المقارنة الزمانية بين ظهور اليماني وظهور السفياني، ومن خلالها نفهم أنّ دعوى خروج اليماني قبل ظهور السفياني باطلة.

ومن هذه الروايات:

رواية أبي بصير، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام أنّه قال في رواية: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كلّ وجه...» الخبر^(١٩).



وفي سندها ابن البطائني، عن أبيه.

ورواية بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحق»^(٢٠).

وفي ثالثة عن عبيد بن زرارة، قال: ذُكرَ عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني، فقال: «أنتي يخرج ذلك ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء؟»^(٢١).

والحق أن هذه الرواية الأخيرة غير ظاهرة في الاقتران بوقت الخروج، إذ يمكن أن يكون خروج اليماني قبله، فغاية ما تدلُّ عليه أنه لا يخرج السفياني إلا بخروج اليماني، وأمّا الاقتران في وقت الخروج فلا دلالة للرواية عليه، بخلاف الروایتين السابقتين.

نعم تبقى في الرواية الأولى وهي رواية أبي بصير مشكلة أتمها بعد ذكر الاقتران الزمني لخروج اليماني والسفياني والخراساني في يوم واحد قالت: «نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه»، وهذا يقتضي الاختلاف الزمني في هذه الأحداث. ولكن الأمر سهل، إذ ظهور الاتحاد في التاريخ لخروج الثلاثة لا غبار عليه، بل يمكن أن تكون الرواية نصّاً فيه، فيمكن أن يكون قوله عليه السلام إشارة إلى موقع خروج الثلاثة ضمن حوادث مختلفة تسبق الظهور، خصوصاً والرواية طويلة ذكرت فيها جملة من الحوادث.

وهناك رواية قد يقال: إنّها معارضة لهذه الروايات، وهي موثقة محمد بن مسلم، قال: «يخرج قبل السفياني مصري ويماني»^(٢٢).

لكنّها ليست من كلام المعصوم، إذ لم يسندها محمد بن مسلم إلى المعصوم، فشهادته ليست حسيّة، بل حدسية، ولا حجّة لذلك. ويضاف إلى ذلك أنّها تظهر في أنّ المقصود هو اليماني المعهود، ولا يمنع وجود اليماني وظهور يماني آخر يخرج قبل السفياني، فلا تصلح مثل هذه الرواية لمعارضة ما سبقها من الروايات الثلاثة.



وهنا نسأل: هل ظهر السفياي؟ وهل ظهر الخراساني؟ خصوصاً مع التحديد بالأشهر لفترة خروج السفياي إلى نهاية حركته حيث لا تتجاوز (١٥) شهراً.

ولا أقول هنا: إنَّ هذه الروايات تعارض رواية الوصيَّة، إذ إنَّ رواية الوصيَّة لم تتعرَّض لليمانى لا من بعيد ولا من قريب، بل نقول: إنَّ هذه الروايات تُكذِّب دعوى أنَّ اليماني يظهر قبل الإمام عليه السلام، وأنَّ فلاناً المدَّعي هو ابن الإمام المهدي عليه السلام، وهو اليماني.

فإن قيل: إنَّه يستند إلى هذه الرواية.

قلنا: إنَّه يضاف إلى الإشكالات السابقة أنَّها لو تمَّت دلالةً وسنداً كانت معارضة بمثل هذه الروايات.

لكن الحقَّ أنَّ أكثر هذه الروايات ضعيفة السند أيضاً، لكنَّها لم تجتمع عليها مضعَّفات داخلية أو خارجية كهذه، ولم تتحقَّق فيها مخالفة للمشهور. هذا مضافاً إلى أنَّ كلامنا في رواية الوصيَّة والاستدلال بها، وهو لم يستدلَّ بها على كونه اليماني، فالمنطقية في الاستدلال تقتضي عدم الاعتناء بهذه الروايات في هذا المجال بالخصوص. وأمَّا بقيَّة الدعاوى فما أكثرها وما أكثر الهنات فيها.

٧ - الشبهة القويَّة في المورد:

إنَّ المورد من موارد الشبهة شديدة الالتباس وعظيمة الخطورة، ممَّا يستدعي الاحتياط والترُّيث ما أمكن وترك الاستعجال، خصوصاً والروايات قد نصَّت على كثرة الرايات التي سترُفع بزعم أنَّها راية الحقِّ التي وعد بها النبيُّ.

فقد روى الصدوق بسنده عن المفَضَّل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سمعته يقول: «إياكم والتنويه، أمَّا والله ليغيبنَّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصنَّ حتَّى يقال: مات، أو هلك، بأيِّ وادٍ سلك؟ ولتدمعنَّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنَّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، ولا ينجو إلَّا من أخذ



الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه، ولتُرفعَ اثنا عشرة راية مشتبهة، لا يُدرى أيُّ من أيٍّ»، قال: فبكيت، فقال لي: «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟»، فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول: «تُرفع اثنا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أيُّ من أيٍّ؟! فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلية في الصفة، فقال: «يا أبا عبد الله، ترى هذه الشمس؟»، قلت: نعم، قال: «والله لأمرنا أبين من الشمس»^(٢٣).

ورواه الطوسي بسنده^(٢٤).

والنعماني بطريقتين آخرين^(٢٥).

إلا أن جميع هذه الطرق فيها محمد بن مساور الذي لم يُنصَّ على توثيقه. لكن الرواية هنا للاستشهاد وليست للاستدلال. فالشبهة قويّة والتاريخ حافل بمثل هذه الدعاوى.

وروى الشيخ الطوسي في الغيبة في حديث معتبر عن أبي خديجة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتّى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدعو إلى نفسه»^(٢٦).

وروى النعماني في الغيبة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لا يقوم القائم حتّى يقوم اثنا عشر رجلاً كلّهم يجمع على قول: إنّهم قد رأوه، فيكذبهم»^(٢٧).

والمراد أن الإمام عليه السلام يُكذبهم بعد ظهوره، ثم إنَّ التعبير بـ (يقوم) يُراد به النهوض بحركة إصلاحية يتقمّص فيها دعوى النيابة الخاصّة والارتباط معه عليه السلام.

وروى النعماني بإسناده عن عمرو بن سعد، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقوم القائم حتّى تفقأ عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء...، حتّى يظهر فيهم عصابة لا خلاق لهم، يدعون لولدي وهم براء من ولدي، تلك عصابة رديئة لا خلاق لهم، على الأشرار مسلّطة، وللجبابرة مفتنة، وللملوك مبيرة...» الخبر^(٢٨).



٨ - كثرة الادّعاءات الكاذبة من صاحب هذه الدعوى:

إنَّ من جملة ما يستدعي التوقُّف كثيراً قبل التفكير من معقولية هذه الدعوى هو نوع الدعاوى الأخرى للمدَّعي في نفسه، ممَّا قد يُوحى بأفضليته حتَّى على بعض أعظم الأولياء.

ومن أقواله في ذلك:

١ - فجميع هذه الأسماء لي، فأنا سعد النجوم، ونجمة الصبح، ودرع داود، وأنا وعد الله غير مكذوب^(٢٩).

ثمَّ يقول: مَنْ نجمة داود؟ أحمد الحسن^(٣٠).

وما قيمة حساب الجمل في سوق إثبات الحقائق وعند أهل العلم والاختصاص؟

٢ - كون دماء الحسين عليه السلام سالت لأجله، قال: (وستشكوكم دماء الحسين عليه السلام التي سالت في كربلاء لله، ولأجل أبي عليه السلام، ولأجلي)^(٣١).

٣ - في بيان البراءة يقول: (لقد قامت عليكم الحجَّة البالغة التامَّة من الله سبحانه وتعالى بي بأنِّي الصراط المستقيم إلى جنَّات النعيم).

٤ - إنَّ معه روح القدس الذي هو غير روح القدس الذي كان مع عيسى وغير الذي كان مع الأنبياء الآخرين.

قال: (وهذا هو الروح القدس الأعظم لم ينزل إلَّا مع محمَّد صلى الله عليه وآله، وانتقل بعد وفاته إلى علي عليه السلام، ثمَّ إلى الأئمَّة عليهم السلام، ثمَّ من بعدهم إلى المهديين الاثني عشر)^(٣٢).

٥ - إنَّه الحجر الأسود: قال في كتابه الجواب المنير: (فالحجر الأسود الموضوع في ركن البيت، والذي هو تجلي ورمز للموكل بالعهد والميثاق، هو نفسه حجر الزاوية الذي ذكره داود وعيسى عليه السلام، وهو نفسه الذي يهدم حكومة الطاغوت في سفر دانيال عليه السلام، وهو نفسه قائم آل محمَّد أو المهدي الأوَّل الذي يأتي في آخر الزمان، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام)^(٣٣).



٦ - إنه روضة من رياض الجنة أخبر عنها رسول الله ﷺ: ذكر ذلك في كلمة مسجلة ذكر فيها معجزة معرفته بموضع قبر السيدة فاطمة.

٧ - ادّعاء أنّ في ظهره ختم النبوة، لكنّه ليس ظاهر الخلقة، ولكن يمكن أن يُظهره الله لمن يشاء.

ولا أدري أيّدعون أنّ ختم رسول الله ﷺ كذلك، مع أنّ من كان يسعى لقتله ﷺ كان يبحث عن هذا الختم ولم يكن يخفى على أحد؟ ومن أراد أن يجمع شيئاً من هذه المدّعات الغريبة عثر على الكثير.

إنّ صدور كلّ هذه الادّعاءات من شخص واحد يضعه في دائرة الاتّهام بالكذب، بل الجزم به لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذا يستدعي أن يتعامل مع ما يقوله في موردٍ خاصّ بغاية الحذر والتشكيك، فإنّ مجرد عدم ورود شيء يُثبت وثاقة الرجل أو دينه - كأن ينصّ على مدحه من غير جهة الوثاقة - مانع من قبول روايته، فكيف مع كلّ هذا الجوّ من الدعاوى؟! بدون تلك الدعاوى تقول رواية المفّضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام: «إنّ ادّعى مدّع فاسألوه عن تلك العظام التي يجب فيها مثله»^(٣٤).

ثمّ إنّ هنا جملة من المؤشّرات التي تمنعنا من قبول مثل هذه الدعاوى أو الاستناد إلى هذه الرواية لترتيب هذا الأثر المهمّ.

١ - الفرق بين حجّية الظهور والواقع:

يتحرّك الإنسان منطلقاً من علمه إن أمكنه حصول العلم، ولمّا كانت دائرة العلم فيما نحتاجه من تصديقات ضيّقة إلى حدّ بعيد، دار الأمر بين أن نتوقّف خارج دائرة العلم ونقتصر في التحرك على العلم فقط، أو أن نوسّع دائرة التحرك لتشمل الموارد التي يحصل فيها ظنّ خاصّ أو مطلق الظنّ، وربّما وسّعناها إلى بعض الاحتمالات ولو كانت ضعيفة، ومن يشترك في دائرة



الانصيب في المجتمعات الكبيرة قد يصل عددهم إلى عشرات الملايين مع أنَّ فرصة الفوز للمشارك قد لا تصل إلى نسبة الواحد إلى عشرة ملايين. والتوقُّف عند حدود دائرة العلم يعني بالضرورة توقُّفاً شبه تامٍّ للحياة، فلا من يذهب إلى المدرسة يعلم أنَّ الظروف ستناسبه إن بقي حياً ليصل إلى ما خطَّط له، ولا يتحرَّك عالم لبحث أمر ما، ولا يسعى مخترع للوصول إلى مخترع ما، ولا يدخل تاجر في التجارة، ولا يخوض مستكشف غمار تجربة الاكتشاف، وغير ذلك. ومن هنا قضت ضرورة الحياة أن تُوسَّع دائرة التحرك بما يتعدَّى حالات العلم، وهناك مفردات لا يحصل العلم بها تبنَّى العقلاء على الاعتماد على الظنِّ فيها كما في الظنون الخاصَّة التي منها ظهورات اللفظ والظهور الحالي، ومنها خبر الثقة أو الخبر الموثوق المضمون.

وكيف كان فقد تبنَّت المجتمعات العقلانيَّة على الاعتماد على الظهور في تحديد مراد المتكلِّم من كلامه، ولمَّا لم يردعنا الشارع المقدَّس بردع واضح عن التعامل مع ما صدر منه بالظهور لتحديد مراده، استكشفنا بالقطع أنَّه يقبل بمرجعية الظهور لتحديد مراداته.

لكن دور الظهور إنَّما هو في حدود التحديد التبعدي، وليس كلُّ الموارد يكفي فيها التحديد التبعدي، ففي الفروع يكفيها التبعُّد في تحديد الأحكام الشرعية، وأمَّا في الاعتقاد فالمسائل الأساسيَّة لا يكفي فيها التبعُّد، وهذا يعني أنَّ مجرد ظهور الدليل على المعتقد الأساسي غير كافٍ في الاستناد إليه لبناء معتقد ولو كان صدوره قطعياً، وأمَّا في تفصيلات الاعتقاد - فيمكن على نظر مشهور - الاستناد إلى التبعُّد كالظهور في جهة الدلالة وخبر الثقة في جهة الصدور. ولكن مع ذلك فإنَّ دور الظهور هو بناء صورة المعتقد، وفي بعض الموارد لا يكفي ذلك، بل نحتاج إلى قطع الشكِّ باليقين، ومن هنا احتاج الأنبياء في إثبات نبوتهم إلى المعجزة والسبل التي تورث القطع، ومثل هذا يجري في



الأئمة عليهم السلام. والرايات التي سترتفع وارتفعت في ما مضى من الزمن لا يكفينا مجرد ظهور في رواية ولو كانت قطعية السند لتحديد أنها على حق، أو أنها المعنيّة بتلك الرواية، إذ لا بدّ من القطع في النتيجة وهو لا يحصل إلّا إذا توفّرت جهتان قطعتان في الرواية: الأولى جهة الصدور والثانية جهة الدلالة. وقطعية الدلالة لا تحصل في الدليل الذي يدلّ على قضية خارجية إلّا إذا توفّرت فيه حشيات المقصود بالنحو الذي يمنع من احتمال انطباقه على فرد آخر، وأين هذا من لفظ (مهيدين اثني عشر) إذا كان المراد تحديد أشخاصهم؟

ولو سلّمنا إمكان التعبّد فإنّها تُسلّمه في مثل: «فأتوه ولو حبواً على الثلج»^(٣٥) التي لم ترد في اليماني، إذ وردت بصيغة الأمر، والأمر ظاهر في الوجوب، ويمكن الاكتفاء هنا بالظهور لإثبات الوجوب.

ولكن كلّ حكم يحتاج إلى إثبات موضوعه، والرواية لم تتناول هذه الجهة بالإثبات، بل هي تقول: (عند ظهوره)، فإذا شككنا أنّ الوجود الفلاني هو المعنيّ والذي يجب الإتيان إليه ولو حبواً على الجليد، فإنّ الرواية المزبورة ليست الحلّ، لأنّه قد ثبت في محله أنّه لا يجوز التمسك بالدليل في الشبهة الموضوعية له، فإنّ دور الدليل هو إثبات الحكم للموضوع، ومتى ما ثبت الموضوع جاء دور الدليل ليقول: إنّ الحكم الكذائي ثابت لهذا الموضوع.

فإن قيل: ما فائدة الأخبار الواردة في كلّ هذه الموارد إن لم يُتّفع بها على مستوى التعبّد بعد عدم ارتقائها في الدلالة، بل والصدور إلى مستوى القطع؟ كان الجواب: أنّها بصدد إعطاء تصوّرات كليّة عمّا ستكون عليه الأحداث في مستقبل الأيام، لتكون الناس على تصوّر إجمالي، فلا تصدمهم الأحداث ولا تفاجؤهم الدعاوى.

ويشهد لما أقول أنّ أكابر المتخصّصين والعلماء قد اختلفوا في تحديد المراد من الأحداث التي ورد التنبيه إليها في الروايات على أنّها من العلام.



بل يشهد أيضاً عدم توفر الشخصيات التي تمنع من احتمال انطباقها على أكثر من فرد، ولو كان المراد معرفة تلك المفردات لتوفرت الروايات على ما يقطع الشك باليقين من خلال استيعاب كل ما يتوقف عليه قطع الشك في المراد.

وهل تظن من حكيم أن يجعل دينه منوطاً باتباع شخص ثم يقتصر على رواية أو حتى روايات حوت وصفاً فضفاضاً يمكن أن يدعيه أي ابن أم أو كل من هبّ ودبّ؟

ويضاف إلى ذلك أن الأوصاف التي تُذكر لتحديد فرد ما أو قضية خارجية ما لا بد أن تكون قابلة للتحقق من وجودها من قبل الناس، أو لا أقل من أصحاب التخصص في ذلك المجال. ووصف المهديين يحكي شيئاً باطنياً لا يمكن أن يقف عليه خواص الناس فضلاً عن عوامهم، وكيف لنا أن نتحقق أن فلاناً مهدي؟ وهل نكتفي بدعواه، ولا يوجد تاريخ قد يدعمه ولا واقع يُصدّقه ولا معجزة تدلّ عليه؟

ومثل الأنبياء الذين ارتقوا في مراتب الكمال حتى وصلوا إلى مرتبة حصل معها الانفتاح على الغيب والتواصل مع السماء، والذي يعني أن الكثير من مؤشرات الاستقامة وارتقاء النفوس قد لاحت للناس فيهم لم يُكتفَ منهم بمجرد ذلك، وكان حقاً للناس أن يطالبوهم بالمعجزة لإثبات صدق مدّعاتهم، فكيف يُكتفى بدعوى مدّعي أنه المهدي الأول المعني بالرواية، ولم يُعرف منه تقوى أو تاريخ استقامة، يتعكّز على رؤيا أو منام قد تراه آحاد الناس؟ ومتى كان دين الله يُرى في المنام؟ والموروث الشرعي على ضخامته لم يُحدّثنا عن نبي من الأنبياء أنه احتج على الناس برؤيا أو منام، ونحن وإن التزمنا بأن ما يراه المعصوم في منامه كالذي يسمعه في يقظته، لكن ذلك خاص برؤيا المعصوم لا رؤيا أحد آخر، على أن عالم اليقظة شهد دعوى المفتريين أن بعضهم آلهة



وبعضهم أبناء آلهة أو رُسُل أو أنبياء أو أئمة مع الجزم بكذبهم، فلماذا نستبعد كذب الرؤيا من عوامِّ الناس وجُهاَّهم؟

وأما كيف كانت دلالة رواية الوصية في حدود الظهور؟

فجوابه: أنَّ اللفظ إنَّ احتمَلَ أن ترتبط به قرينة على الخلاف دون حصول تناقض في دلالته، فدلالته في حدود الظهور وإلاَّ فهو نصٌّ، ولو أنَّ الرواية جاء فيها بعد ذكر المهديين الاثني عشر فقرة (والمراد رجوع الأئمة عليهم السلام فيحكمون واحداً بعد الآخر) لما أحسنا بالتنافي في متنها، إذن فدلالته في حدود الظهور. وكيف كان فالمفردة الاعتقادية التي تنعكس على واقع التحرك العملي - ولا يُراد منها مجرد سدِّ ثغرة في صورة عن الواقع دون ترثب أثر عملي كتفاصيل البرزخ ويوم القيامة وما بعده - قد لا يكفي فيها دليل التعبد، إذ المطلوب هو إدراك الواقع لا التعبد بصورة حاكية عنه، قد تصيبه وقد تخطئه.

وهذا يعني الحاجة إلى دليل قطعي في جهتي السند والدلالة، وأنَّى لهم التناوش من مكان بعيد، وإنَّما هي نفس واحدة وثمرتها الجنة ليس إلاَّ، فلا يقبل المنطق أن أبيعها استجابةً لناعق نعق هنا أو زاعق زعق هناك.

٢ - الظهور حجة على صاحبه أو من ساغ له تقليده ومتابعته:

لو أغفلنا النظر عمَّا ذُكرَ في المبحث السابق، والتزمنا بحجية الظهور في مثل هذا المورد، ولم تقم قرينة على خلافه تُسقط الحجية عنه، ولم تعارضه دلالة دليل آخر بنحو مستقرٍّ بحيث يُسقطه عن الحجية ويُقدِّم عليه أو يسقط معه وفقاً لقواعد التعارض المنقحة في محلِّها في باب التعادل والتراجيح، فإنَّ الظهور إنَّما يكون حجة على من تحقَّق عنده دون غيره، وفي محلِّ الكلام نقول: إنَّ المورد ليس من الفروع العملية ليسوغ التقليد فيه، ولا أنَّ المقلد المزعم قد توفَّرت فيه شرائط التقليد بنحو تحقَّق المكلف من ثبوتها، وأنَّى له التثبت من وجودها فيمن احتجب عن الأنظار وغاب عن الأبصار؟ وفي المقابل ليس



للمتابعين قابلية التحقق من الظهورات وإعمال قواعد الصناعة في استنتاج الأدلة والوقوف على مكنون معانيها وواقع مقاصدها. وملاحظة المعارض لها وما يمكن أن يؤثر في المفهوم منها مما يصلح لأن يكون قرينة على إرادة ما هو مخالف للظاهر أو ما يؤثر على قبولها رغم تمام دلالتها - لو تمت -، وعلى هذا كيف يحل الإشكال في المتابعة؟

ونحن حين نظرنا إلى هذه الرواية لم نجد فيها ما يصلح للدلالة على المدعى المزعوم ولا تشخيص الفرد المراد، إذ إنها تتحدث عن قضية خارجية وليست بصدد بيان حكم كلي ليقال: إن الدلالات تتناول المفاهيم، وفي مقام تحديد المفاهيم يرجع إلى الفهم العرفي. مضافاً إلى كثرة الهنات في الاستفادة المزبورة من قرائن عقلية ورواية معارضة وقرائن منفصلة. فكيف يُراد إتمام الحجّة علينا بدعوى تُسوّق على أنّها مستندة إلى دليل صالح لتأسيس مثل هذا الأمر المهم؟

٣ - تدبير الأمور مقتن:

إنّ الكون قائم بالله تعالى خالقه ومدبّره، يحكم كلّ صغيرة وكبيرة فيه بكلمة كن التكوينية ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وإدارته تعالى لعالم خلقه وفق ضوابط لا تتخلّف، فلا مجال للانتقائية ولا للمواربة ولا للمحاباة، نعم تؤطّر ذلك الحكمة والعدل والالطف.

وهذا يعني أنّ إعمال عناية بأمر ما يحتاج إلى توفر ما يوجب تلك العناية فيه، وحين يدعى أنّ الله تعالى أعمل عناية تكوينية بأمر ما، ووظف الغيب وحرّك يد الإعجاز لغرض ما، أو في مورد ما، فلا بدّ أن تكون فيه بعض الخصوصيات التي استدعت ولو بنحو الاقتضاء ذلك التدخل الغيبي، وهذا يعني وجود المقتضي كذلك في كلّ مورد توفّرت فيه تلك الخصوصية بمستوى مماثل أو أعظم منه.



وحين نقف على دعوى تدخّل الغيب وسلوك سبيل الإعجاز في حفظ وصيّة ما عن أن يدّعيها مفتر أو كذاب، من حقنا أن نتساءل عن مستوى الأهميّة في تلك الوصيّة الذي جعلها تحظى بهذا المستوى من الاهتمام.

وهل كانت عملية التمهيد لظهور الإمام عليه السلام وقيام دولة الحقّ أهمّ من نفس قيام الإمام عليه السلام؟ والتاريخ حافل بمدّعي المهدوية على مرور أيّامه وتراخي سنّيه. ألم يكن منع المدّعين من ادّعاء الإمامة بالإعجاز أولى من منع ادّعاء من يقول بوجود وصيّة بالمهدّد للإمام عليه السلام؟

ثمّ ألم يكن الأولى منهما معاً منع سبيل ادّعاء النبوة؟ وما أكثر من ادّعاها. والقرآن يبيّن عظم هذه الفرية على الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (الأنعام: ٩٣).

بل ألم يكن منع ادّعاء ولد الله تعالى أولى بالمنع؟ والقرآن يؤرّخ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠). على أنّ في الآية دلالة واضحة على ادّعاء النبوة للإله من أقوام قبل اليهود والنصارى، وما أعظم هذا الادّعاء.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۝٨٨﴾ تكادُ السّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلِداً ۝ (مريم: ٨٨ - ٩١).

وهذه الآيات تغنيك عن استبيان مستوى أهميّة المنع عن ادّعاء ثبوت أبوة الله لأحد، وما أعظم سورة التوحيد التي تعدل ثلث القرآن، وقد تعرّض نصفها لنفي نسبة أحد إلى بنوة الربّ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٣ و٤).

فلو كان الله تبارك وتعالى قد جرى على الاستناد إلى التكوين في منع دعوى



المدّعين ألم يكن باب دعوى من ادّعى النبوة له تعالى أولى من سدّ باب دعوى من ادّعى وصيّة لمهّد للإمام عليه السلام ولو كان ذلك في مشروع بشارة الأنبياء عليه السلام؟ ثم ألم يكن منع ادّعاء الربوبية أولى بالمنع تكويناً من وصيّة لمهّد؟ وما أكثر من ادّعاها في مختلف مقاطع التاريخ البشري، وما فرعون ونمرود إلّا مثالين من عشرات على مرّ التاريخ.

وأنا أجزم بعدم المنع، وأنا أرى من يفترها الآن، وستمرّ الأيام ويذهب الزبد جفاءً وتسقط كلّ وليجة دون أمرهم عليه السلام. وقد أعجل التاريخ على الكثير ممّن هَيّئ لهم أنّ الأمور قد مُهّدّت لهم حين قذف الله بالحقّ على الباطل فدمغه، فإذا هو زاهق، ولهم الويل ممّا يصفون.

٤ - التكتّم على أسماء أصحاب المشاريع الإصلاحية الإلهية:

إنّ المتبّع في مشاريع الإصلاح الإلهي التي يخبر عنها قبل زمانها يجد أنّها يتمّ التعمية عليها منعاً من الاطّلاع التفصيلي على الشخصيات التي أوكلت لهم قيادة تلك المشاريع، وفي ذلك سلوك سبيل الأسباب الطبيعية لحماية المشاريع وقادتها، فحين تقتضي الحكمة أن يبعث نبيّ في بني إسرائيل وتأتي البشارة الإجمالية أنّه من نسل عمران تنصرف كلّ الأذهان إلى أنّه ابن مباشر له، وحين تكشف ولادة زوجته أنّ الحمل لم يكن إلّا أنثى تصاب أناس بالذهول، ثمّ يعمى الأمر على الناس حتّى تفاجأهم العابدة القدّيسة بصبي تحمله بين يديها، فما كان منهم إلّا أن اتهموها بالمنكر، وحين تُسأل عن ذلك تشير إليه بما يفهم منه أنّه هو الذي سيُجيب عن تساؤلاتكم، فيشاء الله تعالى أن يخرق نواميس الطبيعة فينطق الصبي حديث الولادة بأنّه النبيّ الذي كان في حمله وولادته ونطقه آية للناس ورحمة، فيبهت هذا الخروج الصارخ عن المألوف أنفسهم ويُخرس ألسنتهم.



وحين يقع في التقدير الإلهي أن يُبعث النبي الخاتم بالدين الخالد والمشروع الإلهي الكبير، وتقتضي الحكمة الإلهية التنويه عنه ينطق عيسى عليه السلام في دعوته لبني إسرائيل بقوله: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

لكنه لم يُبين بالنحو الذي لا يقبل اللبس والاشتباه، فالناس لم تكن تعرفه عليه السلام باسم أحمد، بل هو محمد عليه السلام، ولا شك أن تنويه عيسى عليه السلام بذلك الاسم لم يكن لأجل التعرف عليه، وإلا لكان المناسب أن يُسميه باسمه الذي كانت تعرفه الناس به، وبملاحظة أنه عليه السلام كان يقول: «اسمي في السماء أحمد»^(٣٦) يتبين أن التعرُّض للتسمية كان للتنويه لا للتشخيص.

ولهذا لم يستعمل النبي عليه السلام ذكره باسمه في الإنجيل للاحتجاج على النصارى، بل كان عليه أن يدفع الاختلاف بين الاسمين ما تعرفه الناس به وما نصَّ عليه عيسى عليه السلام، ولم أقف على حاجة واحدة منه عليه السلام عليهم بذلك ليثبت أنه هو النبي المبشَّر به.

بل سلك معهم سبيل المنطق والاستدلال، ودعم ذلك من خلال المعجزات إن كانت مؤثرة فيهم، وإن سُدَّتْ أبواب الاستجابة دعاهم إلى المباهلة كما حصل مع نصارى نجران.

حين ترسم البيانات خريطة مسلك الإمامة ومتسني ذلك المنصب، وتشير إلى أن آخرهم يُمثّل بشارة الأنبياء ومفردة تحقّق العدل الإلهي على الأرض، ليكون معلماً للحياة في الأرض بعد أن امتلأت ظلماً وجوراً يُعمى على الناس أمر ولادته، ويخفى حتى على الخواص إلا في دائرة ضيقة جداً، بل ويحرم التصريح باسمه، وفي ذلك سدُّ لباب تعرُّض أعداء المشروع الإلهي لحياته بسوء، والروايات صريحة في أن بعض حكم الغيبة ترجع إلى ذلك.



حتى إذا قضى الله تعالى بقضائه أن يخرج ﷺ كان خروجه بغتةً، فمثله كمثله الساعة ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

على أن معرفتنا باسمه في زماننا لا تُشكّل خطراً عليه، لأن الغرض ليس تعيين شخصه من خلال الاسم، فهو غائب عن الأنظار ليس بإمكان شخص أن يطبق الاسم على المسمى دون الخروج عن الموضوعية، وحين يعلن عن نفسه في المسجد الحرام يكون الأمر التكويني بحفظه ونصرة حركته قد صدر من الله تعالى، فيجيء دور الإعلان لا الكتمان، كما أعلن النبي ﷺ عن دعوته، وأعلن عيسى عليه السلام عن نبوته.

فكيف والحال هذه أن يأتي من هو بزعمه قائد التحرك للتمهيد لدولة الحق وبشارة الأنبياء عليهم السلام، ويقول: لقد أثبتت الروايات هذا الأمر لي، وأنا الذي أسمتني بأحمد، وأني من المدينة الكذائية؟ مع ملاحظة أن حركته لو كانت حقّة فإن فيها تهديداً لكل النظم السياسية في العالم أجمع وكثير من النظم الحالية قائمة على الظلم والاستبداد ومتخذة للكفر والإلحاد مسلكاً ومذهباً تدين به، ممّا يعني أن المبررات للإيقاع به وواد حركته ستكون على مستوى عالٍ من الشدّة.

وهذا الوجه إن لم يكن دليلاً فلا أقل من كونه مؤيداً يُتّفع به في دعم بقيّة الوجوه.

ولكن هذا الوجه يضعف من خلال وجود المعارض، فقد روى الصدوق بسند تام عن أبيه وابن الوليد معاً، عن سعد الحميري ومحمد العطار وأحمد بن إدريس جميعاً، عن ابن عيسى، عن البرزطي، عن أبان بن عثمان، عن محمد الحلبي - فالرواية موثقة لمكان أبان بن عثمان الذي هو من أصحاب الإجماع -، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما



حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً، فقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَبْطُ سَيُظْهِرُونَ عَلَيْكُمْ وَيَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَإِنَّمَا يَنْجِيكُمْ اللَّهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ اسْمُهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، غَلَامٌ طَوَالَ جَعْدِ آدَمَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُسَمِّي ابْنَهُ عِمْرَانَ وَيُسَمِّي عِمْرَانَ ابْنَهُ مُوسَى» (٣٧).

فالرواية سَمَّته وَبَيَّنَتْ أَنَّهُ صَاحِبُ مَشْرُوعِ خِلاصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَتْ صِفَاتِهِ الْجَسَدِيَّةَ، لَكِنَّهَا إِنَّمَا ذَكَرَتْهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ دُونَ فِرْعَوْنَ، وَيَبْدُو أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمْ يَفْهَمْ تِلْكَ الْأَوْصَافَ، لِأَنَّهُ بَدَأَ بِمِرَاقِبَةِ كُلِّ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ويمكن مناقشة هذا الجواب ببعض الوجوه التي أعرضت عن ذكرها والوقوف عندها حذراً من الإطالة، ولعدم ترتب فائدة كبيرة خصوصاً مع اتِّخاذه مؤيداً لا دليلاً.

٥ - المعجزة خيار الحالات الاستثنائية:

أجرى الله تعالى نظامه الكوني على قانون السببية، ولكن هناك بعض الحالات التي تقتضي فيها الحكمة، وربما تدعو الضرورة إلى أن تخرق فيها القوانين المألوفة بنحو من الإعجاز، أو ما يكون قريباً منه، ممَّا يُشكِّلُ خرقاً للنَّظْمِ المألوفة التي تجري عليها جزئيات هذا الكون، ولكن الأصل هو أن توجد الأشياء بأسبابها المألوفة.

حين يُبْعَثُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يُكْتَفَى بِمَجَرَّدِ قَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُ، فَقَوْلُ الْحَقِّ بِمَجَرَّدِهِ لَا يَكْفِي لِإِثْبَاتِ نُبُوَّتِهِ وَسَفَارَتِهِ عَنِ السَّمَاءِ، وَمَا مِنْ سَبِيلٍ لِلتَّحَقُّقِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ بِشَرِّبِهِ هُوَ بَشَرٌ، وَلَا يَكْفِي أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يَعْجزُ عَنْهُ الْآخَرُونَ، فَالْأَبْطَالُ الْخَارِقُونَ وَأَصْحَابُ الْأَرْقَامِ الْقِيَاسِيَّةِ فِي مَخْتَلَفِ مَجَالَاتِ الرِّيَاضَةِ، وَالْمَكْتَشِفُونَ الْأَعَاظِمَ لَا يَكْفِي لَهُمْ ذَلِكَ لِإِثْبَاتِ أَنَّهُمْ



أنبياء لو ادَّعوا ذلك، ولا بدَّ من قطع الشكِّ باليقين لتتمَّ الحجَّة على العباد، والدور الحاسم هنا للمعجزة، وقد يسبقها تهديد من نبيٍّ سابق ثبتت نبوَّته بطريق قطعي، ولكن لا يُستغنى أبداً عن المعجزة وخرق القوانين المعروفة للطبيعة، فإتمام الحجَّة على العباد يتوقَّف عليها في حالات. وفي أخرى لطف الله تعالى يستدعيها، لأنها تُقرب الناس من الطاعة والاستجابة لدعوات الأنبياء، ومن هنا لم يقتصر نبيٌّ على معجزة واحدة.

فحين يُوضَّع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق ليُرمى في نار لعظمها لا يتمكَّنون من الاقتراب منها، وكلُّ الأسباب الطبيعية تشير إلى طيِّ صفحة وجود نبيٍّ عظيم، لكن الله ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣)، فتحوَّل أداة الإحراق إلى آلة برد وسلام عليه.

وحين اقتضت الحكمة أن يبعث الله تعالى موسى عليه السلام نبياً في وقت سُدَّت فيه الطرق الطبيعية لولادته، حيث كان جلاوزة فرعون يُفتِّشون نساء بني إسرائيل عن أيِّ علامة حمل جديد فتُبْقَر بطون الأمَّهات، تدخَّلت يد الغيب في التكوين لتتجاوز النواميس الطبيعية وتُعطلَّ القوانين المعروفة منها، فيتوقَّف جسمه عن النمو إلى آخر ليلة في بطن أمِّه، ثمَّ يكبر في ساعة، فتلده دون أن يعرف بذلك جلاوزة فرعون، كما نصَّ على ذلك الطبرسي في تفسيره ^(٣٨).

حين يستدعي فرعون قومه لينال من موسى وقومه وهم شرذمة قليلون، وكانوا له غائظين، تجتمع الآلاف لصيد سهل سمين، وينادي أصحاب موسى ﴿إِنَّا لَمُذْرَكُونَ﴾ (الشعراء: ٦١)، حين استندوا في رؤيتهم إلى الأسباب الطبيعية، فيقول موسى ﴿إِنِّي أَنذِرُكُمْ﴾ الذي اعتقد بالغيب واطمأنت به نفسه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢)، تُضرب القوانين الطبيعية أيضاً،



فينفلق الماء حتّى أصبح كلُّ فرق كالطود العظيم، ليعبر موسى وقومه بسلام، ثمّ تطبق الموجات العظيمة على جيش فرعون، وهو في لحظات إحساسه بأنّه أقرب ما يكون من التخلّص من هذا النبيّ العبرانيّ.

حين تقتضي الحكمة أن يُخلّق عيسى عليه السلام من غير أب، وتتوقّف قوانين الطبيعة عن أن تقنع الناس بذلك، ويتوقّف قبول نبوّته على دفع التهمة عن أمّه، تتدخّل يد الغيب مرّة أخرى لتقطع ألسنة المشكّكين، فينطق الصبي في يومه الأوّل: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) (مريم: ٢٩ - ٣٣).

فدُفِعَت التهمة بذلك عن أمّه، وأقيمت الحجّة القاطعة على نبوّته.

حين يتسلّل أربعون رجلاً لقتل النبيّ عليه السلام، ليضيع دمه بين القبائل، فلا تقدّر هاشم أن تأخذ بثأره، وتُعلن الأسباب الطبيعية عجزها عن أن تُهيئ سبيلاً للمراد الإلهي بحفظ النبيّ عليه السلام وإعلاء دينه، يقول الغيب كلمته، وتُعطلّ قوانين الطبيعة بقوانين الأمر الإلهي الذي إذا أراد شيئاً يقول له: كن فيكون، وتفعل حاكمية الله ما يلائم المارد الإلهي، فيمرّ عليهم دون أن يشعروا به، ويرمي على رؤوسهم التراب، فتبدأ الهجرة. وحين يكاد يُدرّكه القوم وهو في الغار بعد أن استعانوا بخبرة متبّع الأثر في الصحراء، يتوقّف إنجاؤه على خرق قوانين الطبيعة، فتُساق الحمامة لتصنع عشّاً، وتُقيّض عنكبوت لتصنع بيتاً يسدّ فوهة الغار، فينصرف عنه أعداؤه وقد كادوا أن يمسكوا به.

حين يحين وقت ولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام، والقوم قد جعلوا بيت



والده تحت مراقبة شديدة ينتظرون قدومه ليفتكوا به فيقطعوا بذلك هواجس الخوف على ملكهم، وتعجز أسباب الطبيعة عن أن تجد مخرجاً لتلك المشكلة، يكشف الغيب عن مكنون قدرته، ويُعطّل بعض قوانين الطبيعة بحاكميته عليها، فتنتفي آثار الحمل عن أمّه حتّى على الخواصّ.

فالسيدة حكيمة عمّة أبيه، والتي أرسل إليها لتشهد تشرف العالم بقدوم مصلحه وناشر راية الهدى ومحطّم أعلام الضلال، تستغرب من الخبر، مع أنّ الذي أخبرها إمام زمانها، إذ صدمها أنّها في ليلة الولادة لا ترى آثار حمل فضلاً عن مقدّمات ولادة عند أمّه.

ولمثل ذلك نقول: إنّ خرق قوانين الطبيعة تمثّل حالة استثناء يُصار إليها عندما تُعلن قوانين الطبيعة عجزها عن توفير وتحقيق المراد الإلهي، أو أنّ المعجزة تكون سائدة للأسباب الطبيعية عندما يترتب على المعجزة الإلهية أثر لا يكاد يترتب بدونها، وأمّا أن تُترك المسألة كاملة للغيب دون أن تُحرّك الأسباب الطبيعية ساكناً مع إمكان الاستفادة منها، فهذا من زخرف القول. أليس من الممكن أن يُخبر عن الوصيّة بخبر تامّ السند تامّ الدلالة وهي بهذا المستوى من الأهميّة بزعم مدّعيها؟ بل ألم يكن متيسّراً أن تأتي عشرات الروايات في ذلك، ثمّ لو احتاج الأمر إلى تدخّل يد الغيب في صرف المفترين عن ادّعائها لتَمّ اللجوء إليه؟

وله أن يقول: إنّ صرف الناس الذي تحدّثنا عنه واستعمال المعجزة ليس في إثبات أصل الوصيّة ليرد ما تقدّم، بل إنّ الله قد صرف الناس عن ادّعائها، وأين هذا من أصل ثبوتها؟

قلنا: الكلام هو الكلام، فهل سُدّ الطريق عن أن تأتي روايات واضحة دلالة وقويّة سنداً لتحدّد لنا سمات هذا الممّهّد الخلف! الذي سبق الإمام عليه السلام



بالتمهيد له ثم يخلفه في حكمه، فإذا لم يكن ذلك كافياً استعين بالمعجزة؟ ولكن إذا كان المقصود من الكلام سُذْج الناس وبسطاءهم، فما الحاجة إلى المنطق والدقة العقلية خصوصاً والمنطق على خلاف ما يريده المتكلم؟

٦ - تناسب الاهتمام مع مستوى الأهمية:

كلُّ عاقل ملتفت له مرادات يسعى للحصول عليها وتحقيقها، ولا بدَّ أن يكون مستوى اهتمامه بها متناسباً مع مستوى أهميتها، والشارع المقدس لا يخرج عن هذه القاعدة، فحين تُشكّل الصلاة عموداً للدين، فإنَّ ذلك يستدعي إبراز اهتمام بها يتناسب مع مستوى أهميتها، ومن هنا أتانا سيل من البيانات في الكتاب والسنة، مع أنَّ مؤشّرات زيادة الاهتمام بها لم تقتصر على مثل هذه الآيات، فربطَ قبول الأعمال بقبولها «إِنْ قُبِلَتْ قَبْلَ مَا سِوَاهَا وَإِنْ رُدَّتْ رُدَّتْ مَا سِوَاهَا»^(٣٩)، وكونها «خير موضوع، فمن شاء استقلَّ ومن شاء استكثر»^(٤٠)، وكونها أوَّل ما يُسأل عنها يوم القيامة^(٤١)، وتصدر تعليل أهل سقر لما لهم بأنهم لم يكونوا من المصلّين^(٤٢)، وأوَّل وصيّة تحدّث عنها عيسى عليه السلام من ربّه قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ﴾ (مريم: ٣١)، ومدى امتداد مدّة الصلاة في عمر الإنسان بما في ذلك النوافل منها، وكونها كالنهر الذي يذهب درن الذنوب في الرواية: «يا عليّ، إنّما منزلة الصلوات الخمس لأُمّتي كنهر جارٍ على باب أحدكم، فما يظنُّ أحدكم لو كان في جسده درن ثمّ اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات في اليوم، أكان يبقى في جسده درن؟ فكَذَلِكَ وَاللّهِ صَلَوَاتُ الْخَمْسِ لِأُمّتي»^(٤٣)، وغير ذلك كلّها قنوات تُبيّن أهميتها.

وعندما يتعرّض الكتاب الكريم لبرّ الوالدين يذكره في خمسة موارد تالياً للتوحيد: (النساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١، البقرة: ٨٣، لقمان: ١٣ و١٤، الإسراء: ٢٣)، ومع كون العطف بالواو وهي لا تفيد الترتيب إلّا أنَّ هذا الاقتران وتُلَوّ التوحيد لم يكن من قبيل الصدفة، مع أنَّ المؤشّرات الأخرى على أهميته ليست بالقليلة.

والأمثلة لذلك كثيرة جداً.

وبالعودة إلى محلِّ بحثنا وما يرتبط بمقدمات ظهور الإمام عليه السلام، فإنَّ مسألة بهذا المستوى من الأهمية المزعومة ومن تركها كان من أهل النار لا يشار إليها في الكتاب ولا في السُّنَّة إلا برواية واحدة سندها غاية في السقوط، اقض عجباً. إنَّ قتل النفس الزكية ليست إلا مفردة من الحوادث التي تسبق الظهور بخمسة عشر يوماً يتكرَّر ذكرها في الروايات، فقد نقل المجلسي في البحار جملة من الروايات في ذلك في الباب ^(٢٥) من علامات ظهوره عليه السلام، وهي الأحاديث: ٢٩ و ٣٠ و ٣٤ و ٤٠ و ٤٩ و ٧٨ و ٨٢ و ٩٨ و ١٠٠ و ^(٤٤).

مع أنَّها لا أهمية لها إلا العلامة مع قربها من زمان ظهوره، فليس هناك أمر بالاتباع أو الانتصار له أو أيُّ شيء آخر إلا أنَّها علامة من العلامات المحتومة التي تسبق ظهوره عليه السلام بقليل.

إنَّ التكليف للإنسان منطلقه محبة الله لخلقه، الله الذي يقول عن الذين يستهزؤون بأنبيائه عليهم السلام: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ٣٠).

الذي يخاطب الموغلين في ارتكاب الذنوب بأدفاً خطاب من خلال نسبتهم إليه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر: ٥٣).

الله الذي يضع نفسه في مقارنة مع إبليس وتاريخه ليكون مقدمة للومهم على اتخاذه ولياً من دون الله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٠).

حين تتجلى في إبراهيم عليه السلام الرحمة على الخلق ويجادل الملائكة الموكلين بإهلاك قوم لوط عليه السلام يذكر الله ذلك، ثم يمدحه بثلاثة أوصاف في ذيل الآية التي بعدها وليس فيها إلا تمجيده عليه السلام.





﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود: ٧٤ و ٧٥).

حين تتجسّد الرحمة في النبي الأكرم ﷺ تنهاه الآيات عن أن يبلغ تأسفهُ على الكفار حدّاً تذهب به نفسه ولا تنهاه عن أصل التأسف: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر: ٨).

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦).

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣).
و﴿بَاخِعٌ نَفْسُكَ﴾ أي قاتلها أسفاً.

الله الذي يقول عن نفسه في الحديث القدسي: «من تقرب إلي شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيتُهُ هرولة» (٤٥).

وماذا عسى المرء أن يقول عن عظمة الله وعظمة رفقهِ بالمؤمنين، ثم تتوقع بعد ذلك أن يأمر النبي ﷺ بالإيذاء لأمر غاية في الأهمية حتّى إنّ من لا يبادر إلى إعلان الولاء للموصى له، فإنّ له نار جهنّم دون أن يُحدّد رسماً ويُعيّن اسماً؟ إذ المفروض أنّ الرواية ذكرت له ثلاثة أسماء، ولم تُزوّد بهما يقطع الشكّ ويرفع الريب، أنقبل ذلك من رجل فيه شيء من الرأفة؟ فكيف نقبله من الله تعالى؟! إنّنا لا نتحدّث عن رجل آمن في زمن النظام البعثي مثلاً قد تمكّن الحقد على البشرية من روحه وملأ نفسه فيحاول أن يوقع الناس في موجبات العذاب.

صحيح أنّه تعالى يريد أن يتمّ الحجّة على الناس ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥)، لكنّه تعالى لم يقف عند ذلك، بل أعمل غاية اللطف، وتجلّت في أفعاله الرحمة التي لا يمكن أن توجد عند مخلوق، وما



أدّخره للآخرة يُمثل تسعة وتسعين جزءاً، ولم يظهر في الدنيا إلا جزء واحد. حين يُصوّر الإمام عليه السلام رحمته بعبادته وفرحته تعالى - على ضيق التعبير - بتوبته، فإنّك تسمع عجباً.

حين يذكر الإمام عليه السلام رجلاً بالحال التي يكون عليها عندما يعثر على دابّته في أرض مهلكة بعد فقدانها ثم يقول: «الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»^(٤٦).

مع ملاحظة أنّ العثور على الدابّة في مثل هذه الظروف فرحة بالنجاة بالحياة، وحينئذٍ تريد منّي مع معرفتي اليسيرة برحمة الخالق بخلقه، أن أقبل أنّه كمن نصب فخاً لعباده من خلال عدم تزويد العبد بالمعرفة اللازمة بأمر وعدم إمكانها لعدم توفّر أدواتها، إذ المفروض أنّه ليس إلا دعوة مدّع لا يؤيدها منطق ولا يدعمها دليل ولا يوافقها عقل، ثمّ يعاقب المخالف بالنار، تالله ما هذه طريقة الله تعالى مع خلقه ولا المعروف من فضله وإحسانه، بل هي أكثر ما تناسب عقدة الذنب عند القسّ كريگورد^(٤٧).

نعم إنّهُ يتحدث عن ربٍّ آخر لا نعرفه، فنعم الربُّ ربُّنا وبئس المتحدث عن ربِّه هو وأمثاله.

٧ - عاصمية رواية الوصيّة من الضلال:

من النقاط الجديرة بالتوقّف والمناقشة دعوى أنّ هذه الرواية عاصمة من الضلال أبداً بنصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ يقول صاحب الدعوى: (فلا تشكّوا بأنّه عاصم لكم من الانحراف والضلال عند ساعة القيامة الصغرى)، وقال أيضاً: (وكتاب رسول الله عند الاحتضار أمر عظيم أعظم من الصوم والصلاة فرضه الله على الرسول بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ و﴿حَقّاً عَلَى﴾ (البقرة: ١٨٠) ووصفه رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّه يعصم الأُمَّة من الضلال إلى يوم القيامة...).



وإنّا إذ نسمع هذا أولاً نتعجّب من الجرأة على الله بالافتراء على نبيّه ﷺ، إذ ليس في الرواية أنّ النبيّ ﷺ قال عن هذا الأمر: إنّه عاصم من الضلال. وثانياً: أنّ العاصم للأمة من الضلال إنّما يتصوّر في أمر يبقى ما بقي الليل والنهار كما ورد في الكتاب والعتره في حديث الثقلين: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»^(٤٨) الذي يرجع إلى العصمة من الضلال بشرط التمسّك، وبشرط أن يكون بهما معاً، أي بشرط الجمع.

وبما أنّ الكتاب والعتره باقيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فتعقل فيهما ذلك، ثمّ نُصدّقه، إذ نطق بذلك من لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى.

وأما أن يقال عن كلام ليس بعنوان وصيّة للأمة، بل وصيّة للإمام الثاني عشر عليه السلام بأن يُسلّمها إلى ابنه، بأنّها وصيّة عاصمة من الضلال فلا وجه لقوله، فهل منعت بيعة الغدير أمام عشرات الآلاف من المهاجرين والأنصار من الانحراف والزيغ؟ فحبرها لم يحف بعد والقوم قد انقلبوا عليه حتّى إنّ لم يثبت معه إلّا أربعة وبعض منهم حاص حيصة.

أم يُراد أنّ ذات الوصيّة عاصمة؟ فيرد عليه مع ملاحظة قوله: إنّّه يعصم الأمة من الضلال إلى يوم القيامة، أنّ هذا غير معقول، إذ أثر الوصيّة بزعم مدّعيها إنّما يكون في مقطع زمني لا يُشكّل شيئاً أمام امتداد عمود الزمان من رحلة النبيّ ﷺ إلى جوار ربّه إلى يوم القيامة.

وثالثاً: لا بدّ أن يثبت في رتبة سابقة صدور الوصيّة منه ﷺ، ودون ذلك خبط القناد، فالطريق في غاية السقوط، وقد بيّنا ذلك في محلّه. ورابعاً: إنّ ما أراده من التفريع على وصفها بأنّها عاصمة من الضلال -



وهو استحالة أن يدَّعيها أحد من المبطلين، لأنَّ ذلك يلزم منه اتِّهام الله تعالى بالكذب أو العجز عن حفظ كتاب وُصِفَ بأنَّه عاصم من الضلال - أو هن من بيت العنكبوت.

فهل كان هذا الكتاب أهمَّ من التوراة والإنجيل وقد نصَّت الآيات على أنَّ أهل الكتاب يُحرِّفون الكلم عن مواضعه، مع أنَّ التوراة والإنجيل كتابا هداية لنبيَّين عظيمين من أولي العزم من الرسل؟ وهل أنَّ هذا الكتاب أهمَّ من القرآن، وقد نصَّت آية فيه على أنَّه محفوظ من الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)؟

مع أنَّه في كتابه (العجل) يقول: (وردت روايات كثيرة عن أهل بيت النبي ﷺ دالة على التحريف، كما وردت روايات عن صحابة النبي ﷺ عن طريق السُّنة في كتبهم دالة على وقوع التحريف)، وهذا وفق قاعدة الإلزام، وهل عجز الله تعالى عن حفظ كتبه السماوية أو أنَّ رواية الوصيَّة كانت أهمَّ من تلك الكتب السماوية، خصوصاً مع نصِّه في القرآن على وصفه بأنَّه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فُصِّلَتْ: ٤٢)؟

وأقول هذا وأنا ملفت أنَّ كلامي المتقدِّم كان في حفظ النصِّ لا منع الادِّعاء، ولكنَّه نصٌّ هو على أنَّه (لا بدَّ أن يحفظ العالم القادر الصادق الحكيم المطلق سبحانه النصَّ الذي وصفه بأنَّه عاصم من الضلال لمن تمسك به - من المبطلين له حتَّى يدَّعيه صاحبه ويتحقَّق الغرض منه).

وأما على ما تقدَّم أنَّ هذا الوصف لهذا الكتاب أو الوصيَّة المزعومة لو كانت قد صدرت من النبي ﷺ بهذا اللفظ - و(لو) حرف امتناع لامتناع -، فإنَّ من المستحيل أن يكون المقصود منع أحد تكويناً من ادِّعائها إلى أن يأتي



صاحبها، مع ملاحظة أن هذا المنع لو كان فهو بطريق الإعجاز لا بالأسباب الطبيعية، وهذا له مقام آخر تعرّضنا له بما يناسبه في طيّات هذا البحث، فلا حاجة إلى التكرار.

٨ - توعد مخالفه بالنار:

ولعلّ من أسوأ ما ربّبه على الوصيّة المزعومة، أن من لم يسر معه هاوٍ وهالك، وأنّ عاقبته جهنّم، وهو خارج عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بريء منه، فقد ذكر في بيان البراءة في (١٣/٦/١٤٢٥ هـ): (لقد قامت عليكم الحجّة البالغة التأمّة من الله سبحانه وتعالى بي بأنّي الصراط المستقيم إلى جنّات النعيم، فمن سار معي نجا ومن تخلف عني هلك وهوى، وهذا هو الإنذار الأخير لكم من الله ومن الإمام المهدي عليه السلام وما بعده إلّا آية العذاب والحزي، وفي الآخرة جهنّم يصلونها وبئس المهاد لمن لم يلتحق بهذه الدعوة).

إلى أن يقول: (وأعلن باسم الإمام محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام أن كلّ من لم يلتحق بهذه الدعوة ويُعلن البيعة لوصيّ الإمام المهدي عليه السلام بعد (١٣/ رجب/ ١٤٢٥ هـ) فهو:

١ - خارج من ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو بهذا إلى جهنّم وبئس الورد المورد، وكلّ أعماله العبادية باطلة جملةً وتفصيلاً، فلا حجّ ولا صلاة ولا صوم ولا زكاة بلا ولاية.

٢ - أنّ رسول الله محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله بريء من كلّ من ينتسب إليه ولم يدخل في هذه الدعوة ويُعلن البيعة.

ونحن نتساءل أين هي الحجّة البالغة؟ أبرواية غاية في السقوط السندي



وغموض في الدلالة؟ وإن تجاوزنا ذلك، فمن يثبت أنه هو الذي أشارت له الرواية؟ على أن المورد لا يخلو من غرابة تمنع المنصف من الاطمئنان لها بل من تعقلها، فكيف أتعلّل أن جدّ فلان الرابع هو الإمام المهدي عليه السلام وأنا لم يثبت عندي أنه عليه السلام متزوج وله ذرية؟ ومجرّد الإمكان مع الادّعاء لا يعدّ حجّة فضلاً عن أن تكون حجّة بالغة، نعم هي بالغة في الزيغ والاستخفاف بالعقول والضحك على أذقان بسطاء الأذهان.

ثم ها هي ثلاث عشرة سنة مرّت ولم نر العذاب والخزي بعد إنذاره الأخير، ثم أين التخويل من الإمام المهدي عليه السلام لشخص يتحدّث باسمه؟ ﴿اثْبُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٤).

وعظم المدّعى لا قيمة له إن لم يستند إلى دليل، وقد ادّعى فرعون أنه إله ونمرود وغيره، وقد ادّعى مسيلمة أنه نبيّ مرسل وغيره الكثير، وقد ادّعى الكثيرون أنهم أئمة، نعم لم يكونوا إلّا زبداً فذهبوا جفاءً. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧).

وأما دعوى أن من لم يسر معه فإلى جهنّم، فهذا ما يكذّبه المنطق القرآني، فإنّا إذا توقّفنا عند بعض آيات سورة البقرة فسنجزم من خلال الأولوية كذب هذه الدعوى، فالله تعالى يقول:

١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).



٢ - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠ - ٨٢).

والحديث عن أهل الكتاب.

٣ - ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١١ و ١١٢).

فالآيات المتقدمة كالصریحة في أن المدار في النجاة على الإیمان والعمل الصالح أو الإحسان كما عبّر الشاهد الثالث.

وهذا لا يعني أن لهم أن يرفضوا دعوة النبي ﷺ عندما تتم الحجة عليهم، ثم يتوقعوا أن يكون مآلهم الجنة، بل من لم تتم عليه الحجة وآمن وعمل صالحاً فإنه من أصحاب الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فإذا كان نظر القرآن لأهل الكتاب بهذا النحو، فكيف لمؤمن شيعي اثني عشري أن يكون من أهل النار لمجرد أنه لم ينعق مع كل ناعق ولم يرد أن يكون ريشة تحركها آية نسمة؟

وأما قوله: إن من لم يلتحق بالدعوة، بل الدعوى المزبورة فهو خارج عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو بهذا إلى جهنم وكل أعماله باطلة، فلا أعجب منه. ونحن لا ننكر وجود روايات في أن من جاء الله تعالى بلا ولاية لعل عليه السلام فاعماله



غير مقبولة، لكنّها لا يُراد منها بطلان العمل، ولذا لا يجب عليه القضاء إلّا في الزكاة. وليس ذلك لأنّ زكاته غير صحيحة أو لا يمكن أن تكون كذلك، بل لأنّه أعطاهما لغير مستحقّهما، بل المراد عدم القبول الذي يعني عدم استحقاق الثواب عليها، وأين هذا من بطلان العمل؟

ثمّ ما الدليل على براءة النبيّ ﷺ من المتسبين إليه إذا لم يدخلوا في هذه الدعوة؟

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ (يونس: ٦٨).

٩ - ظرف تسليم الوصيّة المزعومة بعد ظهور الإمام عليه السلام:

إنّ الذي ذكرته الرواية في آخرها: «فإذا حضرته - أي الحسن العسكري - الوفاة فليُسلّمها إلى ابنه محمّد المستحفظ من آل محمّد، فذلك اثنا عشر إماماً، ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليُسلّمها إلى ابنه أوّل المقربين...» الخبر.

ومثل هذا الخبر - على فرض إغماض النظر عن كلّ الإشكالات التي ذكرت على التمسك به من قبل هذا المدّعي - غير قابل لإثبات شيء ممّا رامه، إذ لا مشكلة عندنا أنّ الإمام عليه السلام حين يخرج بعد أن يأذن الله تعالى له بذلك ويقيم دولة الحق وتنقاد له الناس ويُسلّم الوصية لأحد فلا مشكلة عندنا، وحينها لا حاجة إلى الاستظهار ولا ضرورة للتعبّد بالصدور، بل سيكون المعصوم هو الذي يُسلّم الأمر، وآية مشكلة لنا في ذلك لو فعلها الإمام عليه السلام؟

فالرواية لا علاقة لها من بعيد ولا من قريب بمهدي ممّهد للإمام الثاني عشر عليه السلام، وأنّه من ولده، وأن من لم يبايعه إلى النار.



﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (الأعراف: ٧١).

فلو ظهر الإمام وأشار لمن يدعي ما يدعيه بصدق دعواه لم يكن علينا إلا الطاعة، ولكن حينها تسقط كل وليجة دونهم، ويسقط حتى من كان يشقُّ الشعر بشعرتين، وتزال الأفتنة.

وإطاعتها ليست حينئذٍ من جهة مجرد التعبد، بل من جهة اليقين، فإنه عليه السلام ما ينطق عن الهوى، وكلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فلماذا نعجل على الناس استناداً لمثل هذا المقطع من الرواية، ونلزمهم بالبيعة والمتابعة، ونتوعد تاركها بالنار وبئس المصير على أمر سيحسمه المعصوم عليه السلام بعد أن تخضع له الرقاب وتنقاد له النفوس وتطمئن له القلوب؟ وعلى هذا، فوجود هذه الرواية وعدمها من هذه الناحية على حد سواء، إذ دورها للمكلفين دور الإخبار لأمر سيحصل في مستقبل الأيام وستقوم عليه الحجة البالغة حينها.

فيكون دور الرواية دور ما أخبر به عيسى عليه السلام من بعث نبيٍّ في المستقبل اسمه أحمد بالنسبة للأجيال قبل أن يُبعث النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم قد يقال: إنَّ ذلك يقتضي توطين النفس على الانصياع له والاعتقاد به عند مجيئه، ونحن نوطن أنفسنا الآن على أنَّ الإمام عليه السلام إذا أسَّس دولته على تقوى الله ثم حانت لحظة انتقاله إلى الدار الأخرى وألزمنا بمتابعة شخص فإننا سنتابعه، ومن لم يفعل يكون قد خالف أمر المعصوم عليه السلام.

وتستطيع أن تقول: إنَّ حال هذه الرواية على فرض صدورها وتامة دلالتها وسلامتها من الإشكالات كدور الروايات التي تحدَّثت عن أسماء الأئمة عليهم السلام وعددهم بالنسبة لمن لم يدرك الأئمة من الناس، فالروايات التي



نصّت على أنّهم اثنا عشر إماماً بالنسبة لمثل عمّار وسلمان لا أثر كبير لها في الأئمة المتأخّرين، لأنّهم ليسوا أئمة زمان عمّار وسلمان مثلاً، ولا انعكاس لها في وجوب الإطاعة والمتابعة، إذ لم تحصل المعاصرة وفعلية وجود الإمام لتجب الإطاعة، نعم هي تكمل الصورة لخريطة الإمامة، لكن ذلك لا علاقة له بالسلوك العملي فيما يرتبط بالتأخّرين من الأئمة عليهم السلام هذا أولاً، وثانياً لا يقاس بالأئمة عليهم السلام غيرهم، ولو كان من أبنائهم وإن أسمى نفسه مهديّاً.

هذا آخر ما أردنا تحريره في هذه الصفحات، أسأل الله تعالى أن ينظر إليه بعين القبول، إنّه خير مسؤول.

* * *

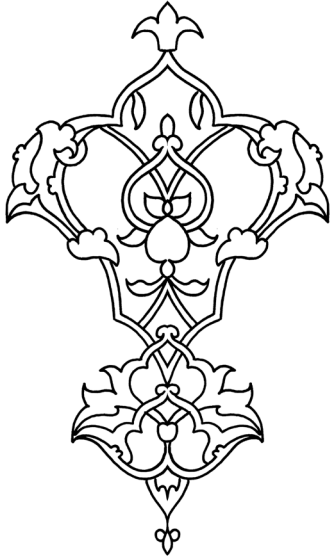


الهوامش

١. الغيبة للطوسي: ١٥٠ و ١٥١ / ح ١١١.
٢. الإرشاد للدليمي: ٣٣٦: ٢.
٣. لسان الميزان: ١٠٨ / الرقم ٤٤٢.
٤. نهج البلاغة: ٥٥٦ / ح ٤٥٦.
٥. رواها في البحار: ٤٦: ١٨٠، عن الاحتجاج: ٢٠٤.
٦. الكافي: ٧: ٢٩٩ و ٣٠٠ / باب الرجل يقتل المرأة... / ح ٦.
٧. معجم رجال الحديث: ٦: ٢١٠ / الرقم ٣٣٠٢.
٨. الإرشاد: ٢: ٣٧٨.
٩. إعلام الوري: ٢: ٢٩٥.
١٠. كمال الدين: ٣٣١ / باب ٣٢ / ح ١٦.
١١. الفتن للمروزي: ١٧٤.
١٢. الغيبة للنعماني: ٢٨٦ / باب ١٤ / ح ٦٠.
١٣. بحار الأنوار: ٥٢: ٢٧٢ / ح ١٦٦.
١٤. الكافي: ٨: ٢٧٤ / ٤١٢.
١٥. الكافي: ٨: ٢٦٤ و ٢٦٥ / ح ٣٨٣.
١٦. الاحتجاج: ٢: ٣٤٩.
١٧. علل الشرائع: ٢: ٥٨١ / باب ٣٨٥ / ح ١٦.
١٨. الكافي: ١: ٣٦٩ / باب كراهية التوقيت / ح ٦.
١٩. الغيبة للنعماني: ٢٦٤ / باب ١٤ / ح ١٣.
٢٠. الغيبة للطوسي: ٤٤٦ و ٤٤٧ / ح ٤٤٣.
٢١. الغيبة للنعماني: ٢٨٦ / باب ١٤ / ح ٦٠.
٢٢. الغيبة للطوسي: ٤٤٧ / ح ٤٤٤.
٢٣. كمال الدين: ٣٤٧ / باب ٣٣ / ح ٣٥.
٢٤. الغيبة للطوسي: ٣٣٧ و ٣٣٨ / ح ٢٨٥.
٢٥. الغيبة للنعماني: ١٥٣ و ١٥٤ / باب ١٠ / ح ٩ و ١٠.
٢٦. الغيبة للطوسي: ٤٣٧ / ح ٤٢٨.
٢٧. الغيبة للنعماني: ٢٨٥ / باب ١٤ / ح ٥٨.
٢٨. الغيبة للنعماني: ١٤٩ / باب ١٠ / ح ٥.
٢٩. بيان الحق والسداد: من الأعداد ١ و ٢: ٣٨.
٣٠. ص ٤٤.
٣١. الجواب المنير عبر الأثير.
٣٢. الجواب المنير عبر الأثير.
٣٣. الجواب المنير عبر الأثير: ٤ - ٦: ٧٤.
٣٤. الغيبة للنعماني: ١٧٨ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٩.
٣٥. كمال الدين: ٣٢٦ / باب ٣٢ / ح ٥.
٣٦. راجع: تفسير القمي: ٢: ٣٦٥.
٣٧. كمال الدين: ١٤٧ / باب ٦ / ح ١٣.
٣٨. راجع: تفسير مجمع البيان: ٧: ٤١٦.
٣٩. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، فإذا قُبِلَتْ قُبِلَ سائر عمله، وإذا رُدَّتْ رُدَّ عليه سائر عمله».
- (الأصول الستة عشر: ٣٢٢ / ح ٥١٢ / ٢٢).
٤٠. الألفية والنفلية للشهيد الأول: ٨٣؛ بحار الأنوار: ٨٢: ٣٠٧ و ٣٠٨ / ح ٣.
٤١. عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يُدعى بالعبد، فأول شيء يُسئل عنه الصلاة، فإن جاء بها تامة، ولأَرْخُ في النار».
- (بحار الأنوار: ٨٢: ٢٠٧ و ٢٠٨ / ح ١٥).
٤٢. المدثر: ٤٢ و ٤٣.
٤٣. عوالي اللئالي: ٢: ٢٤ / ح ٥٤؛ قريب منها رواية جابر الجعفي بحار الأنوار: ٨٢: ٢٣٦ / ح ٦٦.

الهوامش

٤٤. بحار الأنوار ٥٢: يبدأ الباب من (ص ١٨١) ٤٨. راجع: بصائر الدرجات: ٤٣٢ / الجزء ٨ / باب وينتهي (ص ٢٧٨).
٤٥. جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي: ج ١٥، ص ٣٦٨.
٤٦. الكافي ٢: ٤٣٥ / باب التوبة / ح ٨.
٤٧. كان والد القسّ غريغورد وهو ميخائيل غريغورد يرعى الخراف في الأراضي المجذبة في إقليم جزتلند الغربي، وهو في الثانية عشرة من عمره، وهو يعاني آلاماً مبرحة من الجوع والبرد والوحدة، صعد على صخرة وأخذ يسبّ هذا الإله الذي يترك طفلاً في العذاب دون أن ينجده. ولكن سرعان ما وافته النجدة من خالٍ ثري يتجر في الأقمشة في كوينهاغن، فتغيّر حاله عند ذهابه مع خاله، لكنّه لم ينسَ أبداً أنّه يؤس من رحمة الله وأنكر دينه وربّه، لقد نسي الفقر والجوع ولكنّه لم ينس خطيئته، ولبث يعيش في خشية وارتعاد متظراً العقاب الإلهي، ذلك القلق الذي عبّر عنه دوستوفسكي في إحدى رواياته القلق الناجم عن ارتكاب جريمة فيخشى العقاب حتّى يكاد يستدره، ثمّ أدّى به ذلك إلى أن يترك عمله ليفوت على الله تعالى المكر به، وترسّب جنون الخطيئة هذا داخل الابن، وقد كان الحبّ يملأ قلبه لكنّه كان مقروناً بالجنون والخطيئة، وقد كان يقول: كلّ لون من ألوان الوجود يخيفني من أصغر ذبابة حتّى سرّ التجسيد.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

تحصين الأنام من دعاوى الاتصال بالإمام عليّ عليه السلام

الشيخ جاسم الوائلي

إنّ الاعتقاد بالمهديّ عليه السلام - الذي يقوم في آخر الزمان فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً - قضية قد تواترت بها الأخبار لدى المسلمين كافة، ومما قام عليها إجماعهم، حتّى باتت ضرورة من ضروريات الدين التي يُعدّ منكرها خارجاً عن سلك المسلمين، ولا أقلّ عن جماعة المؤمنين، ما لم يكن إنكارها عن شبهة أو فساد عقل.

كما أجمع الفريقان على أنّه عليه السلام من نسل عليّ وفاطمة عليهما السلام، وإن اختلف المخالفون في كونه من نسل الحسن أو الحسين عليهما السلام، وفي أنّه قد وُلِدَ ولم يزل حيّاً، أو أنّه سيُولَد في آخر الزمان.

ومن هنا يتّضح ما لهذه الشخصية العظيمة من مكانة ودور عظيمين في نفوس المعتقدين به عليه السلام لاسيّما شيعة أهل البيت عليه السلام، وعلى وجه الخصوص الإماميّة الاثنا عشرية، حيث بات عنوان الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام يستهوي المؤمنين والضالّين على حدّ سواء.

أمّا المؤمنون فلا يخفى مدى شوقهم إلى لقائه وتكحيل أنظارهم برؤيته عليه السلام، وتطلّعهم إلى قيامه، ليعيشوا في كنف قسطه وعدله، بعد الذي ذاقوه قروناً من ظلم الظالمين وجور الجائرين، من المخالفين أو النواصب أو الملحدين.





وأما الضالّون فما بين مُضِلٍّ مدّعٍ المهدويّة لنفسه، ومُضِلٍّ مغرّرٍ به يعتقدُها في غيره، ومدّعٍ كذباً لمشاهدته ولقائه، وربّما ادّعى مع ذلك السفارة عنه. وقد سجّل المؤرّخون والمتابعون للقضيّة المهدويّة ما أمكن تسجيله من دعاوى المهدويّة، سواءً من ادّعاها لنفسه ومن ادّعى له برضى منه أو من دون رضاه. والظاهر أنّ أوّل من ادّعى له هو محمّد بن الحنفية عليه السلام، وقد عرف أصحاب هذه العقيدة بالكيسانيّة، نسبة إلى شخص يدعى كيسان، وهو - على ما قيل - مولى لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: هو المختار الثقفي، وكيسان لقب له^(١). والكيسانيّة تعتقد بأنّ محمّد بن الحنفية لم يمت، وأنّه يعيش عند جبل يدعى جبل رَضَوَى وعنده عينان، عين تجري ماءً، وأخرى تجري عسلاً، وأنّه هو المهديّ الذي بشرّ به النبيّ ﷺ^(٢). وفي هذا المعنى أبيات تُسبّت إلى الشاعر المعروف بكثير عزة، ونسبها الشيخ الصدوق عليه السلام في كمال الدين^(٣) إلى السيّد الحميري، وكان كيسانياً قبل أن يستبصر على يد الإمام الصادق عليه السلام:

ألا إنّ الأئمّة من قريش	ولأه الحقّ أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيّه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرّ	وسبط غيبتّه كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتّى	يقود الخيل يقدمه اللّواء
تغيّب لا يرى فيهم زماناً	برضوى عنده عسل وماء

ومن ادّعى له المهدويّة أيضاً إمامنا الصادق عليه السلام، ادّعاها له النّاوسيّة، وهي إحدى الفرق الضّالّة، وادّعوا أنّه لم يمت وسوف يقوم ليملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

كما ادّعى لإمامنا الكاظم عليه السلام^(٤)، ادّعتها له الواقفة إحدى فرق الضلال، ولمّا بان ضلالهم ادّعوا للحسن العسكريّ عليه السلام وطبقوا الروايات فيه حتّى بان ضلالهم أيضاً بوفاته عليه السلام.



وإذا كانت دعاوى المهديّ بالغة الخطورة فإنّ دعاوى الاتّصال بالمهدي المنتظر عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى لدى المعتقدين بحياته - والتي (دعاوى الاتّصال) هي شرف ما بعده شرف - من أخطر القضايا التي وقعت محلّ كلام بعد الاتّفاق على وقوعها زمن الغيبة الصغرى بواسطة السفراء أو ربّما بغير واسطة.

وقد يقال: إنّ الإمام المهدي عليه السلام قد وضع بنفسه صمّ الأمان من دعاوى المشاهدة سداً لهذا الباب على المضلّين وأصحاب القلوب المريضة وأعداء الدين، فجاء النصّ بلزوم تكذيب من يدّعي المشاهدة، وذلك في توقيعه عليه السلام الذي خرج إلى آخر سفرائه عليّ بن محمّد السّمري عليه السلام، على ما رواه الصدوق في كمال الدين، قال: حدّثنا أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتّب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ عليّ بن محمد السّمري عليه السلام، فحضرته قبل وفاته بأيّام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السّمري؛ أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية - (وفي نسخة: التامّة) -، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزّ وجلّ)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفينائي والصيحة فهو كاذبٌ مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»، قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقليل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، ومضى عليه السلام، فهذا آخر كلام سُمِعَ منه^(٥).

وقد يشكّل بأنّ بعض الأعلام نقل عدّة روايات فيمن شاهده ورآه عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى، كالعلامة المجلسي في بحاره^(٦)، فلا بدّ من حمل التوقيع



على ما لا يتنافى مع تلك الأخبار كما صنع في البحار، حيث قال بعد نقله التوقيع المذكور: (لعلّه محمول على من يدّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه ﷺ إلى الشيعة، على مثال السفراء، لئلاّ ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه ﷺ) (٧).

ولا بدّ من تحقيق الحال في جهات ثلاث:

الأولى: في سند التوقيع ودلالته.

الثانية: في وقوع المشاهدة وعدمها واقعا.

الثالثة: وظيفتنا تجاه دعاوى المشاهدة.

الجهة الأولى: تحقيق حال التوقيع سندا ودلالة:

ينبغي الكلام تارة في سند التوقيع، وأخرى في دلالته، فالبحث يقع في مقامين:

المقام الأوّل: تحقيق حال سند التوقيع:

تقدّم أنّ الشيخ الصدوق رواها عن الحسن بن أحمد المكتّب، عن السّمري ﷺ.

ونقلها عن الصدوق كلّ من الشيخ الطوسي في الغيبة، وابن حمزة في الثاقب، والراوندي في الخرائج، والمجلسي في البحار^(٨)، وغيرهم.

والظاهر أنّ سند الرواية ضعيف من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الحسن بن أحمد المكتّب مهمل لم يُذكر في كتب الرجال.

نعم ذكره من المعاصرين السيّد الخوئي ﷺ في معجمه، قال: (الحسن بن أحمد المكتّب، أبو محمّد، من مشايخ الصدوق ﷺ، ترخّم عليه، كمال الدين، الباب ٤٩، الحديث ٤١) (٩).

أقول: إنّ الباب (٤٩) لا يشتمل إلّا على حديثين، وليس التوقيع أحدهما، ولعلّه تصحيفٌ للباب (٤٥) المشتمل على (٥٢) رواية ومن بينها التوقيع، إلّا أنّه ليس برقم (٤١)، بل برقم (٤٤).



ويردّه: أولاً: أن عدّه من مشايخ الصدوق لمجرّد نقله روايتين أو روايات معدودة عنه محلّ نظر وتأمل، فإنّ عنوان الشيخ في الرواية لا يصدق بمجرّد ذلك ما لم يأخذ عنه قدراً معتدّاً به من الحديث.

ولو سلّمنا كفاية نقل روايتين في صدق الشيخوخة، فلا يكفي ذلك في استكشاف حسن حاله فضلاً عن وثاقته، بخلاف ما لو أكثر الرواية عنه، إذ يكون لاستفادة الوثاقة أو لا أقلّ حسن الحال مجال.

وثانياً: للمكتّب رواية أخرى قبل التوقيع برقم (٤٣)، وما من ترخّم للصدوق عليه في أيّ من الروايتين، ولا في أيّ طبعة من الطبعات الثلاث للكتاب التي وقعت بين يدي، وكذا ظاهر نسخة العلامة المجلسي، ولو كان الترخّم وارداً في طبعة وصلت إلى يد السيّد الخوئي رحمته فهو ساقط عن الاعتبار جزماً، لعدم العلم آنذاك بما هو الأصحّ من النسخ والطبعات، لاسيّما وأنّ طبعتين من الثلاث - وكلاهما بتصحیح وتعليق عليّ أكبر الغفّاري - خاليتان من الترخّم.

وثالثاً: لو سلّمنا وجود الترخّم فهو لا يدلّ على الوثاقة، فإنّه طلب الرحمة للشخص، ويكفي في استحقاقه كون المطلوب له مؤمناً، بل مطلق المسلم، لاسيّما إذا أفاد منه فائدة ما كالعلم.

نعم، لا يبعد دلالة الترضي على ذلك، ومنه يتّضح أنّ المناسب هو التفصيل بين ترضي الصدوق على راوٍ فيدلّ - لا أقلّ - على حسن حاله في نظر الصدوق، وبين الترخّم عليه فلا يدلّ حتّى على الحسن فضلاً عن الوثاقة. أمّا عدم إفادة الترخّم لذلك فقد تقدّم وجهه، وأمّا إفادة الترضي لحسن الحال، فذلك للوجدان.

توضيحه: أنّ من المسلّم أنّ الترضي وكذا الترخّم ليس لهما معنى اصطلاحى عند الصدوق، فيدور المراد منهما بين المعنى اللغوي - وهو طلب الرضا



والرحمة - والمعنى العرفي أعني: ما هو المنصرف منهما في عرف المسلمين، والمسلمون لا يُطْلَقون الترضي على أي ميّت كان ما لم تكن له مكانة ما عندهم والمسلمون ببابك.

خلافاً للسيد الخوئي رحمته حيث أنكر دلالة على الحسن فضلاً عن الوثاقة، قال رحمته بعد نقله رواية في شأن محمد بن إبراهيم بن إسحاق: (أقول: في هذه الرواية دلالة واضحة على تشييع محمد بن إبراهيم وحسن عقيدته، وأمّا وثاقته فهي لم تثبت، وليس في ترضي الصدوق رحمته عليه دلالة على الحسن فضلاً عن الوثاقة) ^(١٠).

وخلافاً للداماد، حيث سوى بين الترضي والترحم في استفادة الوثاقة، قال رحمته في رواشحه: (ثم إنّ لمشايخنا الكبراء مشيخة يُوقِّرون ذكرهم، ويكثرّون من الرواية عنهم، والاعتناء بشأنهم، ويلتزمون إرداف تسميتهم بالرضيكة عنهم، أو الرّحملة لهم البتّة، فأولئك أيضاً بُتّ فخماء، وأثبت أجلاء، ذكروا في كتب الرجال أم لم يُذكروا، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه، نُصّ عليهم بالتزكية والتوثيق أم لم يُنصّ...) ^(١١).

وخلافاً للوحيد على ما نسبته إليه السيد الخوئي رحمته من ميله إلى استفادة الوثاقة من الترضي، قال بعد نقله كلام النجاشي والغضائري في الحسن بن محمد بن يحيى وتضعيفهما له: (فمن الغريب بعد ذلك ميل الوحيد رحمته إلى توثيقه من جهة ترضي الصدوق وترحمه عليه) ^(١٢).

أقول: إنّ استغراب السيد الخوئي رحمته ليس من جهة استفادة الوحيد الوثاقة من الترضي والترحم - وإن كان هو رحمته لا يرى ذلك -، وإنّما من جهة أنّهما معارضان لما ورد عن النجاشي والغضائري، ما يعني دخول المورد في موارد تعارض التعديل والتجريح لو سلّم للوحيد دلالة الترضي والترحم على الوثاقة.



والظاهر أنَّ بعض من تأخَّر عن السيِّد الخوئي رحمته قد اعتمد عليه في نسبة الترحُّم إلى الصدوق، لوقوعه في نفس الاشتباه، من ذكر نسبة الترحُّم عليه إلى الصدوق، ومن الإرجاع إلى الباب والحديث بالرقمين اللذين ذكرهما رحمتهما. وذكره أيضاً التستري رحمته في قاموسه، قال: (الحسن بن أحمد المكتَّب، أبو محمَّد، روى الإكمال في توقعاته عنه مترجماً عليه، وروى عنه التوقيع إلى السَّمري في الغيبة الكبرى) ^(١٣).

والكلام في دعوى الترحُّم صغرى وكبرى قد تقدَّم. وذكره النَّهَازي أيضاً، قال: (الحسن بن أحمد المكتَّب، أبو محمَّد، لم يذكره... الخ) ^(١٤).

محاولة لتوثيق الرجل:

وقد يُحاول توثيق الحسن بدعوى أنَّه متَّحد مع الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدَّب الذي ترضى عليه الصدوق رحمته في عدَّة مواطن. إذ يدلُّ على وثاقته ما ذكره أهل الخلاف من توقيير الشيخ الصدوق له، فقال: إذ ذكر ابن حجر في ترجمة الحسين بن إبراهيم من قوله: (قال عليُّ بن الحكم في مشايخ الشيعة: كان مقيماً بقم، وله كتاب في الفرائض أجاد فيه، وأخذ عنه أبو جعفر محمَّد بن عليِّ بن بابويه، وكان يُعظِّمه) ^(١٥).

وجوابه: أوَّلاً: أنَّ ابن إبراهيم هو الحسين وليس الحسن، واحتمال التصحيف فيه بعيد بعد أن ورد في مواطن كثيرة بلفظ الحسين، واحتمال تصحيف الحسن في التوقيع - الرواية ٤٤ - بقرينة ورود بلفظ الحسين في الرواية السابقة عليها - ٣٣ - ليس بأولى من احتمال العكس.

وثانياً: لو كانا متَّحدين فمن البعيد جداً أن لا يُذكر كنية أبي محمَّد - التي هي كنية صاحبنا - مع ابن إبراهيم ولو في مورد واحد من موارد ذكره الكثيرة في مجموع كتبه التي تتبَّعَها، كما أنَّ من البعيد عدم ذكر أيِّ اسم



من الأسماء التي امتاز بها الحسين بن إبراهيم في الموضعين، وهي (إبراهيم) و(هشام) و(المؤدّب) ولم يشتركا إلّا في اسم واحد وهو (أحمد).

وكذا عدم ذكر كنية صاحبنا (أبو محمّد) في أيّ مورد من موارد ذكر الحسين بن إبراهيم رغم ذكره بجميع أسمائه، بل ذكره بكنية أبي عبد الله^(١٦).

وثالثاً: أنّ الصدوق ترصّى على الحسين بن إبراهيم حيثما ذكره، ولم يترصّ على صاحبنا في كلا الموضعين.

ورابعاً: أنّ هذا التوجيه لو كان لرواية في إثبات استحباب فعل أو كراهته لما قبلناه، فكيف يُقبل هنا؟!

وخامساً: أنّ ما ذكره ابن حجر لا يحتجّ به من وجوه:

أحدهما: عدم وثاقة ابن حجر عندنا، خصوصاً فيما يرتبط بنا.

ثانيها: ولو تنزّلنا فعليّ بن الحكم المنقول عنه تعظيم الصدوق للحسين مجهول.

ثالثها: ولو تنزّلنا فلا مثبت لصحّة نسخة كتابه (مشايخ الشيعة) الواصلة إلى ابن حجر.

رابعها: يحتمل احتمالاً معتدّاً به رجوع الضمير إلى كتاب الفرائض الذي أجاد فيه الحسين دون نفس الحسين.

خامسها: ولو تنزّلنا وقلنا بثبوت ذلك كلّه ورجوع الضمير إلى الحسين، فيرُدّه ما تقدّم من عدم ثبوت اتّحاده مع الحسن المكتّب، ومجرّد احتمال له لا ينفع كما هو أوضح من أن يُوضّح.

الوجه الثاني: تفردّ الحسن بنقل التوقيع، وتفردّ الصدوق بنقله عن الحسن.

بيانه: أنّ الحسن صرّح بأنّ السّمري أطلع الناس على التوقيع، وأنّ الناس قد نسخوه ولم ينفرد هو بنسخه، وأنّهم عادوا إليه بعد ذلك وحضروا وفاته، قال في أوّل الرواية: (فأخرج إلى الناس توقيعاً...)، وقال في آخرها: (فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه...).



فإنه صريح في أن السَّمريَّ أطلع الناس على هذا التوقيع، كصراحته في أنهم نسخوه عنه، ولازم قرب عهد الصدوق من السَّمري - إذ ليس بينهما إلا واسطة واحدة - أن يرويه عن عِدَّة مَن حضر تلك الواقعة غير الحسن، ولا أقلَّ عن راوٍ آخر غيره، والحال أن الحسن قد تفرَّد بذلك، مع تضافر الدَّواعي عند غيره لنقله. كما أن الصدوق تفرَّد بنقله، إذ لم ينقله عن الحسن غيره.

وبكلمة أخرى: أن تفرَّد الصدوق بروايته عن المكتَّب وتفرَّد الأخير بروايته للتوقيع أمر لا ينسجم البتَّة مع طبيعة تحمُّل التوقيع حيث كان جماعياً وليس فردياً، وكذا لا ينسجم مع طبيعة الواقعة وكونها تمثِّل ختماً للنيابة والسفارة الخاصَّة عن آخر الائمة عليهم السلام، ومع خطورة المضمون والتحذير الوارد في التوقيع الموجب للاهتمام والحرص الشديدين في نشره بين الشيعة.

ونظيره إشكالنا على القوم في دعوى نسيان ثلاثة الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ عند احتضاره فيما سُمِّي برزيَّة يوم الخميس، حيث لا ينسجم مع مكانة الموصي عليه السلام وأهميَّة وصيَّته، ولا مع طبيعة الحدث، وهو إشرافه ﷺ على الرحيل عن هذه الدنيا وختم النبوة به إلى الأبد.

ولئن أمكن غُضُّ النظر عن اكتفاء الصدوق بنقله عن المكتَّب فقط، فلا يمكن غُضُّه عن تفرُّده بنقل التوقيع من دون أن ينقله ولو واحد من المتقدِّمين عليه طبقةً أو من المعاصرين له ولو بواسطة المكتَّب أيضاً.

محاولة لتحسين حال الراوي:

ولو قطعنا النظر عمَّا تقدَّم كلُّه، فهل من طريق لتوثيق المكتَّب؟ قد يقال بإمكان إثبات حسن حاله دون وثاقته، وذلك من خلال الروايتين اللتين رواهما الصدوق عنه في الباب المذكور، أعني الباب (٤٥)، وهما روايتنا محلَّ الكلام الواردة برقم (٤٤) والرواية السابقة عليها برقم (٤٣).



أما روايتنا ففيها دلالة على جملة أمور:

- ١ - تردّد الحسن على سفير الإمام عليه السلام، الظاهر في كونه اثني عشرياً.
- ٢ - حضوره عند موته الدال على اعتناؤه به بما أنّه سفير الإمام عليه السلام، لا بما هو فلان.
- ٣ - ثناؤه عليه بقوله: (قدّس الله روحه) الدال على توقيره لسفيره عليه السلام بالنحو اللائق به كسفير للإمام عليه السلام، وبرأو يُعدّ من المشايخ، إذ غالباً ما تصدر مثل هذه التعابير عن مثلهم.
- ٤ - خلو الرواية من كلّ ما فيه دلالة على ما يكون في صالحه بالمرّة، ما يُشعر بعدم وجود ما يقتضي الكذب والوضع.
- ٥ - تصديق الواقع الخارجي بعد وفاة السّمرى لمضمون التوقيع، حيث لم تجتمع الشيعة على أحد بعده كما اجتمعوا على الأربعة، وكذبوا كلّ من ادّعى ذلك، ما يعني اطلاعهم على التوقيع.
- ٦ - إرسال الأعلام قديماً وحديثاً مضمون التوقيع إرسال المسلمات.
- ٧ - نقل بعض الأعلام - كالطوسي في الغيبة عند ذكره عليّ بن محمّد السّمرى ووفاته - ذيل الرواية - (لله أمر هو بالغه) - بنحو ظاهر في قطعهم بصدوره من السّمرى.
- ٨ - عدم تعليق الصدوق عليه مطلقاً مع تعلّقه بأمر غاية في الخطورة.
- ٩ - إجماع الطائفة على انقطاع السفارة بالسّمرى، وهو ما ينسجم تماماً مع مضمون التوقيع والتعبير فيه بـ: (الغيبة الثانية (التامة)).
- ١٠ - إجماع الطائفة على أنّ السفراء أربعة بقطع النظر عن وجود مدّعٍ للسفارة بعدهم وعدمه، بحيث إن كلّ من أرّخ للمرحلة لم يزد ولم ينقص عن الأربعة.



١١ - ما ذكره أبو القاسم بن قولويه في حال أحد المنحرفين، والظاهر في إجماع الطائفة على تكذيب مدّعي السفارة بعد السّمري، على ما رواه الشيخ في غيخته عند ذكره لأبي بكر البغدادي ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وأبي دُلف المجنون، قال: (أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي الحسن عليّ بن بلال المهلبّي^(١٧)، قال: سمعت أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه يقول: أمّا أبو دلف الكاتب - لا حاطّه الله - فكنا نعرفه ملحدًا، ثمّ أظهر الغلوّ، ثمّ جنّ وسُلسِلَ، ثمّ صار مفوضًا، وما عرفناه قطّ إذا حضر في مشهد إلّا استُخِفَّ به، ولا عرفته الشيعة إلّا مدّة يسيرة، والجماعة تبرّأ منه ومَن يومّي إليه ويُنمّس به، وقد كنّا وجّهنا إلى أبي بكر البغدادي لمّا ادّعى له هذا ما ادّعاه، فأنكر ذلك وحلف عليه، فقبلنا ذلك منه، فلمّا دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفة وأوصى إليه، لم نشكّ أنّه على مذهبه، فلعنّاه وبرئنا منه، لأنّ عندنا أنّ كلّ من ادّعى الأمر بعد السّمريّ رحمته الله فهو كافرٌ منمّسٌ ضالٌّ مُضِلٌّ^(١٨)).

فقلوله: (لأنّ عندنا أنّ كلّ... الخ، ظاهر في عود الضمير إلى الشيعة، فيكون ذلك منهم إجماعاً عملياً على مضمون التوقيع.

١٢ - لمّا كان ابن قولويه مقارباً للمكتّب في الطبقة ومتقدّماً بعض الشيء على الصدوق فيندفع الإشكال السالف الذكر - تفرّد المكتّب بنقل التوقيع -، فإنّ عبارة ابن قولويه مطابقة نتيجةً لمضمون التوقيع، ومن البعيد جدّاً أن يكون قد استفاده من رواية الصدوق في كمال الدين بعد تعبيره بلفظ: (عندنا) الظاهر في الإجماع كما قلنا.

ولو سلّمنا تفرّد الكاتب برواية التوقيع ولم يشاركه أمثال ابن قولويه - ولو في نقل النتيجة - فهو لا يختلف عن كثير من الأحاديث التي سمعها جماعة وتفرّد بنقلها واحد منهم لأسباب نجهلها.



١٣ - استبعاد أن يخطر تحديد التكذيب بخروج السفيناني ووقوع الصيحة
ببال أيّ راوٍ.

هذا كلّ بلحاظ الرواية (٤٤)، أعني التوقيع.

وأما الرواية (٤٣) فهي ما رواه المكتّب من الدعاء المعروف الذي يُدعى به
في زمن الغيبة، قال في كمال الدين: حدّثنا أبو محمّد الحسين بن أحمد المكتّب،
قال: حدّثنا أبو عليّ بن همام بهذا الدعاء، وذكر أنّ الشيخ العمري (قدّس الله
روحه) أملاه عليه وأمره أن يدعو به، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام: «اللّهم
عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تُعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهم عرّفني نبيّك
فإنّك إن لم تُعرّفني نبيّك لم أعرف حجّتك، اللّهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم
تُعرّفني حجّتك ضللت عن ديني...» الدعاء بطوله.

وهنا أمران:

الأوّل: أنّ الوارد في هذه الرواية: (الحسين) بدلاً من (الحسن)، وبعد الجزم
بوحدة الراوي فلا ثمرة في تشخيص كون الاشتباه أو التصحيف حاصلًا في
هذه الرواية أو تلك، وبعد استبعاد كونه الحسين بن إبراهيم المؤدّب.

الثاني: اشتغال الرواية على قرائن تساعد على حسن حاله:

١ - قوله بأنّ العمري أمر ابن همام بأن يدعو بهذا الدعاء، فإنّّه كما يدلُّ
على اعتناء العمري بابن همام كذلك يدلُّ على اهتمام الأخير بصاحبنا.
ويؤيّد: أنّ انفراده بنقل الدعاء يُبعد احتمال أخذه من غيره ونسبته إلى ابن
همام كذباً.

٢ - مناسبة مضامين الدعاء لما يقتضيه التوقيع بشكل يدلُّ على أنّهما من
منبع واحد ومنهل فارد، فهما متلائمان كمال التلائم، ما يشير - إن لم يدلّ - إلى
انقطاع الرجل إلى أصحابه عليهم السلام.



٣ - عمل الطائفة بالدعاء من دون تشكيك بصدوره، مع أنه منحصر بطريق المكتب. فتأمل.

٤ - ثناؤه على العمري نائب الإمام عليه السلام كثنائه على السمرى وما يكشف عنه.

والمحصّل من كلّ ذلك: أنّ المناسب بعد ملاحظة مجموع ما ذُكر في حقّ الرجل هو الحكم بحسن حاله، والله تعالى أعلم بواقع حاله.

المقام الثاني: تحقيق حال التوقيع دلالةً:

وقع الكلام في المراد من تكذيب مدّعي المشاهدة، ويمكن أن نذكر له عدّة احتمالات:

الأوّل: أنّ المراد تكذيب مطلق المشاهدة تكديماً حقيقياً، بمعنى عدم وقوعها خارجاً لأيّ أحد قبل خروج السفيناني والصيحة، ولازمه كذب مدّعيها مطلقاً مهما كانت مرتبته وغرضه.

الثاني: أنّ المراد عدم ترتيب الأثر على دعوى المشاهدة، لا التكذيب الحقيقي، نظير قوله عليه السلام: «كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذبهم»، فإنّ المقصود من تكذيب الخمسين مؤمناً ليس التكذيب الحقيقي كما هو بديهي، بل المقصود عدم ترتيب الأثر على قولهم.

الثالث: أنّ المراد تكذيب المشاهدة المقرونة بدعوى معرفته عليه السلام حين المشاهدة، وليس المراد تكذيب مطلق المشاهدة حتّى التي تحصل المعرفة بعدها، وإلاّ فإنّ كثيراً ممّن ثبتت مشاهدتهم له عليه السلام قد عرفوه بعد المفارقة.

الرابع: أنّ المراد نفي الرؤية المتكرّرة، دون المرّة أو المرّتين.

الخامس: أنّ المراد تكذيب المشاهدة المقرونة بدعوى السفارة عنه عليه السلام وكون المشاهد رسولاً من جهته إلى الشيعة في بعض الأمور الخاصّة.



السادس: كالخامس، ولكن في جميع الأمور الخاصة منها والعامة، كشأن السفراء الأربعة.

وقبل تقييم الاحتمالات المذكورة لا بدّ من بيان الأثر المترتب على كلّ واحد منها، فنقول:

أمّا الأوّل والثاني فيترتب عليهما أنّه لو لم تنفَ المشاهدة فيهما وادّعاها شخص فحينئذٍ يكون للمشاهد خصوصيّةً ومنزلةً، لبداهة أنّ مشاهدته عليه السلام شرف عظيم لا يناله إلا ذو حظّ عظيم، والمؤمنون بما أنّهم متطلّعون إلى رؤية الطلعة البهيّة له عليه السلام فهم يميلون بشكل عفويّ إلى من كحلّ عينيه برؤيته، وبالتالي يسهل عليه خداعهم لو كان كاذباً.

وعلى هذا يكون الهدف من تكذيب مدّعي المشاهدة سدّ بابٍ لو فُتح كان ما يترتب عليه من المحاذير أخطر وأهمّ من تكذيب مدّعيها.

ويترتب على خصوص الثاني - مضافاً إلى ما تقدّم - التفريق في الحكم الشرعيّ بين المدّعي ومن سمع دعواه، أمّا السامع فيجب عليه تكذيبه مطلقاً حتّى لو علم أنّه من الصادقين، فيكون تكذيبه حكماً تكليفاً مستقلاً غير مرتبط بصدق المدّعي الخاصّ وكذبه، بل يرتبط بمنع تلك المفسدة ولو على حساب تكذيب الصادق، من باب التزام الحفظي، أو حسماً لمادّة الفساد. وأمّا حكم مدّعي المشاهدة فيجب عليه الكتمان حتّى لو كان صادقاً، لحرمة إذلاله لنفسه بتعريضها لتكذيب المؤمنين له، فإن عصي وأظهر فلا يلومنّ إلا نفسه.

ومن حال هذين الاحتمالين يتّضح أنّ ما يترتب على الثالث أشدّ وأخطر ممّا يترتب عليهما، لوضوح الفارق بينه وبينهما، فإنّ من يلقي الإمام عليه السلام وهو يعلم أنّه هو لا بدّ أن يكون أعلى منزلةً عنده عليه السلام ممّن يلقاه ولا يعرفه إلا بعد مفارقتة، فإنّ لزوم تكذيب مدّعي المنزلة الأدنى فبالأولى يلزم تكذيب مدّعي الأعلى منها.



كما يتَّضح شدَّة خطورة الرابع، فإنَّ من تكون مشاهدته له ﷺ متكرِّرة لا بدَّ أنَّه يكون ممَّن يأنس به ﷺ ويعتمد عليه، ولا يخفى ما فيه من خطورة بالغه لو صدَّق وهو كاذب.

وأما الأخيران - لاسيَّما السادس - فلا يخفى ما يترتب عليهما من أثرٍ متناهٍ في الخطورة لا حاجة إلى بيانه.

تقييم الاحتمالات الستة :

إذا عرفت ما تقدَّم فنقول: أمَّا الاحتمال الأوَّل فيدعمه كونه الأنسب بمعنى الغيبة الكبرى، فإنَّ الاتِّصال به ﷺ في عصر الغيبة الصغرى لَمَّا لم يكن إلَّا بالواسطة فالمناسب في زمن الكبرى عدم الاتِّصال حتَّى بالواسطة فضلاً عن الاتِّصال المباشر المعبرَّ عنه بالمشاهدة.

ولكن يدفعه أنَّه يكفي في الفرق بين الغيبتين ارتفاع السفارة والنيابة عنه ﷺ بالنحو الذي كان للأربعة، مضافاً إلى ما يأتي من قرائن في صالح الاحتمال السادس. على أنَّه منقوض بما نقله بعض الأعلام من الأخبار العديدة الواردة في وقوع المشاهدة كما تقدَّمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الثاني فيدعمه أنَّه وجه من وجوه الجمع بين ما يقتضيه التوقيع من تكذيب مدَّعي المشاهدة ودلالة الأخبار العديدة على تحقُّقها لعدد ليس بالقليل.

ولكن يدفعه ما يدفع الأوَّل من القرائن لصالح الاحتمال السادس، مضافاً إلى جريان سيرة الأعلام على قبول دعوى المشاهدة في الجملة من غير نكير منهم، مع ما هم عليه من الورع والحرص على عقيدة المؤمنين، لاسيَّما الضعفاء منهم.

وتحقُّظُهم غالباً بعدم تشخيص من تحقَّقت له المشاهدة هو ممَّا تقتضيه الحكمة، وليس إنكاراً منهم لتحقُّقها.



وأما الثالث فلا شاهد يدعمه. وعدمُ تعرّف من أخبر بمشاهدته على هويّته إلا بعد المفارقة لا ينفي أن بعضاً ممّن لم يُخبر عن ذلك قد عرفه عليه السلام حين المشاهدة. على أن أصل المحذور في تصديقه موجود على كلّ حال سواء ادّعى معرفته حينها أم بعدها وإن كان المحذور في دعوى المعرفة حينها أشدّ منه في دعوى المعرفة بعدها.

فمن تلك المحاذير دعوى أن الإمام عليه السلام قد كلّفه بوظيفة ما، وأنّ على الشيعة أن تطيعه، أو كلّفه بنقل أمر منه إليهم، ومن المعلوم أن أمره عليه السلام - على تقدير صدروه - واجب الطاعة، سواء كان الناقل قد عرف هويّته عليه السلام حين المشاهدة أم بعدها.

وأما الرابع والخامس فمخالفتان للظاهر، فإنّ المنفي مطلق المشاهدة الصادقة على الرؤية لمرة واحدة، وعلى غير المقرونة بدعوى النيابة في أمر أو أمور خاصّة.

وأما السادس فهو وإن كان مخالفاً للظاهر أيضاً إلا أن هناك قرائن تساعد عليه:

أحدها: أنّه عليه السلام نفى المشاهدة في مقام التصريح بختم السفارة والنيابة عنه عليه السلام على غرار سفارة الأربعة، حيث قال عليه السلام: «... ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك»، أي: يقوم مقامه في السفارة والنيابة عنه عليه السلام، ثم علّل ذلك بقوله عليه السلام: «فقد وقعت الغيبة الثانية...»، إلى أن قال: «ألا فمن ادّعى المشاهدة»، أي: بنحو السفارة «قبل خروج السفينائي والصيحة فهو كاذبٌ مفترٍ...».

ثانيها: أن قوله عليه السلام: «وسياقي شيعتي من يدّعي المشاهدة» لا يتناسب إلا مع دعوى السفارة والمرسوليّة من قبله عليه السلام إلى الشيعة، ولا يشمل من خصّ مؤمناً بينه وبينه يُخبره بمشاهدته له عليه السلام، ولا يصدق عليه أنّه أتى الشيعة بذلك، وإلا لكان المناسب أن يحذف هذه الجملة برمتها.



ثالثها: الأخبار العديدة الواردة في وقوع المشاهدة المجردة من دعوى السفارة لكثير من المؤمنين، ولعلّ من بينهم جملة من العلماء المعروفين كأبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه وابن طاووس، كما ذكر صاحب البحار^(١٩). ومقتضى الجمع بين الأخبار الكثيرة الدالة على حقّ المشاهدة خارجاً وبين نفي التوقيع لها: أن نحمل المشاهدة المنفية على المشاهدة المخصوصة، وهي المقرونة بدعوى السفارة لا مطلقاً وفاقاً للعلامة المجلسي^(ع) كما نقلنا عنه. وبهذا يتعيّن إرادة الاحتمال السادس، وبتنقيح المناط يمكن الشمول للخامس.

بتقريب: أن التوقيع لو خصّ النفي بالسفارة في الأمور العامّة، فلازمه إمكان قبول دعوى السفارة في بعض الأمور الخاصّة، مع أن أصل المحذور موجود أيضاً، وهو متابعة المؤمنين لمدّع في بعض الأمور الخاصّة، ولمدّع آخر في بعض آخر، ولثالث في بعض ثالث، لأنّ لازم جواز قبولها من أحدهم جواز قبولها من غيره، وهكذا يكثر المدّعون فيقع محذور كالمحذور الذي يلزم من ادّعاء السفارة في الأمور العامّة أو قريب منه.

والحاصل: أن أنسب الاحتمالات المذكورة هو الأخير، أي نفي المشاهدة المقرونة بدعوى السفارة مطلقاً سواء في الأمور العامّة أو الخاصّة.

احتمال سابع في المقام:

يمكن أن يقال: إن المراد بالمشاهدة المنفية شيء آخر غير ما تقدّم من الاحتمالات الستّة، وهو دعوى القيام والظهور التام للإمام^(ع) نفسه.

والوجه في ذلك: أنّه^(ع) بعد تعليله عدم الوصيّة إلى أحد بقوله: «فقد وقعت الغيبة الثانية (خ ل - التامة)»، قال مفرّغاً: «فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزّ وجلّ)»، أي: فلا ظهور له^(ع) قبل الإذن الإلهي به، ثمّ أخذ يذكر^(ع) بعض شرائط الظهور والتي يمكن أن تكون شرائط للإذن الإلهي فقال: «وذلك بعد



طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً»، ثم قال عليه السلام: «وسياتي شيعتي من يدعي المشاهدة» أي: ورغم أنه لا ظهور إلا بعد تحقق ما ذكر من شرائط فسوف يأتي شيعتي من يدعي ظهوري قبل تحقق شرائطه، ويدعي أنه قد شاهدني بعينه، فتكون دعوى المشاهدة طريقاً لإثبات الظهور التام، أعني كدليل يقيمه مدعي الظهور على صدق دعواه، كما يصنع من ينسب فعلاً ما إلى شخص إذا طُلب بالدليل على صدقه فيقول: (أنا رأيته بعيني يصنع كذا وكذا)، ثم بين عليه السلام حكم من يفعل ذلك بقوله: «ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذبٌ مفترٍ...»، ومن المعلوم أن الذي يقع بعد خروج السفيناني والصيحة هو الظهور التام لا مجرد المشاهدة، بل لا معنى لأن يأتي الشيعة من يدعي المشاهدة بعد الظهور المبارك، فإنها أشبه بمن ينادي في الناس في وضح النهار: إنَّ الشمس قد طلعت!

ويؤيده: أن الوارد في نسخة بدلاً من كلمة (الثانية) كلمة (التامة)، فإنها أنسب بتفريع نفي الظهور بقوله: «فلا ظهور»، أي: لأنها غيبة تامة فلا يكون هناك ظهور إلا بعد ما ذكر من الإذن الإلهي وطول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً.

وعلى هذا يكون المقصود من قوله عليه السلام: «وسياتي شيعتي...» الخ: أنه رغم تصريحه بوقوع الغيبة التامة وأنه لا ظهور لي قبل خروج السفيناني ووقوع الصيحة سياتي شيعتي من يدعي الظهور وأنه قد شاهدني، وبناءً على هذا فمن جاءكم يدعي ظهوري قبل ذلك فهو كاذبٌ مفترٍ.

الجهة الثانية: تحقيق الحال في وقوع المشاهدة خارجاً وعدمها:

تقدم أن مشاهدة الحجة عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى بمعنى رؤيته أمر مقطوع به لتواتر الأخبار في ذلك حتى بعد حذف الروايات التي لا تدل على أن من شوهد هو الحجة عليه السلام نفسه لا احتمال أن يكون أحد الأولياء والصالحين.



بيان ذلك: أنَّ التواتر عبارة عن إخبار جماعة يمتنع عادةً تواطؤهم على الكذب، كتواتر قتل الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم الحرام من سنة إحدى وستين للهجرة، فإنَّ الناقلين لهذا الخبر جماعة من الفريقين كثيرة حتَّى من بني أُمَيَّة لعنهم الله، ومن المحال في العادة أن يتواطأ - يتفق - الموالي والمعاوي على الكذب في هذه القضية.

والتواتر على أقسام ثلاثة:

الأوَّل: التواتر اللفظي، وهو تطابق الأخبار في ألفاظ الحديث. وهذا إن كان له مصداق في الأخبار فهو نادر جداً.

الثاني: التواتر المعنوي، وهو تطابقها في المعنى دون اللفظ.

وهذا كثير في الأخبار، كحديث الغدير، وحديث المنزلة، وحديث الثقلين، وغيرها كثير، فإنَّ كلَّ واحد منها نُقِلَ بعدة طرق مع تفاوتٍ في اللفظ كثير أو يسير مع الاتفاق في المعنى.

ومنه حديث النبي صلى الله عليه وآله في ظهور رجل من أهل بيته - وهو المهدي عليه السلام - في آخر الزمان فيملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

الثالث: التواتر الإجمالي، وهو نقل جملة من الأخبار يُقَطَّع بصدور ولو واحد منها، وكان تشترك - جميعها - في لازم من اللوازم، فيُقَطَّع بثبوت ذلك اللازم.

ومن أمثلته شجاعة علي عليه السلام وقتله للأبطال المشهورين، فإنَّ الأخبار في ذلك متواترة إجمالاً، بمعنى أنها جميعاً تثبت بالدلالة الالتزامية أنَّه عليه السلام كان شجاعاً، فيُقَطَّع آنذاك بشجاعته، لأنَّنا مهما طرحنا من تلك الروايات فإنَّ العاقل يقطع أو يطمئنُّ بصدور ولو واحد منها، وهو كافٍ في إثبات شجاعته، كما لو اختلف جملة من الرواة في عدد من قتل عليه السلام في إحدى المعارك، بأن أخبر أحدهم بأنَّه قتل مائة من الفرسان الأبطال، وأخبر آخر بأنَّه ما قتل مائة



بل تسعين، وأخبر ثالث بأنهم كانوا ثمانين لا مائة ولا تسعين، وهكذا، فإن الروايات الثلاث تشترك في أنه عليه السلام قتل ثمانين من الفرسان الأبطال، وهذا لا شك في دلالة على شجاعته وخبرته في القتال.

إذا عرفت هذا فاعلم أن وقوع المشاهدة في زمن الغيبة الكبرى مما تواترت به الأخبار تواتراً إجمالياً، بمعنى أن كل عاقل لو اطلع على تلك الأخبار لقطع أو اطمأن بصدق ولو بعضها.

وهو كافٍ في إثبات المطلوب، إذ المطلوب إثبات المشاهدة بنحو القضية الموجبة الجزئية في مقابل السالبة الكلية كما نُسبت إلى بعض ممن علل عدم الوقوع بنفي وجود خصوصية لفلان وفلان المقضية لحصول المشاهدة واللقاء، فكان نفيه للخصوصية أقبح من نفيه للمشاهدة، وإلا فحتى أجهل الناس يعلم ويقطع بأن العباد متفاوتون في منازلهم عند الله تعالى، وبالتالي عند المعصومين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، ولو اكتفى بتشبهه بالتوقيع المزبور على أحد الوجوه المتقدمة لكن أجدر وأقرب إلى القبول.

وعلى أية حال: فقد نقل جملة من الأعلام كثيراً من الأخبار التي دلت بشكل صريح على حصول اليمن بلقائه عليه السلام، فبعض ضمّنها في بعض تأليفاتهم، وبعض أفرد فيها كتاباً مستقلاً.

وبعد هذا فلا مجال لإنكار وقوع المشاهدة في زمن الغيبة الكبرى، نسأله تعالى أن يكحل ناظرنا الآثم ليظهر برؤيته الميمونة.

إلا أن المهم في مقامنا هو بيان الوظيفة الشرعية - بل الاعتقادية أيضاً - لغير من تحققت له المشاهدة، وما هو الموقف الذي يتحتم عليه، وهو ما سيوضح في بحث الجهة الآتية.

الجهة الثالثة : وظيفتنا تجاه دعاوى المشاهدة :

تأسيس الأصل :

وقبل بيان مقتضى الدليل الاجتهادي لا بدّ من بيان مقتضى الأصل والقاعدة في المقام، وهي تقتضي عدم المشاهدة مهما كان تفسيرها، ومعه فعلى مدّعيها إقامة الدليل.

ومنه يتّضح الإشكال في قول بعض المدافعين عن بعض المدّعين اليوم من أنّ التوقيع لا يصلح دليلاً على نفي المشاهدة، بدعوى ضعفه سنداً وإجماله دلالةً.

وجوابه من وجوه:

أحدها: أنّ التوقيع إن لم يكن تامّ السند أو الدلالة بنفسه فهو تامّ بضميمة غيره إليه، فهو من قبيل الضعيف المحفوف بقرائن تدلّ على صدوره واعتباره، فلا حظ ما ذكرناه من قرائن في صالح التوقيع سنداً ودلالةً.

ثانيها: أنّ الدليل النافي لا ينحصر بالتوقيع المذكور، كما سيأتي.

ثالثها - وهو الأهمّ - : أنّ نفي المشاهدة لا يحتاج إلى دليل أصلاً بعد كونه مقتضى الأصل، والذي يحتاج إليه إنّما هو دعوى المشاهدة.

هذا مضافاً إلى أنّه يلزم أن يكون في الدليل من القوة ما يتناسب مع حجم الدعوى، فمن يدّعي المشاهدة بمعنى السفارة ليس كمن يدّعيها مجردةً عن هذا المعنى، ومن يدّعي السفارة المطلقة ليس كمن يدّعيها في أمر خاص، ومن يدّعي حصول المشاهدة مراراً ليس كمن يدّعي حصولها مرةً واحدة فقط، وعلى هذا فقس بقية الدعاوى.

الرابع: الأولوية، فإنّ من الشائع بين الناس دعاوى رؤية المعصومين (عليه السلام) في المنام، ومن الشائع أيضاً هو تكذيب كثير منهم أو التشكيك من قبل المؤمنين - لاسيّما العلماء الربّانيين - في أنّ من رأوه هو المعصوم الفلاني، وذلك لوجوه



عديدة وقعت محلاً للكلام^(٢٠)، فإذا كان هذا حال من يدّعي رؤية المعصوم عليه السلام في منامه فما بالك بمن يدّعي رؤيته في اليقظة، لاسيّما إذا اقترنت دعوى الرؤية بما هو أكبر منها، كدعوى السفارة وما أشبهه؟!

الخامس: الاعتبار، فإنّ ممّا حثّ عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة وجرت عليه سيرة العقلاء وحكم به العقل أن يعتبر الإنسان ويتّعظ من الحوادث الواقعة قديماً وحديثاً، ليستفيد من ذلك في مستقبل أيامه، ولو رجعنا إلى التاريخ فكم سجّل بين صفحاته من دعاوى كاذبة وجريئة ترتبط بالقضية المهدوية، وكم راح ضحيتها من العوامّ والسذج.

ومن هنا يلزم أن يكون الأصل لدى المؤمنين أعزّهم الله هو عدم تصديق المدّعين ما دام يحتمل احتمالاً وجيهاً أن يكونوا كغيرهم من الكذابين ممّن سبقهم، لاسيّما وأنّ هذا الأمر يرتبط بمصيرهم في الدين والآخرة، فأمّا إلى الجنة وأمّا إلى النار، ولات حين مندم.

ومن كلّ ذلك يتّضح: أنّ الأصل في وظيفة المؤمنين - حفظهم الله - تجاه دعاوى المشاهدة هي عدم ترتيب الأثر عليها مطلقاً، إلّا إذا جاء عليها المدّعي بدليل يتناسب وحجمها، بحيث يدعن له جميع العقلاء، وخصوصاً الربانيون من العلماء.

وأما ما يقتضيه الدليل الاجتهادي فهو عدم ترتيب الأثر على ذلك أيضاً، لوجوه منها عامّة ومنها خاصّة.

أما العامّة فكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)، وقوله (عزّ وجلّ): ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٣٦)، وغيرهما من الآيات الناهية عن اتّباع غير العلم، أو الدائمة لاّتّباع الظنّ.



وقوله عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة: «... وإنَّ الأمور ثلاثة: أمرٌ بين رُشدٍ وقِيَبَعٍ، وأمرٌ بين غِيٍّ فيجتنَب، وأمرٌ مُشكِلٌ يردُّ علمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله: حلالٌ بينٌ وحرامٌ بينٌ وشُبُهاتٌ بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرَّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرَّمات، وهلك من حيث لا يعلم...» الحديث (٢١).

وقوله عليه السلام في آخر الحديث السابق: «... فإنَّ الوقوف عند الشُّبُهات خيرٌ من الاقتحام في الهلكات...».

ومن ذلك ما جاء في باب الشهادات وأَنَّهُ لا تُقبَل الشهادة إلَّا إذا كانت عن علم ويقين مهما كانت القضية المشهود عليها، كالنبويِّ المروي في كتب الفريقين من قوله عليه السلام وقد سأله سائل عن الشهادة: «هل ترى الشمس؟ على مثلها فاشهد، أو دَعْ» (٢٢)، وقوله عليه السلام: «لا تشهدنَّ بشهادة حتَّى تعرفها كما تعرف كَفَّك» (٢٣)، وغيرهما.

فإذا كانت الشهادة لا تُقبَل على أهون الأمور إلَّا أن تكون بعلم، فكيف تُقبَل في أخطرها؟!

وأما الخاصَّة فيصعب إحصاؤها بحيث تغني كثرتها الكاثرة عن النظر في أسانيدها (٢٤).

فمنها: ما رواه المفضَّل بن عمر عن إمامنا الصادق عليه السلام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إياكم والتنويه، أمَّا والله ليغيبنَّ إمامكم سنيئاً من دهركم، ولتُمَحَّصَنَّ حتَّى يقال: مات، قُتِلَ، هلك، بأيِّ وادٍ سلك؟ ولتَدَمَعَنَّ عليه عيون المؤمنين، ولتُكْفَأَنَّ كما تُكْفَأُ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلَّا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه، ولتُرَفَعَنَّ اثنتا عشرة رايةً مشتبهةً لا يُدرى أيُّ من أيٍّ»، قال: فبكيت، ثمَّ قلت: كيف نصنع؟ قال:



فنظر عليه السلام إلى الشمس داخله في الصُّفَّة فقال: «يا أبا عبد الله، ترى الشمس؟»، قلت: نعم، قال: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»^(٢٥).

إنَّ مضمون هذه الرواية متطابق تماماً مع العقل والنقل كتاباً وُسْنَةً، فلا يضرُّها لو ناقش بعض في سندها من جهة المفضَّل.

وإنَّما ذكرتها لنكتة لا تخفى على الخبير، وهي: أنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُلِّلْهُ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ﴾ (الأنعام: ١٤٩)، يعني: الواصلة، ولا تكون كذلك مع الاشتباه، ولذا فلا بدَّ من أن يكون الحقُّ أبلج واضحاً، ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ (النساء: ١٦٥)، ولا يمنع من أن يكون الوضوح مختصاً بمن عرف الحقَّ من أوَّل الأمر فلا يلتبس عليه لو اشتبه على الناس في آخره.

فعليك بالتدبُّر في مضمون هذه الرواية جيِّداً آخذاً بالاعتبار ما ذكرت لك، فإنَّه يشتمل على مطلب نفيس من جهة، وخطير - غاية الخطورة - من جهة أخرى.

ومنها: ما دلَّ على أنَّه عليه السلام عندما يقوم فإنَّه يقتل سبعين رجلاً من الكذَّابين يدَّعون ما يدَّعون، فإنَّه موجب للاحتياط عقلاً ونقلاً، ووجوب شدة الثبُّت في قبول أيِّ دعوى من الدَّعاوى بعد إمكان أن يكون المدَّعي أحد هؤلاء المشار إليهم. ففي غيبة النعماني بسنده عن أمير المؤمنين أنَّه قال لمالك بن زمرة: «كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض -؟»، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عند ذلك من خير؟ قال: «الخير كلُّه عند ذلك يا مالك، عند ذلك يقوم قائمنا فيُقدِّم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله فيقتلهم...»^(٢٦).

ومنها: الواقع الخارجي، فكم ظهر من كذَّابين وأدعياء لا يحصون كثرةً في هذا المجال بالخصوص، أعني فيما يرتبط بالمهدي عليه السلام.

والحاصل: أنَّ ثبوت نفس المشاهدة ووقوعها شيءٌ، وإثباتها لمدَّعيها شيءٌ



آخر، وهو أمر دونه خطر القتاد، وإلا فمن السهل أن يدّعي شخص أنه رآه ﷺ وكحل ناظريه بطلعته الميمونة، ولكن أنى له أن يثبت ذلك، أو يثبت له غيره بعد احتمال كذبه كائناً من كان؟!

إن قلت: هذا لا ينطبق على الصالحين، فلو ادّعى أحدهم المشاهدة وجب تصديقه، لحصول الاطمئنان بصدقه، فصلاحه دليل صدقه.

قلت: لا عبرة بالصلاح السابق على الدّعى، لاحتمال انحراف المدّعي قُبيل إظهارها، كشأن من حدّثنا عنهم التاريخ وكتب التراجم والرجال ممّن كانوا في ظاهر الأمر من الصالحين، ثم بدى منهم ما بدى، حتّى خرج من الناحية المقدّسة الأمر بلعنهم، كالشلمغاني والعبرتائي وغيرهما ممّن يُعدّون في أهل العلم.

أمّا في هذا عبرةٌ وحاجزٌ يحجز المؤمنين عن الاقتحام في الشبهة من هذه الناحية؟!

وبعبارة أخرى: إنّ الصلاح الذي يستلزم الصدق إنّما هو الصلاح الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله ومن أطلعه الله (عزّ وجلّ) عليه، ولا عبرة بالصلاح الذي يبدو لنا في ظاهر الحال.

ولا مجال لاستبعاد انحراف أيّ شخص بعدما ثبت خارجاً قديماً وحديثاً انحراف جملة من العلماء والصالحين ممّن لم تكن الأُمّة تتوقّع ذلك منهم.

بل ينبغي لكلّ مؤمن عاقل أن لا يستبعد ذلك من أحد بعد وقوع الانحراف بين بعض أولاد الأئمّة عليهم السلام، ولكنّا قد ابتلينا بأُمّة لا تقرأ تاريخها وهي تمرّ على آياته تعالى والتي تحثّ على النظر والتأمّل في أحوال الذين خلّوا من قبل، فإنّ الغرض من ذلك هو أخذ العبرة منهم، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه، وإلاّ فليس القرآن كتاباً أدبياً يسرد القصص للترفيه والاستمتاع بها^(٢٧).



ولو تنزّلنا فذلك يختصّ بمن عُرفَ بين الناس بصلاحٍ على درجة عاليةٍ منه جدّاً، بحيث يحصل الاطمئنان بصدقه عند العلماء الربّانيين، ولا يكفي حصوله للعوامّ، فإنّهم يطمئنّون لأدنى شيءٍ، ويُسلّمون قيادهم لأمثال هؤلاء بكلّ سهولة.

ولا ضير في الالتزام بذلك، ولازمه عدم جواز قبول دعوى مجهول الحال مهما حاط نفسه أو حاطه أتباعه بهالة من التقديس.

على أن من كان بتلك المثابة من الصلاح لا يفصح عن المشاهدة في العادة، لأنّ الإفصاح لا موجب له من جهة، ويجرّ إلى ما لا تُحمد عقباه من جهة أخرى، نعم لا بأس بالإفصاح لطبقة خاصّة تثبتاً لقلوب المؤمنين.

بل يمكن القول: إنّ وظيفة من شاهده عليه السلام هي عدم الإفصاح، وأنّه لو أفصح فوظيفتنا نحن تجاهه هي تكذيبه وإن كان صادقاً واقعاً، نظير ما صدر من تكذيب الأئمّة عليهم السلام لبعض رواة الشيعة حينما حدّثوا عنهم عليهم السلام بما نهوا عن التحديث به، فكذبوهم أمام الناس رغم أنّهم صدّقوا فيما نقلوا عنهم عليهم السلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إني لأحدّث الرجل الحديث فينطلق فيحدّث به عنّي كما سمعه فاستحلّ به لعنه والبراءة منه» (٢٨).

والنتيجة: أنّه لا يجوز ترتيب الأثر على دعوى المشاهدة مطلقاً، بل لا يبعد جواز تكذيب صاحبها حتّى لو علّم صدقه واقعاً، بل ربّما يجب أحياناً، كما لو اطمأنّ المكلف بترتب مفسدة عظيمة على ترك تكذيبه، والتفكيك في الأحكام ليس بعزيز (٢٩).

نعم لو كان المدّعي معروفاً في أوساط الأئمّة عموماً والعلماء الربّانيين خصوصاً أنّه في أعلى درجات الصلاح والورع والتقوى واقعاً لا ظاهراً فقط فلا يبعد جواز تصديقه لو ادّعى المشاهدة، لكنه مجرد فرض يصعب حصوله، والذي يمكن حصوله هو ما كان فاقداً لأحد الأمرين، فإنّما أن يشاهده عليه السلام



صالح بتلك الدرجة من الصلاح والورع، ولكن مثل هذا يكتُم الأمر ولا يفصح عنه حتَّى لو كان في ذلك ذهاب حياته، وإمَّا طالح دجال جريء في إظهار دعوى المشاهدة كذباً وزوراً طمعاً في المكانة العظيمة في نفوس الناس لاسيَّما الأغمار منهم والسُّدَّج، ومثل هذا كثير، ولعلَّ من ظهر منهم أقلُّ ممَّن لم يظهروا بعد وهم ينتظرون الفرصة السانحة لإظهار دعواهم، وكالعادة سوف تجد لها عدداً ليس بالقليل ممَّن يُصدِّق بها من الجهلة.

نسأله تعالى أن يديم علينا نعمة العقل، وأن يعصمنا من الزلل في القول والعمل، آخذين بمحكم كتابه، مستضيئين بنور بيِّنات نبيِّه ﷺ، معتصمين بهدي آل بيته عليهم السلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمَّد وآله الطاهرين.

* * *



الهوامش

١. رجال الكشي: ١٢٨.
٢. بحار الأنوار ٣: ٣٧.
٣. كمال الدين: ٤٢ / طبعة الأعلمي.
٤. كمال الدين: ٤٦ / طبعة الأعلمي.
٥. إكمال الدين وتمام النعمة / الباب ٤٥ / الحديث ٤٤ / طبعة دار الكتب الإسلامية: ٥١٦؛ وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم: ٥١٦، وكلا الطبعتين بتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري؛ طبعة منشورات مؤسسة الأعلمي: ٤٦٧.
٦. بحار الأنوار ٥٢: ٥٣ - ٥٩؛ وفي الباب ٢٤ / ص ١٥٩.
٧. بحار الأنوار ٥٢: ١٥١.
٨. الغيبة: ٣٩٥؛ الثاقب في المناقب: ٦٠٣؛ الخرائج والجرائح ٣: ١١٢٨؛ بحار الأنوار ٥١: ٣٦١.
٩. معجم رجال الحديث ٥: ٢٧٢ / برقم ٢٧٢٦.
١٠. معجم رجال الحديث ١٥: ٢٣١ / في ترجمة محمد بن إبراهيم بن إسحاق برقم ٩٩٦١.
١١. الرواشح السماوية: ١٧٠ / الراشحة الثالثة والثلاثون / مطبعة دار الحديث.
١٢. معجم رجال الحديث ٦: ١٤٣ / في ترجمة الحسن بن محمد بن يحيى برقم ٣١٣٣.
١٣. قاموس الرجال ٣: ١٩٢ / برقم ١٨٤٦.
١٤. مستدركات علم رجال الحديث ٢: ٣٤٨ / برقم ٣٣٦٢.
١٥. لسان الميزان ٢: ٢٧١ / ترجمة الحسن بن إبراهيم بن أحمد المؤدّب برقم ١١٢١.
١٦. معاني الأخبار: ٣٨٧ / الحديث ٢٢.
١٧. وسند الشيخ إلى ابن قولويه صحيح، فإنّ عليّ بن بلال قد وثّقه النجاشي، قال: (عليّ بن بلال بن أبي معاوية أبو الحسن المهلبّي الأزدي، شيخ أصحابنا بالبصرة، ثقة، سمع الحديث فأكثر ...) الخ. (رجال النجاشي: ٢٦٥ / رقم الترجمة ٦٩٠).
١٨. الغيبة: ٤١٢ / الحديث ٣٨٥ في ذكر أمر أبي بكر البغدادي ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وأبي دلف المجنون.
١٩. بحار الأنوار ٥٢: ٥٨.
٢٠. بحوث في الرؤيا والأحلام للشيخ الطبسي.
٢١. الكافي ١: ٦٧ / الحديث ١٠.
٢٢. وسائل الشيعة ٢٧: ٣٤٢ / ب ٢٠ من أبواب الشهادات / ح ٣.
٢٣. المصدر السابق: ح ١.
٢٤. اتَّفَقَ العقلاء والعلماء كافّة على أنّ الخبر المتواتر لا يتوقّف الأخذ به على صحّة جميع أسانيده، لأنّه خبر جماعة يمتنع حصول التواطؤ بينهم على الكذب فيه،

أكله فيما إذا شككنا في تذكّيته، مع أنّه في الواقع لا يخرج عن أحد فرضين: فلمّا أن يكون مذكّي أو ميتة، فإن كان مذكّي فهو طاهر ويحلُّ أكله، وإن كان ميتة فهو نجس ويحرم أكله، ولا توجد حالة ثالثة واقعاً، أي لا تجتمع الطهارة مع الحرمة، ولا النجاسة مع الحلّية، لكن مقتضى القواعد هو الحكم بطهارته وحرّمته.

نظير ما لو نقلت الفضائيات اليوم خبراً عن حادث معيّن بحيث توافقت فيه جميع تلك الفضائيات حتّى التي بينها عدااء مستحكم، كما لو اتّفقت في نقله فضائيات إسرائيلية وفضائيات إسلاميّة معادية لإسرائيل، وفضائيات دينية وأخرى علمانية، وفضائيات محافظة وأخرى متهمّكة، وفضائيات شيعة وأخرى ناصبية، وهكذا.

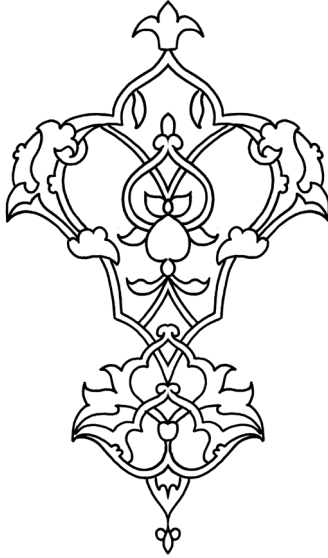
٢٥. الكافي ١: ٣٣٦ / باب الغيبة / الحديث ٣.

٢٦. الغيبة للنعماني: ٢١٤.

٢٧. ولذا فعلى قارئ القرآن أن يطبّق ما نزل في بني إسرائيل - مثلاً - على نفسه، ويجعل نفسه هي المخاطبة بتلك الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)، فإنّ المسلم الذي يقرأ القرآن ولا يتنفع به كالحمار الذي يحمل على ظهره أسفاراً ولا يتنفع بها.

٢٨. الغيبة للنعماني: باب ١ / ح ٧.

٢٩. كما هو الحال في الأحكام الظاهرية، وأمثله كثيرة، منها: الحكم بطهارة اللحم المأخوذ من يد الكافر مع الحكم بحرمة





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

عنصر الخفاء في القضية المهدوية

الشيخ حسين الأسدي

المقدمة :

من المعلوم أنَّ لكلَّ علم من العلوم أسرارَه التي لا يعرفها إلا متخصِّصوه، وأنَّ لكلَّ نظرية من النظريات مبادئ لا يتقنها إلا منظرُّوها، وبالتالي، فإنَّ الخفاء سيكون نصيب الخارجين عن حريم التخصُّص في مجال ما من مجالات الحياة، والحيرة قد تضرب أخبيتها عند البعيدين عن صياغة النظرية أو عن سبر معالمها.

من هنا، تأسَّست عند العقلاء عموماً ضرورة الرجوع إلى أهل الخبرة في أيِّ جانب من جوانب الحياة، ليحلِّوا الغموض الذي قد يكون فيه، وليدفعوا الشبهات التي قد تُلقِي بظلالها على ما يتعلَّق بذلك الجانب.

ومن هنا، نجد أنَّ الناس ساروا على طبيعتهم وفطرتهم وفق هذا التأسيس، وجاء القرآن الكريم ليرشدنا إلى تلك الضرورة في واحد من جوانب الحياة المرتبطة بالجانب الأخرى منها، فقال (عزَّ من قائل): ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

والقضية المهدوية حالها حال غيرها من القضايا الحياتية، لها نظرياتها الخاصَّة، ولها مصادرها المعتمدة، ولها متخصِّصوها، وبالتالي، فإنَّ عدم الاعتماد على هذه





الأركان الثلاثة (النظرية، المصادر، المتخصّص) فيها أدّى في كثير من الأحيان إلى الابتعاد عن الهدف الذي قامت من أجله، وإلى التخبّط خبط عشواء في ظلام الجهل والشبهات، وإلى استجداء حلول لا تشفي الغليل لمسائل مصيرية فيها، الأمر الذي أتاح للكثيرين ممّن يتصيّدون بالماء العكر أن يرموا شباكهم ليصطادوا بها بعضاً من البسطاء، وليبنوا مجدهم على أطلال سذاجتهم.

ومن هنا، نجد أنّ البعض تاه في حيرة بعض الخفايا في القضية المهدوية، فلماذا غاب المهدي؟ ولماذا الخوف؟ ولماذا خفيت ولادته؟ ومن هو اليمني بالضبط؟ وكيف نُشخّص شعيب بن صالح؟ الخ...

إنّ الخفاء يكتنف هذه المفردات من عدّة جوانب، وقد تبقى خفيّة على البعض، الأمر الذي قد يُضعف من إيمان الفرد بها، أو على الأقل، يبقى في النفس ما فيها من التردّد والحيرة.

في هذا البحث، نحاول تسليط الضوء على بعض مهمّ من المفردات المهدوية التي اكتنفها الخفاء، لمعرفة السبب الذي كان وراء هذا الغموض، بالاعتماد على الروايات الشريفة، وعلى ما توصّل إليه المتخصّصون في القضية المهدوية.

أصول موضوعية :

الأصل الأوّل: إنّ أهمّ مصادر البحث في القضية المهدوية عموماً هي الروايات الشريفة، ذلك لأنّ المسألة تدور بين تاريخ مضى، ومستقبل مرتقب، ولا نملك وسائل ماديّة تأخذنا إلى أعماق التاريخ، أو تُرسلنا للمستقبل البعيد، فليس لدينا إلّا الروايات الشريفة، فلا مكان للتكهّنات ولا للآراء الشخصية إلّا فيما تسمح له الأصول العلمية من إبداء الاحتمالات اعتماداً على جمع القرائن وتتبع الظروف المحيطة بتلك الروايات وما يمكن أن يُستشفّ من ألسنتها.

وبعبارة أخرى: إنّ الأصل الأوّل الذي نجده في القضية المهدوية هو اكتنفها بالخفاء في الكثير من جوانبها، وأنّ الوضوح والإعلان يُمثّل استثناءً فيها، وبالتالي، يكون المرجع الأصيل فيها هو نفس الروايات الموضّحة لمشتبهاتها.



الأصل الثاني: إِنَّ الإمام المهدي عليه السلام إمام معصوم، والعصمة تتجلى بعلم لدني يكشف للمعصوم ما خفي علينا، وبحكمة تجعل من أفعاله كوشي يوحى.

نعم، قد نغض الطرف عن هذا الأصل في بعض الأحيان خلال البحث، من باب مسaire الطرف الآخر، وتوفير جواب عقلائي يتناسب حتى مع عدم العصمة.

الأصل الثالث: إِنَّ التقيّة مبدأ إسلامي أقرّه القرآن الكريم، وأكّده السنّة الشريفة، وإنّ سيرة المتشرّعة، بل والعقلاء قائمة على أنّها مبدأ يعمل به العاقل إذا ما دعت الظروف الموضوعية لذلك، فسيرة العقلاء قائمة وبلا أدنى شكّ على أنّه لو تراحم مهمّ وأهمّ، فإنّه يُقدّم الأهمّ، فكُلُّ عاقل يحكم ولو لم يكن مؤمناً بأيّ شريعة، بلزوم حفظ دمه أو عرضه وتقديم ماله أو تقديم تنازل عن موقف معيّن فيما لو هدّده ظالم ودار الأمر بين ذينك الأمرين. بل إنّ المسألة فطرية عمّت حتى الحيوانات، فعندما يداهما خطر ما فإنّها تبحث عن أقلّ الخسائر.

مع ملاحظة أنّ المقصود من التقيّة في هذا البحث ليس معناها الاصطلاحي فحسب، وإنّما ما يشمل المعنى اللغوي الذي يعني فيما يعنيه تعمّد إخفاء شيء ما حمايةً له^(١).

الأصل الرابع: إنّنا لم نُكلّف بمعرفة العلل والملاكات الواقعية للأحكام، لأنّ معرفتها متعذّرة علينا، ومعه، فإنّنا لا نستطيع تقديم الفلسفة الواقعية وراء حكم معيّن أو فعل جاء بأمر إلهي.

وهذا يعني أنّ كثيراً ممّا يُذكر في هذا البحث إنّما يُساق لبيان الحكمة من التصرف الوقائي الذي يعمد إليه الإمام المهدي عليه السلام أو المعصومون من قبله. وهذا يعني أنّ باب الأخذ والردّ لا يغلّق بهذا البحث، وإنّما هي محاولة



للتعرّف على بعض الحكمة في بعض التصرفات الوقائية المذكورة في الروايات الشريفة.

الأصل الخامس: إنّ الصبغة العامّة لحركات الأنبياء عموماً وحركة الإمام المهدي عليه السلام خصوصاً هي صبغة القوانين الطبيعية، وأمّا الاعتماد على عنصر الإعجاز وخرق القانون الطبيعي فإنّه لا يكون إلّا عند الضرورة أو الحكمة البالغة التي تُحدّدها الحكمة الإلهية.

مما يعني أنّنا سنأخذ بعين الاعتبار قدر الإمكان محاولة التوفيق بين القوانين الطبيعية ومفردات البحث.

مفردات البحث:

المفردة الأولى: خفاء وقت الظهور.

المفردة الثانية: خفاء الإمام المهدي عليه السلام، أو قل: غيبته، كما عبّرت الروايات الشريفة.

المفردة الثالثة: خفاء شخصيات الظهور الإيجابية.

المفردة الرابعة: خفاء ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

المفردة الأولى: خفاء وقت الظهور:

لقد أكّدت الروايات مراراً وتكراراً على أنّ الوقت المعين للظهور (أو قل: ساعة الصفر للظهور) هو أمر مخفي، ولم يُكشف لأيّ إنسان، بل إنّ السيرة العملية للمعصومين عليهم السلام كانت على عدم الكشف عنه، بل والنهي عن (التوقيت) وجعله علامة الكذب وربّما الهلاك.

إنّ لازم خفاء الوقت المعين، هو تكذيب من يدّعي التوقيت، ذلك لأنّ الأمر من هذه الناحية مستقبلي، فلا نملك فيه إلّا الروايات - كما تقدّم في الأصل الموضوعي الأوّل -، والروايات لم تذكر أيّ شيء فيه، فيكون التوقيت ضرباً على التخت.



إنَّ الروايات الدالّة على عدم التوقيت عديدة، ولسانها متّفق على أنّ أهل البيت عليهم السلام أخذوا على أنفسهم عدم إعلان التوقيت وعلى تكذيب الموقّت. فقد ورد في التوقيع الشريف، الذي نقله الشيخ الصدوق عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عليه السلام، قال: سمعت أبا عليّ محمّد بن همام يقول: ... وكتبت أسأله عن الفرّج متى يكون؟ فخرج إليّ: «كذب الوقّاتون»^(٢).

وعن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا محمّد، من أخبرك عنّا توقيتاً فلا تهابنّ أن تُكذّبه، فإنّا لا نُوقّت لأحد وقتاً»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّا لا نُوقّت هذا الأمر»^(٤).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جُعِلت فداك، متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمّد، إنّ أهل بيت لا نُوقّت، وقد قال محمّد (صلى الله عليه وآله): كذب الوقّاتون»^(٥).

ويثار هنا سؤالان:

السؤال الأوّل: هل يعني هذا أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا على علم بوقت الظهور بالضبط؟

الجواب: بناءً على الأصل الموضوعي الثاني، فإنّ الإمام حيث إنّهُ معصوم، فهو إذن يعلم بساعة الظهور، إمّا من باب أنّ العصمة تعني فيما تعنيه علماً لديّاً غيبياً بتعليم من الله تعالى، وإمّا من باب أنّ من خصائص الأئمة (عليهم السلام) أنّهم إذا أرادوا أن يعلموا شيء، فإنّ الله تعالى يُعلّمهم ذلك الشيء بمجرد توجّه نفوسهم القدسية إلى معرفته، الأمر الذي صرّحت به الروايات الشريفة.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً علّمه الله ذلك»^(٦).

فضلاً عن هذا فإنّه يستفاد من بعض الروايات التي وردت في النهي عن



التوقيت أنهم عليه السلام كانوا على علم بالوقت المعين، ولكنهم لحكمة ما تعمّدوا إخفاءه.

فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما لهذا الأمر أمد ينتهي إليه ويريح أمداننا؟ قال: «بلى، ولكنكم أذعتم فأخّره الله»^(٧).

فهذه الرواية يظهر منها أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بالأمد الذي ينتهي إليه هذا الأمر، ولكنّه أخفاه لحكمة معيّنة، أشار لها بقوله عليه السلام: «ولكنكم أذعتم فأخّره الله».

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا إسحاق، إنّ هذا الأمر قد أخر مرتّين»^(٨).

فعلّمه عليه السلام بتأخير هذا الأمر مرتّين يلزمه علمه بنفس الوقت وبساعة الصفر.

وغيرها من الروايات التي يظهر منها أنّ الأمر كان يعلم به أهل البيت عليه السلام، ولكنهم أخفوه لحكمة معيّنة، أو أنّه تأخر بسبب معيّن، وستعرّف على بعض آخر من هذه الروايات في مستقبل البحث إن شاء الله تعالى.

والخلاصة: أنّ المعصوم كان عنده المعرفة بالوقت المعين للظهور. وإنّما خفي ذلك الوقت علينا.

السؤال الثاني: إذا كان المعصوم يعلم بالوقت المعين، فلم لم يذكر الوقت للناس؟ أو لم يكن من الأفضل للشيعه ولعامة الناس أن يعلموا بالوقت المحدّد حتّى تطمئنّ نفوسهم وقلوبهم؟ وحتّى يستعدّ المؤمنون لساعة الصفر أتمّ الاستعداد؟

الجواب:

إنّ هذا السؤال ينحلّ إلى دعويين:

الدعوى الأولى: أنّ تحديد وقت الظهور يدفع اليأس عن المؤمنين.



الدعوى الثانية: أن تحديد الوقت ينفع في استعداد المؤمنين للظهور المقدّس.
وكلتا الدعويين غير مقبولة.

أمّا الدعوى الأولى، فلأجل التالي:

أولاً: أن الأمر بالعكس تماماً، بمعنى أن تحديد الوقت بالضبط هو ما يورث اليأس، فلنا أن تتصوّر مقدار اليأس القاتل للنفوس إذا ما علمنا على وجه الجزم واليقين بأن الظهور سيكون في عام (٥٠٠٠) للميلاد مثلاً، عندها، سنحسّ بأن أيّ عمل نُقدّمه تحت عنوان التمهيد للظهور سيكون هواءً في شبك، وبأن أيّ جهد نبذله للإصلاح فإنّه سيكون هباءً منثوراً، وعندها سيكون الانتظار عنصر تحدير وتسكين لا حركة وتغيير، وهو ما يحاول أن يُصوّره المغرضون من أن الدين أفيون الشعوب.

وهذا ما أشار له الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «... فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مائتي سنة وثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجعت عامّة الناس عن الإيمان إلى الإسلام»^(٩).

ثانياً: أن تحديد وقت الظهور وساعة الصفر، يؤدّي إلى أن تفقد الثورة المهدوية عنصراً مهماً من عناصر انتصارها، وهو عنصر المباغتة ومفاجأة العدو، فإنّه من الواضح جدّاً في السياسة العسكرية أن العلم بساعة الصفر يؤدّي إلى أن يكون العدو متهيّأً تماماً، بل ويتحَيّن الفرصة بعين ثاقبة، بل ربّما بادر العدو بالهجوم، ليجهّض الحركة قبل أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام، وحتى لو خُطّت، فإنّها ستكون في موضع المدافع لا المهاجم، وستخسر تخطيطاً مهماً للانتصار.

وهذا الأمر هو أحد الأسباب المهمّة التي أدّت بزيد بن علي عليه السلام أن يخسر المعركة، حيث بادره العدو العبّاسي قبل أن تحين ساعة الصفر.

ومعه، فيكون من الحكمة العقلائية والحنكة السياسية أن يُخفى وقت الظهور



عن الجميع، حتّى عن الموالين، لأنّهم وإن كان يُحتمل فيهم حفظ السرّ، ولكن المحتمل خطر جدّاً، فإنّ إظهاره سيؤدّي بثورة المهدي، وبالتالي، فالحكمة تقتضي الإخفاء عن الجميع، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما سنذكره في ما يتعلّق بغيبة المهدي عليه السلام عن شيعة ممّا حصل من هتك السرّ ممّا سبّب تأخير الظهور عدّة مرّات.

ثالثاً: أنّ من أهمّ ما نؤمن به - تبعاً للنصوص الدينية - هو أنّ الله تعالى - بحسب حكمته - قد يبدو له في بعض الأمور، (والبدء هنا بمعنى الإبداء المسبوق بالعلم كما هو واضح)، وأنّ مفردات القضية المهدوية لم تُستثنَ من هذا المعنى، ولذلك ورد أنّ حتّى السفياي يمكن أن يناله البدء^(١٠)، ومعه، فلو حدّد وقت معيّن للظهور، وبعدها بدا الله تعالى أن يُغيّر من هذا الوقت، لحكمة ما، فربّما سيفرز هذا البدء اتّجاهات معاكسة للحالة الإيمانية، وربّما يفرز حالة من الرّدّة عن الدين، كما حصل لقوم موسى عندما تأخّر موسى عليه السلام عنهم عشرة أيّام فقط، حيث إنهم تركوا التوحيد وذهبوا ليعبدوا عجل السامري. فقد روي أنّ محمّداً بن الحنفية قال لمحمّد بن بشر في حديث: (ويحك يا محمّد، إنّ الله خالف علمه وقت الموقّنين، إنّ موسى عليه السلام وعد قومه ثلاثين يوماً، وكان في علم الله (عزّ وجلّ) زيادة عشرة أيّام لم يُخبر بها موسى، فكفر قومه واتّخذوا العجل من بعده لِمّا جاز عنهم الوقت، وإنّ يونس وعد قومه العذاب، وكان في علم الله أن يعفو عنهم، وكان من أمره ما قد علمت...) (١١).

ومعه، فيمكن أن نستكشف بعض الحكمة من إخفاء الوقت المعيّن للظهور.

رابعاً: أنّ إخفاء التوقيت حيث إنّّه أمر مقصود من السماء، فلا شكّ أنّ فيه منفعة لا تُوصّف، وحكمة بالغة، سواء علمنا بها أم لم نعلم، وعلى الأقلّ يمكن القول: إنّّه لو علم الشخص بأنّ وقت الظهور مثلاً هو في عام (٣٠٠٠) للميلاد، فإنّ إمكانية انحرافه عن سبيل الشريعة وارد جدّاً، وإذا دعوته إلى



التوبة لأخبرك بأنه سيتوب قبيل الظهور! وهذا المعنى يكون أوضح إذا نظرنا إلى قضية الموت، فإنَّ خفاء وقت الموت يستلزم أن يكون العاقل حذراً من مفاجأته له في أيِّ لحظة، وبالتالي فإنَّه سيكون على أهبة الاستعداد دوماً.

وأما الدعوى الثانية، فيقال في ردّها التالي:

أولاً: أنَّ للاستعداد آلياته العديدة التي وفّرتها الروايات الشريفة، والتي لا تنحصر بالتعيين الدقيق لوقت الظهور، بل ولا داعي معها للتحديد. وتلك الآليات اختزلتها الروايات الشريفة بالدعوة إلى (انتظار الفرج)، ذلك الانتظار الذي يعني باختصار: توطين النفس على توقع الظهور في أيِّ ساعة، والتهيؤ التام للظهور المقدّس، وعلى جميع المستويات العقائدية والفقهية والسلوكية واللوجستية^(١٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «... فتوقّعوا الفرج صباحاً ومساءً...»^(١٣).

ثانياً: بالإضافة إلى آية انتظار الفرج، فإنَّ هناك آية أكّدت عليها الروايات كثيراً، وهي آية (علامات الظهور الحتمية)، فإنَّ حدوثها يُوفّر عنصر التهيؤ التام والاستعداد العالي للظهور المقدّس، باعتبار:

- ١ - أنّها علامات حتمية لا يقع الظهور إلّا بعدها مالم يقع فيها البدء.
 - ٢ - أنّها أمور فارقة وعلامات واضحة لا تقبل التشكيك.
 - ٣ - أنّها قريبة نسبياً من الظهور.
 - ٤ - أنّ بعضها منها يقوم على الإعجاز غير القابل للتشكيك - بشرط المعرفة المسبقة^(١٤) - (الصيحة والخسف).
- إنَّ اتّصاف العلامات بهذه الصفات سيكون له الأثر الفعّال في تنبيه الغافلين، وفي استعداد المؤمنين للظهور المقدّس.

ومعه، فلا نحتاج بعد هذين الأمرين (انتظار الفرج وعلامات الظهور) إلى التحديد الزمني للظهور بدقّة، بل ولا داعي له من هذه الناحية.

إثارة...:

تقدّم في الجواب (ثانياً) عن الدعوى الأولى أنّ الإخفاء كان - فيما كان لأجله - من أجل الحفاظ على عنصر المباغته، وهذا أمر لا شك فيه، بل هو ما أكّدته الروايات الشريفة كثيراً:

روي أنّ النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال ﷺ: «مثل الساعة التي لا يُجْلِيها لَوْفُها إِلَّا هُوَ تُقْلَتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» [الأعراف: ١٨٧] (١٥).

وقد روي أنّه سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله، فذاك أبي وأُمِّي، أيعلم أحد من أهل مكّة من أين يجيء قائمكم إليها؟ قال: «لا»، ثم قال: «لا يظهر إِلَّا بَغْتَةً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ» (١٦).

وعن أبي حمزة الثمالي أنّه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] (١٧). وفي مكتبة الإمام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله: «... فليعمل كلُّ امرئٍ منكم بما يقرب به من محبّتنا، ويتجنّب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بَغْتَةً فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيّه من عقابنا ندم على حوبة» (١٨). هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّه قيل في ردّ الدعوى الثانية: إنّ العلامات ستوفّر أرضية مناسبة للاستعداد للظهور، خصوصاً وأنّ علاميتها واضحة جدّاً، وقيام بعض منها على عنصر المعجزة.

وبالتالي قد يقال:

إنّ هاهنا تهاافتاً في الكلام، فكيف يمكن الحفاظ على عنصر المباغته مع كون العلامات منبّهات عالية الصدى للظهور؟ إنّ صدور العلامات، في الوقت الذي يدفع المؤمنين للتهيؤ الإيجابي للظهور،



هو يدفع الأعداء والمنائين للتهيؤ السلبي ضد الإمام المهدي عليه السلام، والتهيؤ من الطرفين يتنافى مع كون الظهور سيتم فجأة وبغته!

فكيف يتم التوفيق بين علامية العلامات ووضوحها، وبين فجائية الظهور؟
وهنا جوابان:

الجواب الأول:

ينبغي الالتفات إلى التالي:

أولاً: أن المباغته إنما تكون للعدو، أما الموالي، فلا ضرورة لتحقيق المباغته معه، بل الاستراتيجية الحربية تقتضي أن يكون الصديق والموالي على علم مسبق بساعة الصفر، حتى يكون له يد في إحداث المباغته للعدو. بل تؤكد الروايات على وضوح أمر أهل البيت عليهم السلام كوضوح الشمس.

ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر عندما بكى من اختلاف الرايات واشتباها وخوفه من عدم معرفة الحق: «أهذه الشمس مضيئة؟»، قال المفضل: نعم. فقال عليه السلام: «والله لأمرنا أضوء منها»^(١٩).

ثانياً: أن الروايات وإن أشارت إلى علامات الظهور، إلا أنها في الوقت ذاته أكدت على أن العلامات إنما تكون علامات ملفتة للنظر لمن كانت عنده معرفة مسبقة وإيمان مستقر بقضية الإمام المهدي عليه السلام، وإلا، فمن دون معرفة مسبقة وإيمان مستقر، قد تحدث العلامات، وتحدث معها ردات فعل لكنها مؤقتة، لا تدوم طويلاً، وما تفتؤ تحدث حتى تُنسى، وبالتالي، سيكون عنصر المباغته محفوظاً من جهة الأعداء والجهال بالقضية المهدوية.

عن عبد الرحمن بن مسلمة الجري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يُؤبّخونا ويقولون: من أين يُعرف المحقُّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردّون عليهم؟»، قلت: فما نردُّ عليهم شيئاً. قال: فقال: «قولوا لهم: يُصدّق بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها قبل أن تكون»، قال: «إن الله عز وجلّ



يقول: ﴿أَقْمَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]» (٢٠).

فالجواب الأول هو التالي:

إنَّ العلامات وإن كانت ملفتة للنظر، لكن هذا لا ينافي مباغته العدو والجاهل، فإنَّه سيكون في غفلة عنها رغم رؤيته لها، لأنَّ العلامات إنَّما تكون ملفتة لأنظار من كانوا على معرفة مسبقة بها، وأمَّا مع الجاهل بها أو عدم الإيمان بها، فإنَّها ستمرُّ عليهم مرور السحاب.

الجواب الثاني:

إنَّ العلامات وإن كانت ملفتة للنظر، ولكن عنصر المباغته سيبقى محافظاً على وجوده، باعتبار أنَّ هناك ظروفاً موضوعية ستؤدِّي إلى اختلال أفكار الناس، بحيث يحارون في أمرهم، وقد يصل الأمر بهم إلى تناسي تلك العلامات والانشغال بتلك الظروف.

وتلك الظروف تتمثل في كثرة الفتن والاختبارات والمحن، إلى الحدِّ الذي يصل الأمر بالحكيم إلى أن يتيه فكره ويحار لبُّه، بالإضافة إلى تتابع دعاوى المهدوية الباطلة، ممَّا يُقلِّل من أثر تلك العلامات لانشغال الناس بتلك الظروف.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتَّى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلَّهم يدعو إلى نفسه» (٢١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتَّى يخرج نحو من ستين كذاباً كلَّهم يقول: أنا نبيُّ» (٢٢).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام - في حديث له طويل - أنَّه قال: «لا بدَّ من فتنة صمَّاء صيلم» (٢٣)، يسقط فيها كلُّ بطانة ووليعة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكم من مؤمن متأسف حرَّان (٢٤) حزين عند فقد الماء المعين...» (٢٥).



وهكذا ما ورد من إحداه إبليس لصيحة أخرى - غير صيحة الحق - يُضلل بها غير المؤمنين ومن لم يكن على اطلاع كافٍ بالعلامات وبفتن زمن الظهور، فقد ورد عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي من السماء: إن فلاناً هو الأمير، وينادي منادٍ: إن علياً وشيعته هم الفائزون»، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: «إن الشيطان ينادي: إن فلاناً وشيعته هم الفائزون - لرجل من بني أمية -». قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: «يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا، ويقولون: إنه يكون قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحققون الصادقون»^(٢٦).

فتلك الظروف التي تزلزل الناس ستؤدي إلى تقلبات عقائدية سريعة جداً، إلى الحد الذي ذكرت الروايات الشريفة أن البعض يتقلب بين الإيمان والكفر بين عشية وضحاها، مثل تلك الظروف من الممكن أن تُنسي الكثير من الناس ما تريد العلامات أن تشير إليه، وبالتالي، فعنصر المباغته ما زال يمكن تصوّره. روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كيف بكم إذا التفتّم يميناً فلم تروا أحداً، والتفتّم شمالاً فلم تروا أحداً...، ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقدونه، يُسمي أحدهم مؤمناً ويصبح كافراً، فالله الله في أديانكم هنالك فانتظروا الفرج»^(٢٧).

وتلك الروايات كما تصدق على زمن الغيبة الكبرى، يمكن أن يستمرّ حدوثها وصدقها حتّى في الزمن القريب من الظهور وبعد حدوث العلامات.

المفردة الثانية: خفاء أو غيبة الإمام المهدي عليه السلام:

إن من المفصل الأساسية في مسألة الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام هو الاعتقاد بأنّه عليه السلام وبعد استشهاد أبيه العسكري عليه السلام^(٢٨) قد غاب عن الجميع، وبالتالي، فقد انقطع التواصل المباشر معه.



عن الفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّ لِصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتَّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتِلَ، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلَّا نفر يسير، لا يطلّع على موضعه أحد من وليٍّ ولا غيره، إلَّا المولى الذي يلي أمره»^(٢٩).

وفي مقام السؤال عن سبب الغيبة، فقد تنوّعت إجابة الروايات الشريفة في ذلك، فبعض الروايات اكتفت بالإشارة الإجمالية لتلك الأسباب، وأتمّها سرُّ من الأسرار الإلهية التي لا تنكشف إلَّا بعد الظهور، وشبّهتها في ذلك بما فعله الخضر مع النبي موسى عليه السلام.

فقد ورد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إِنَّ لِصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل»، فقلت له: وَلِمَ جُعِلت فداك؟ قال: «لأمر لم يؤذّن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إِنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسياًّ وقت افتراقهما. يا ابن الفضل، إِنَّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى، وسرٌّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه (عزّ وجلّ) حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»^(٣٠).

وبعض الروايات فصّلت الأسباب أو المقتضيات أو الحُكم من تلك الغيبة، وهي باختصار على النحو التالي:

أ) الخوف من القتل:

عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إِنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، وهو المطلوب ترائه»، قلت: وَلِمَ ذلك؟ قال: «يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه، يعني القتل -»^(٣١).



ب) التمييز والتمحيص:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مع القائم من العرب شيء يسير»، ف قيل له: إنَّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال: «لا بدَّ للناس من أن يُمَحَّصُوا وَيُمَيَّزُوا وَيُغْرَبَلُوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير» ^(٣٢).

ج) حتَّى لا يبايع ظالماً:

ورد في جواب الإمام المهدي عليه السلام لمسائل إسحاق بن يعقوب: «وَأَمَّا عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغِيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنْقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاغِيَةٌ زَمَانُهُ، وَإِنِّي أَخْرَجْتُ حِينَ أَخْرَجْتُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاعِيتِ فِي عُنُقِي...» ^(٣٣).

د) السنن التاريخية:

عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ لِلْقَائِمِ مَنَّا غِيَةً يَطُولُ أَمْدُهَا»، فقلت له: يا ابن رسول الله، وَلِمَ ذَلِكَ؟ قال: «لَأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَبَى إِلَّا أَنْ تَجْرِيَ فِيهِ سَنَنُ الْأَنْبِيَاءِ فِي غِيَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا بَدَلَ لَهُ يَا سَدِيرُ مِنْ اسْتِيفَاءِ مَدَدِ غِيَاتِهِمْ»، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي سنن من كان قبلكم» ^(٣٤).

هـ) أن لا تضيع ودائع الله (عزَّ وجلَّ):

أي المؤمنين الذين يظهرون من أصلاب الكافرين، فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ابن أبي عمير، عمَّن ذكره، قال: قلت له - يعني أبا عبد الله عليه السلام - : ما بال أمير المؤمنين لم يقاتل مخالفه في الأوَّل؟ قال: «لَايَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]»، قال: قلت: وما يعني بتزاييلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكَذَلِكَ الْقَائِمُ لَمْ يَظْهَرْ أَبَدًا، حَتَّى تُخْرَجَ وَدَائِعُ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَإِذَا خَرَجَتْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ ظَهَرَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فَفَقَتْلَهُمْ» ^(٣٥).



و) قبائح أعمال العباد، وفضائح أفعالهم، ممَّا يُسبِّب قَلَّة العدد المطلوب من الأنصار:

فإنَّها المانعة عن ظهوره عليه السلام عقوبةً علينا كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قال: «واعلموا أَنَّ الأرض لا تخلو من حِجَّة لله (عزَّ وجلَّ)، ولكنَّ الله سيُعْمي خلقه عنها، بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم...» الخبر^(٣٦).

ز) إظهار عجز من يسعى للإصلاح الكامل من غير أهل البيت عليهم السلام وإن كان محقاً:

عن أبي صادق، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقَ أهل بيت لهم دولة إلَّا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]»^(٣٧).

هذا هو إجمال أسباب الغيبة التي ذكرتها الروايات الشريفة. وفي المقام تساؤلان يرتبطان بعنوان البحث، وهما:

السؤال الأول: لماذا غاب المهدي عليه السلام عن أعدائه خوفاً؟

عندما نطالع روايات الغيبة، نجد أنَّ من الأسباب التي أكَّدت عليها هو سبب (الخوف)، وقد تكرر هذا السبب في العديد من الروايات^(٣٨).

وهنا يتسائل البعض: إذا كان المهدي معصوماً، أي إنَّه كامل من جميع الجهات، وهو المنتقذ الذي سيطيح بعروش الظلمة، وهو البطل الهام الذي لو صاح بجبل لتدكدك، فكيف يخاف من أعدائه القتل؟ لماذا يخاف الذبح؟ ألا يستطيع بإشارة واحدة من عينيه أن يهلك من يقصده بسوء؟

فلماذا اختفى عن الأنظار بهذه الطريقة التي منعنا من الحصول حتَّى على صورة شخصية له؟!



والجواب:

أولاً: أنَّ هذا السؤال يستلزم القول بأنَّه ما دام المهدي عليه السلام هو المنقذ، فعليه أن يقوم بالثورة من أوّل الأمر، بلا حاجة إلى الغيبة.

وهذا خلاف الحكمة التي أكّدت عليها الروايات الشريفة من أصل ظاهرة الغيبة (كما في رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي)، فإنَّ الحكمة الإلهية قد شاءت أن يكون للظهور وقت يعلمه هو (جلّ وعلا)، الأمر الذي يستلزم حصول ظاهرة الغيبة إلى أن يحين الوقت المعلوم عنده (جلّ وعلا).

أمّا ما هي تلك الحكمة؟ وما هو المبرّر لكلّ هذه الغيبة؟ وهل الحكمة هي وصول المجتمع إلى مستوى فكري لائق بيوم الظهور، أو أنّها مجهولة لدينا كما صرّحت بذلك رواية الهاشمي، فهذا أمر آخر لا دخل له بموضوعنا الآن. وبهذا يمكن الجواب عن تساؤل عند البعض، وأنَّه لماذا كان الذي يملؤ الأرض بالعدل والقسط وينشر الإسلام في ربوع الأرض هو الإمام المهدي عليه السلام ولم يكن هو الرسول الأعظم (صلّى الله عليه واله) أو أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمّة عليهم السلام؟

بل إنّ هذا التساؤل يجري حتّى في رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلماذا كان الخاتم هو محمد صلّى الله عليه وآله وليس عيسى عليه السلام مثلاً، وهكذا...

والجواب في الجميع هو:

١ - أنَّ مسألة اختيار النبي صلّى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ليست بيد البشر، إنّما هي بالجعل الإلهي، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة ٢٤].

وحيث إنّ أفعال الله تعالى حكيمة لا عبث فيها، فهذا يعني أنّه (عزّ وجلّ) عندما يختار إماماً لمهمّة، فهذا يعني أنّه تبارك وتعالى قد رأى المصلحة والحكمة المناسبة لذلك.

وليس مهمّاً - بعد هذا - أن نعلم بتلك الحكمة والمصلحة ما دمنا نؤمن بأنّ الفعل موافق للحكمة.



٢ - على أنه يمكن القول: إنَّ المانع من اختيار غيره عليه السلام من الأئمة عليهم السلام لمهام آخر الزمان ليس في الأئمة أنفسهم، وإنَّما المانع كان هو عدم وصول المجتمع آنذاك للنضج الملائم لقيام دولة الحق؛ فإنَّ تطبيق قانون الإسلام وإقامة الحق يحتاج فيما يحتاج إليه إلى مجتمع واعٍ تمام الوعي لهذا القانون، ومستعد تمام الاستعداد للتضحية من أجل المبادئ، ومتفهم تماماً لما سيقوم به المشرع والإمام من أفعال ربَّما تكون غير مفهومة الملاكات، أو قد تكون غير موافقة للفهم العام، وغيرها من الحثيات التي افتقدها المجتمع الذي عاصره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

وبعبارة مختصرة، وكما قالوا في الفلسفة: إنَّ المانع في القابل لا في الفاعل...
ثانياً: أنَّ ذلك التساؤل يوحى بأنَّ السبب الرئيسي للغيبة هو الخوف، وبالتالي، فحيث إنَّ المفروض في المهدي عليه السلام أن لا يخاف، فعليه أن يظهر.
ولكن الواقع غير ذلك، فإنَّه وبمطالعة الروايات الواردة في بيان أسباب الغيبة - والتي تقدَّم بعضها - يتبيَّن لنا جلياً أنَّ الخوف هو مقتضى من مقتضيات الغيبة، وجزء علَّة لها، وليس العلَّة التامة لها، وبالتالي، فلا يصلح (انتفاء الخوف) لأن يكون مقدِّماً لشرطية جزاؤها (ضرورة الظهور)، فلا يقال: حيث إنَّه لا يخاف فعليه أن يظهر.

ثالثاً: إنَّ الخوف يُعتبر في الإنسان أمراً طبيعياً، وقد تقدَّم في الأصل الموضوعي الخامس أنَّ الصبغة العامَّة للحركات السماوية هي الحركة الخالية من الإعجاز إلَّا في الحالات الاستثنائية، وبالتالي، صحَّ لنبيِّ من الأنبياء أن تمرَّ عليه تلك الحالة الطبيعية، ولذا خرج موسى من المدينة خائفاً يترقب، وخرج النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله من مكة بعد أن مات حاميه أبو طالب.

والشاهد على هذا، أنَّ المتلقِّي المباشر للخطاب من المعصوم، وعندما كان يسمع أنَّ واحداً من أسباب الغيبة هو الخوف، لم يكن يعترض على هذا الأمر



بأنه خلاف العصمة أو أنه يتنافى مع المهدوية، الأمر الذي يكشف عن وجود ارتكاز في النفوس بعقلانية الخوف والابتعاد عن العدو في الظروف التي تقتضي ذلك.

خصوصاً إذا عرفنا أن الخوف الحاصل من النبي أو الإمام ليس من الموت بما هو موت، كيف وهم أشوق إلى الجنة من أي شخص آخر، وإنما هو خوف على الرسالة الإلهية والأمانة الملقاة على النبي أو الإمام من أن ينقطع الطريق أمامه قبل أن يؤدّي الأمانة ويصل إلى الهدف.

وبهذا الجواب، يجاب عن التساؤل الذي يطرحه البعض عن خروج المهدي خائفاً من المدينة المنورة، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في حديث: «... ويبعث السفيناني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران»^(٣٩).

فإن الرواية قد شبّهت خروجه هذا بخروج النبي موسى عليه السلام في إشارة إلى جواب نقضي، وأن على المعارض أن يجيب أولاً عن خوف النبي موسى عليه السلام في خروجه من مدينته، وهو القوي الذي قضى على رجل بوكزة واحدة بيده، فبأي جواب أجاب عن هذا الخوف، نجيب نحن عن الخوف المذكور في قضية الإمام المهدي عليه السلام.

السؤال الثاني: لماذا غاب عن شيعته ومحبيه؟

لو وجدنا المبرر العقلاني لغيبة الإمام المهدي عليه السلام عن أعدائه، فلربما يقال بصعوبة إيجاد مثله في غيبته عن شيعته!

لماذا غاب المهدي عن محبيه، وشيعته، وهم ينتظرونه بفارغ الصبر، وكلهم شوق للقائه؟

لماذا لا يلتقي بهم، ليقضي حوائجهم، وليخفف عنهم ما هم فيه من الهم والحزن والألم؟



والجواب:

أولاً: صحيح أن شيعته يُحِبُّونه وينتظرون ظهوره كل حين، لكن هذا لا يعني ضرورة أن يظهر لهم علانية، ذلك لأنَّ الحكمة الإلهية قد اقتضت أن يغيب الإمام (عليه السلام) - كما تقدّم في رواية الهاشمي وغيرها -، فظهوره علناً ولو لشيعته خلاف مفهوم الغيبة.

ثانياً: ولو تنزّلنا، وقلنا: إنَّ أسباب الغيبة لا تجري في الشيعة، فيمكن القول: إنَّ الواقع والوجدان حاكمان على أنَّ الشيعة ليسوا على درجة واحدة من الوثاقة وحفظ السرِّ، وبالتالي فاحتمال الدلالة عليه وكشف ستره وارد جداً، ولأنَّ المحتمل خطر جداً - حيث إنَّه يعني كشف المهدي (عليه السلام) أمام أعدائه المتربّصين به - فيحكم العقل آنذاك بضرورة دفع الضرر المحتمل عن المهدي (عليه السلام).

وهذا الأمر هو ما أجاب به الشيخ النوبختي عمّن سأله عن سبب تقديم الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح عليه في السفارة عن المهدي (عليه السلام)، حيث ورد أنَّ أبا سهل النوبختي سُئِلَ فقليل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجّة (على مكانه) لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجّة تحت ذيله وقُرِّضَ بالمقاريض ما كشف الذيل عنه^(٤٠).

وبهذا يمكن أن نفهم بعض الوجوه من الروايات التي دلّت على أنَّ هذا الأمر قد حضر غير مرّة، ولكنّه بسبب البوح به وعدم حفظ السرّ فيه فقد تأجّل إلى وقت غير معلوم.

فعن إسحاق بن عمّار الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قد كان لهذا الأمر وقت وكان في سنة أربعين ومائة، فحدّثتم به وأدعتموه فأخّره الله (عزّ وجلّ) ولم يجعل الله له بعد ذلك عندنا وقتاً»^(٤١).



وفي رواية أخرى عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا إسحاق، إن هذا الأمر قد أُرْمِرتين» ^(٤٢).

وفي الثالثة: عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «يا ثابت، إن الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر في سنة السبعين، فلما قُتِلَ الحسين عليه السلام اشتدَّ غضب الله فأخبره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم بذلك فأذعتم وكشفتم قناع الستر فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك وقتاً عندنا، **يُمَحُّوا الله ما يشاء وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**» [الرعد: ٣٩]، قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**قد كان ذلك**» ^(٤٣).

فهذه الروايات تؤكد الفكرة التي تقدّمت، من أن خطورة المحتمل وحكم العقل بلزوم دفع الضرر يؤدي إلى الحكم بضرورة الغيبة حتى عن الشيعة. ثالثاً: وبناءً على هذا، يمكن أن نُعطي جواباً ثالثاً، حاصله: أنه مع توفر الوثيقة التامة، والتي يتمُّ معها الحفاظ على السرِّ، والتأمين التام على حياة الإمام المهدي عليه السلام - طبعاً مع وجود المصلحة التي يُجَدِّدها الإمام عليه السلام نفسه -، فإنَّ اللقاء به عليه السلام سيكون ممكناً، وسيكون الكشف عن هوية المهدي الحقيقية وارداً، وهذا لا يتنافى مع الغيبة، لأنَّه من الندرية بحيث يبقى معها مفهوم الغيبة محفوظاً.

ولذلك، وردت عدّة روايات تشير إلى هذا الإمكان، بل ووقوعه في الموثوقين بدرجة عالية من الوثاقة.

وتشير إلى هذا الجواب الرواية التي وردت عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصّة مواليه**» ^(٤٤).



ففي كل من غيبته عليه السلام هناك من يعلم بمكانه، وبالتالي يمكن أن يلتقي به ويتعرف عليه، أي يمكن أن لا يكون الإمام المهدي عليه السلام غائباً بالنسبة له، ولكن هذا الأمر لا يُتاح إلا لخاصة الشيعة و خاصة مواليه عليه السلام.

ويمكن أن نعتبر هذه الرواية قاعدة عامّة في الخروج عن أسلوب الغيبة في حياة الإمام المهدي عليه السلام، وقد نُقلت عدّة روايات تُمثل تطبيقاً لهذه القاعدة.

ومن أمثلة ذلك الروايات التالية:

الرواية الأولى: ما ورد من أن أحمد بن إسحاق سأل السفير الثاني محمد بن عثمان فقال له: أنت رأيت الخلف من أبي محمد عليه السلام؟ فقال: (إي والله، ورقبته مثل هذا - وأوماً بيده -) (٤٥).

وعن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: سألت محمد بن عثمان العمري عليه السلام، فقلت له: أرايت صاحب هذا الأمر؟ فقال: (نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني» (٤٦).

فهاتان الروايتان الواردتان عن السفير الثاني تُصرّحان بأنّه قد رأى الإمام عليه السلام، والخصوصية للسفير وإن كانت واردة جداً، ولكن ملاكها لا يخرج عن الوثاقة التامة، كما صرح به الشيخ النوبختي في الرواية المتقدمة.

الرواية الثانية: عن الحسن بن علي بن فضال، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتّى يُنفخ في الصور، وإنّه ليأتينا فيُسلم، فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنّه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليُسلم عليه، وإنّه ليحضر الموسم كلّ سنة فيقضي جميع المناسك، ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته» (٤٧).

فهذه الرواية واضحة في أنّ الخضر عليه السلام سيكون مؤنساً لوحشة الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وهذا يستلزم الكشف عن شخصيته أمامه، لأنّ ذلك لا يتنافى مع الغيبة، ولا يُخاف معه على الإمام عليه السلام.



الرواية الثالثة: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا بدّ لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بدّ في عزلته من قوّة، وما بثلاثين من وحشة»^(٤٨).

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «الأبدال في هذه الأمّة ثلاثون، مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلّما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً»^(٤٩).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بدّ له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة»^(٥٠).

الأبدال حسب هذه الروايات: مجموعة من الشيعة المخلصين يرافقون الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى، كلّما مات واحد منهم أبدله الله تعالى بآخر، وهؤلاء سيردّون الوحشة عن الإمام عليه السلام في غيبته. ممّا يعني أنّ الإمام عليه السلام كان قد كشف شخصيته أمامهم، للسبب المتقدّم.

إشارة: على المؤمن أن لا يتوقّف عن طلب أن يكون من الأنصار للإمام المهدي عليه السلام ومن الأبدال أولئك، فعلى كلّ واحد أن يعمل على أن يكون منهم، بعمله، وليتذكّر أنّه بعين إمامه، رغم كونه في مكانه النائي عنّا حسب الذي أراه الله تعالى له من الصلاح.

الرواية الرابعة: عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتِلَ، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلّا نفر يسير، لا يطلّع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره، إلّا المولى الذي يلي أمره»^(٥١).

وهذه أيضاً صريحة في أنّ هناك مولى له عليه السلام مطّلعاً عليه في غيبته.



سؤال: هذه الرواية جاءت بأسلوب الحصر «إلا المولى الذي يلي أمره»، فهل يتنافى هذا الأمر مع الروایتين السابقتين اللتين ذكرتا الخضر وثلاثين من الأبدال؟

الجواب: كلاً، لا تنافي، لأنّه يمكن القول: إنّ المقصود من (المولى) الجنس، فيصدق على المفرد وعلى الجمع - طبعاً بالشرط المتقدم -، أي بشرط أن لا يصل إلى الحدّ الذي ينتفي معه مفهوم الغيبة، ومعه، فيمكن أن يكون المقصود من (المولى) هو الخضر، أو الأبدال، أو شخصاً آخر غير الخضر والأبدال. وبهذا الاعتبار (الوثاقة التامة) يمكن القول بإمكان ما نُقِلَ عن جمٍّ غير من علمائنا الأعلام من أنّهم التقوا بالإمام المهدي عليه السلام وكانوا يعرفونه بحقيقته.

المفردة الثالثة: خفاء شخصيات الظهور الإيجابية:

عادةً ما يعمد القائل إلى التعريف التامّ بقوادر جيشه، وكشف منجزاتهم على مختلف المستويات، لما في ذلك من تقوية لعزيمة الجنود، وفي نفس الوقت إلقاء للرعب في قلوب الأعداء.

إلا أنّنا نواجه أمراً عكسياً في شخصيات الظهور، فبينما يتمّ التعريف بالسفاني بصورة تصل إلى حدّ ذكر اسمه وصفته ونسبه وبيان الكثير من أفعاله ومناطق تواجده وبدايات تحرّكه والمعارك التي يخوضها... نجد أنّ هناك إشارات خفيفة حول شخصيات الظهور الإيجابية، كاليماني والخراساني والحسني وشعيب بن صالح و(المنصور) الذي يرافق المهدي من المدينة إلى مكة...

فما هو السرّ في ذلك؟

الجواب: أنّ هذا الأمر تابع للظروف الموضوعية الحاكمة في وقت الظهور، والتفصيل أن يقال:

أولاً: ما هو سبب التعريف بالشخصيات السلبية؟

الجواب: ربّما لا نجد صعوبة في تبرير إبراز الكثير من معالم السفيناني وأمثاله، باعتبار أنّ الأمر يرجع إلى أنّ تعريفهم بصورة واضحة ينتج عدم الاشتباه بغيرهم، وهذا ينتج التالي:

- ١ - الابتعاد عن الانخراط في صفوفهم، وعن تأييدهم ولو باللسان.
- ٢ - عدم الانخداع بمظاهرهم التي تتلبّس بلباس الإسلام أو بلباس الواعظ الناصح.
- ٣ - العمل على التصدّي لهم وردعهم لو حاولوا النيل من المقدّسات أو النفوس.

وبالتالي لا يكون هناك عذر لمن يُؤيّدُهم.
وهذا الأمر في الحقيقة سيُوفّر حصانة تامّة للمؤمنين إبان الظهور من أن ينخرطوا في الصفوف المعادية للإمام المهدي عليه السلام.
ثانياً: ما هو سبب إخفاء الكثير من معالم الشخصيات الإيجابية؟
وهذا يمكن أن يجاب عنه بالتالي:

أولاً: أنّ الأعداء دائماً يتربّصون الدوائر بالحقّ وأنصاره، وبالتالي، فلو تمّ التعريف الواضح بالشخصيات المناصرة والمهمّدة للإمام عليه السلام لأمكن تصفيتّها قبيل ساعة الصفر، فتخسر المعركة جنوداً ذوي أهميّة قصوى فيها.
ثانياً: أنّ وجود إشارات خفيفة حول تلك الشخصيات يدفع بالمؤمنين إلى التروّي في اتّباع من يدّعي أنّه واحد من تلك الشخصيات، إلى أن يدرس الدعوى جيّداً ليصل إلى اليقين من حقّانيتها أو بطلانها، ذلك لأنّ تلك الشخصيات تُمثّل مقامات سامية في نفوس المؤمنين، وبالتالي يمكن لضعيفي النفوس أن يدّعوا مقاماتهم زوراً وبهتاناً، كما حصل بالفعل حيث ادّعى البعض - ومنهم ابن غاطع - أنّه اليماني الموعود، وقد انخدع به من لا نصيب له من العلم والمعرفة.



ثالثاً: أن ذلك يدفع بالمؤمنين إلى زيادة البحث والتنقيب حول القضية المهدوية عموماً، وبالتالي الرجوع إلى المتخصصين في فهم الروايات، مما يعني الإبقاء على ربط المؤمنين بالفقهاء المؤتمنين، الأمر الذي ينتج الحفاظ على الثقة المؤمنة من أن تقع فريسة للمخادعين.

رابعاً: فضلاً عما تقدم، يمكن القول: إن ما ذكر من إشارات آنية - إذا صحَّ التعبير - حول تلك الشخصيات كافٍ في مقام تشخيصهم الواقعي ساعة ظهورهم، بمعنى أن هناك مشخّصات تحصل عند ظهورهم وبداية إعلان تحرّكهم، تكفي المؤمنين ومن كان على اطلاع مسبق بروايات الظهور في أن يعرفوهم ولا يشتبهوا بغيرهم، وبالتالي نضمن على الأقلّ عدم معارضة المؤمنين وعدم الالتواء على تلك الحركات إن لم نقل نضمن مناصرتها، وذلك ببيان:

إن الروايات الشريفة، في الوقت الذي أخفت الكثير من معالم شخصيات الظهور الإيجابية، إلا أنّها ذكرت مشخّصات موضوعية يمكن أن يلتفت إليها المؤمن، وبالتالي لا يحصل عنده الاشتباه، وطبعاً ليس مهماً أن يتبّه الأعداء لتلك المشخّصات، فالمهم هو التفات المؤمنين حتّى تحصل فائدة العلامات، والتي هي تنبيه المؤمنين على قرب الظهور، وبالتالي ليزيدوا وليفعلوا انتظارهم العملي. وهذا ما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»^(٥٢)، وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «يُصدّق بها إذا كانت من كان مؤمناً يؤمن بها قبل أن تكون»^(٥٣).

بل يمكن القول: إنّه لولا هذه المشخّصات الآنية لفقدت العلامات علاميتها، فإنّه لولا وضوح العلامة لانتفى كونها علامة كما هو واضح، نعم، ذلك الوضوح مختصّ بالمؤمنين، وهذا لا ضير فيه في المقام.

ما هي تلك المشخّصات؟



والمشخصات المومئ إليها هي التالي:

أولاً: اليماني:

مشخصاته هي التالي:

١ - خروجه من اليمن.

كما تدل عليه النسبة، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وخروج السفيناني من الشام واليماني من اليمن...»^(٥٤).

وعن هشام، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: لما خرج طالب الحق، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: نرجو أن يكون هذا اليماني؟ فقال: «لا، اليماني يوالي علياً وهذا يبرأ»^(٥٥).

فتجد الإمام الصادق عليه السلام قد نفى يمانية هذا (الطالب للحق) من جهة عدم موالاته لأمر المؤمنين عليه السلام، ولو كان ثمة جهة أخرى لكان مناسباً للإمام عليه السلام أن يُبينها. فيظهر منه أن كون اليماني من اليمن هو من الواضحات في الذهنية الشيعية عموماً آنذاك، أي في عصر الإمام عليه السلام، وسكوت الإمام عليه السلام عن ذلك إقرار منه بصحة هذا الفهم في الذهنية العامة.

٢ - خروجه مع السفيناني والخراساني في يوم واحد من شهر رجب.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «خروج السفيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً...»^(٥٦).

وأما كون الخروج هذا في شهر رجب فلما ورد من أن السفيناني يخرج في هذا الشهر، فعن معلّى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفيناني في رجب»^(٥٧).

٣ - إعلانه دعوته الخالصة للإمام المهدي عليه السلام.

في رواية الإمام الباقر عليه السلام المتقدمة ورد: «وليس في الرايات راية أهدى من



راية اليماني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم...، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم»^(٥٨).

٤ - مقاتلته للسفياني، فهو من أعداء السفياني الذي ذكرت الروايات له مشخّصات عديدة.

روي عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثمّ يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلها جميعاً فيظهر عليها جميعاً، ثمّ يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقتل الناس قتل الجاهلية فيلتقي هو والأخوص وراياتهم صفر وثيابهم ملوّنة فيكون بينهما قتال شديد...»^(٥٩).

ثانياً: الخراساني؛

١ - إنّهُ من بني هاشم، وهو فتى صبيح الوجه.

روي عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يخرج شاب من بني هاشم بكفّه اليمنى خال، من خراسان، برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم»^(٦٠).

٢ - خروجه من خراسان.

كما تدلّ عليه النسبة، وكما وصفت الروايات خروجه من جهة المشرق الذي يُطلَق على بلاد فارس، لأنّها تقع بالشرق من المدينة أو مكّة أو العراق (والإمام لم يكن إلّا في واحدة من هذه المدن، فيكون الشرق بالنسبة إليه هو بلاد إيران).

عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه سمعه يقول: «لا بدّ أن يملك بنو العبّاس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشّت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق، وهذا من المغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هاهنا، وهذا من هاهنا...»^(٦١).



- ٣ - خروجه مع اليماني والسفياني في يوم واحد من شهر رجب كما تقدّم.
٤ - توجّهه نحو الكوفة لردّ كيد السفياني، كما دلّت عليه الرواية المتقدّمة.

ثالثاً: النفس الزكية:

- ١ - دعوته للإمام المهدي عليه السلام أمام الملاء في مكّة المكرمة وعند البيت المعظم.
٢ - إنّ تلك الدعوة تحصل يوم (٢٤) أو (٢٥) ذي الحجّة في السنة التي تقع فيها العلامات الواضحة كالصيحة والخسف وغيرها. لأنّ قتله يكون قبل الظهور بخمس عشرة ليلة، والظهور يكون في العاشر من محرّم (٦٢).
٣ - إنّ أهل مكّة يقتلون ذلك الشاب في مكان إعلان دعوته، ولا شكّ أنّ قتل شاب في هذا المكان سيكون ملفتاً للنظر جدّاً، فإنّه حرم الله الآمن، والحجّاج ما زال الكثير منهم لم يخرجوا عن مكّة.

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال: «يقول القائم لأصحابه: يا قوم، إنّ أهل مكّة لا يريدونني، ولكنّي مرسل إليهم لاحتجّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجّ عليهم. فيدعوا رجلاً من أصحابه، فيقول له: امض إلى أهل مكّة، فقل: يا أهل مكّة، أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنّنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمّد وسلالة النبيّين، وإنّا قد ظلّمنا واضطّهدنا وقهرنا وابترزّ منّا حقّاً منذ قبض نبيّنا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبّحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكيّة...» (٦٣).

وعن صالح مولى بني العذراء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكيّة إلا خمسة عشر ليلة» (٦٤).

رابعاً: الحسنی:

- ١ - قدومه من الشرق (ولذلك احتمل البعض اتّحاده مع الخراساني، وبناءً عليه ستحدّد شخصّاتها). وقد عبّرت الرواية عن خروجه ذلك بأنّه يخرج من الديلم.



٢ - قيادته لجيش عظيم يقاتل به المخالفين للحقّ.

٣ - لقاءه بالمهدي عليه السلام وطلبه منه المعجزة، فيقيمها له المهدي عليه السلام، وبعدها سينضمُّ مع جيشه إليه.

فقد روي: «ويلحقه الحسيني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقُّ منك بهذا الأمر، فيقول له: هات علامة، هات دلالة، فيومئ إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضرُّ ويعشوشب، فيُسَلَّم إليه الحسيني الجيش، ويكون الحسيني على مقدّمته...» (٦٥).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثم يخرج الحسيني الفتى الصيح من نحو الديلم...، ويتّصل به وبأصحابه خبر المهدي، فيقولون: يا ابن رسول الله، من هذا الذي نزل بساحتنا؟ فيقول: أخرجوا بنا إليه حتّى ننظره من هو، وما يريد، والله ويعلم أنّه المهدي، وإنّه يعرفه وإنّه لم يرد بذلك الأمر إلّا له...، فيقبل الحسيني حتّى ينزل بالقرب من المهدي...، فيقول له أصحاب المهدي: هذا وليّ الله مهدي آل محمّد...، فيخرج الحسيني من عسكره ويخرج المهدي ويقفان بين العسكرين فيقول له الحسيني: ... وأنا أسألك أن تغرس هراوة جدك رسول الله في هذا الحجر الصفا، وتسال الله أن ينبتها فيها وهو لا يريد بذلك إلّا أن يرى أصحابه فضل المهدي إليه التسليم حتّى يطيعوه ويبايعوه، فيأخذ المهدي الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه وتعلو وتفرغ وتورق حتّى تظلّ عسكر المهدي والحسيني، فيقول الحسيني: الله أكبر، مُدّ يدك يا ابن رسول الله حتّى أباعك، فيمدّ يده فيبايعه ويبايعه سائر عسكر الحسيني...» (٦٦).

خامساً: شعيب بن صالح:

١ - خروجه من الرّيّ.

٢ - أنّه يكون واحداً من قيادات جيش الخراساني، فمَشَخَّصات الخراساني تنفع في تشخيصه أيضاً.



٣ - إِنَّهُ قَائِدٌ عَسْكَرِي مُحَنِّكَ، يَتَغَلَّبُ عَلَى كُلِّ أَعْدَائِهِ.

٤ - إِنَّهُ سَيَكُونُ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ظُهُورِهِ.

روي عن جابر، عن أبي جعفر، قال: «يُخْرِجُ شَابَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بِكَفِّهِ الْيَمْنَى خَالًا، مِنْ خُرَاسَانَ بِرَايَاتِ سُودَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ، يِقَاتِلُ أَصْحَابَ السَّفِيَانِي فِيهِزْمِهِمْ»^(٦٧).

وروى السيد ابن طاووس قال: حَدَّثَنَا نَعِيمٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَصْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: «يُخْرِجُ بِالرِّيِّ رَجُلَ رُبْعَةٍ»^(٦٨) أَسْمَرُ مَوْلَى لِبْنِي تَيْمٍ، كُوسَجٍ^(٦٩) يُقَالُ لَهُ: شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ، فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثِيَابُهُمْ بَيَاضٌ، وَرَايَاتُهُمْ سُودٌ، يَكُونُ مَقْدَمَةً لِلْمُهْدِيِّ لَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا فَلَّهُ»^(٧٠) (٧١).

وروي عن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي حَدِيثٍ لَهُ: (يُخْرِجُ الْمُهْدِي عَلَى لُؤَائِهِ شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ)^(٧٢).

وهذه الرواية وإن لم تُرَوَّ عن المعصوم، ولكنها بالتالي تحكي عن أمر محتمل، بل قد تساعد عليه الظروف الموضوعية آنذاك، فإنَّ قَائِدًا مُحَنِّكَاً كَشَعِيبٍ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ عَلَى لُؤَاءِ الْمُهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سادساً: المنصور:

لَعَلَّ أَخْفَى شَخْصِيَّةٍ إِيْجَابِيَّةٍ وَرَدَتْ فِي الرِّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ هِيَ شَخْصِيَّةُ (المنصور)، فَإِنَّهُ لَا نَجْدَ لَهُ أَيْ مَشَخَّصٍ فِي الرِّوَايَاتِ، وَقَدْ رَوَى الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَايَةً يَقُولُ فِيهَا: «... وَيَبْعَثُ [أَي السَّفِيَانِي] بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَقْتُلُ بِهَا رَجُلًا، وَيَهْرَبُ الْمُهْدِي وَالْمَنْصُورُ مِنْهَا»^(٧٣).

فمن هو هذا (المنصور)؟

يُظْهَرُ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ مُرَافِقِي الْإِمَامِ الْمَخْلُصِينَ جَدًّا، وَأَنَّهُ عِنْدَمَا يُخْرِجُ الْمُهْدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ رَفِيقَ دَرَبِهِ، وَلَكِنْ هَلْ لَهُ رَفَقَةٌ مَعَهُ قَبْلَ هَذَا الطَّرِيقِ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي الْمَدِينَةِ حِينَمَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْمُهْدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يَرِافِقُ الْإِمَامَ فِي سَفَرِهِ إِلَى مَكَّةَ؟ لَمْ تُبَيَّنِ الرِّوَايَةُ أَيْ شَيْءٌ عَنْ هَذَا.



ولعل إخفاء معالنه تماماً كان لأجل أنه لا دور له في أحداث الظهور سوى مرافقة الإمام عليه السلام في سفره هذا، ومرافقة الإمام لا تنحصر به كما تقدم، فإن هناك العديد من الأفراد اللذين لهم الشأنفة لتلك المرافقة وأكثر، كالخضر والأبدال وما شابه. ومعه، فلا داعي لتفصيل أمر لا أهمية كثيرة له في أحداث الظهور.

وهنا عدة إثارات في تشخيص هذا المنصور:

الإشارة الأولى: أن هذا المنصور هو المولى الذي يلي أمر الإمام في غيبته كما ذكرت الرواية ذلك.

ولكنه مجرد احتمال لا شاهد عليه.

الإشارة الثانية: أن هذا المنصور هو نفسه المهدي عليه السلام لا غير.

فإن من أسماء المهدي عليه السلام هو المنصور^(٧٤)، وحيث تكون الواو (الواردة في الرواية) تفسيرية لا عاطفة لتدل على المغايرة.

ولكنه يجب: أن ظاهر الواو هو العطف والمغايرة، ومجرد أن واحداً من أسماء المهدي عليه السلام هو المنصور لا يعني حصره به. فلا تكفي هذه التسمية لتكون قرينة على التفسيرية وعدم المغايرة، أو لتكون صارفة عن ظاهر الرواية في المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

الإشارة الثالثة: أن (المنصور) هو قائد الملائكة التي ستزل لنصرة الإمام عليه السلام.

تذكر بعض الروايات الشريفة أن مجموعة من الملائكة نزلوا لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولكنهم لم يؤذن لهم، وكان رئيسهم اسمه (منصور)، وأنهم ينتظرون قيام القائم عليه السلام لينصروه وليكونوا معه.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين لم يؤذن لهم، فرجعوا في الاستييار فهبطوا وقد قُتل الحسين، فهم عند قبره شعث غبر يكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا



يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يؤدّعه مودّع إلا شيعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته، فكلّ هؤلاء ينتظرون قيام القائم...» (٧٥).

ولعلّ (منصور) هذا هو المعنيّ بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت) (٧٦)، أي أقتل الكافرين، وكذلك كان هو شعار مسلم بن عقيل في الكوفة (٧٧). وقد ورد أنّ واحداً من شعارات أصحاب الإمام المهدي عليه السلام هو: (أمت أمت) (٧٨)، ولعلّ المقصود هو نفس شعار المسلمين يوم بدر. فقد يقال: إنّ (المنصور) الذي سيرافق الإمام عليه السلام في سفره من المدينة إلى مكّة، هو هذا الملك.

ولكنّه واضح الضعف، فإنّ ظاهر الرواية أنّ المنصور بشر لا ملك، ثمّ إنّ هذا الملك وحسبما ذكرت الرواية سينزل مع أربعة آلاف ملك لينصروا الإمام الحجة عليه السلام عند ظهوره، والحال أنّ الإمام في رواية الخروج إلى مكّة لم يظهر بعد، وعلى الأقلّ هو لم يعلن ظهوره للملأ.

الإثارة الرابعة: إنّ هذا المنصور هو (اليمني).

اليمني هو أحد شخصيات الظهور الإيجابية، وقد اعتبرته الروايات الشريفة من علامات الظهور الحتمية، وقد وصفته بعض الروايات بالمنصور.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «... قوم رقيقة قلوبهم راسخ إيمانهم، ومنهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيّ...» (٧٩).

وقد تقدّمت رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام، والتي سمّته أيضاً بمنصور اليمني (٨٠).

فحيث إنّ المتبادر من الشخص الذي سيخرج من اليمن والذي سينصر الإمام المهدي عليه السلام هو اليمني لا غير، فيمكن القول: إنّ المنصور المذكور في هذه الرواية هو اليمني لا غير.



ومعه قد يقال: إنَّ المنصور الذي سيخرج مع الإمام المهدي عليه السلام من المدينة إلى مكة سيكون هو نفسه اليماني...

وقد يجاب عن هذا: بأنَّ اليماني - وحسب هذه الرواية التي سمَّته بالمنصور - سيكون قائد جيش جرّار، بل ذكرت بعض الروايات أنّه سوف يتسابق مع السفيناني كفرسي رهان^(٨١)، فإنَّ المعروف أنَّ السفيناني صاحب جيش كبير، وعنده توجّهات توسعية طامعة، فلا يجاريه ولا يتسابق معه إلّا من عنده قوّة توازيه، فلا يُعقل أن يبقى لوحده، وأن يتجرّد من قيادته لذلك الجيش ليرافق الإمام المهدي عليه السلام في سفره ذاك.

وقد يُوجّه هذا: بأنَّ بعض الروايات ذكرت أنَّ السفيناني سيخوض حرباً ضدَّ (المنصور اليماني) وسيقضي عليه، ففي كتاب الفتن عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِذْ ظَهَرَ السِّفِينَانِي عَلَى الْأَبْقَعِ وَعَلَى الْمَنْصُورِ وَالْكَنْدِيِّ وَالتَّرْكِ وَالرُّومِ خَرَجَ وَصَارَ إِلَى الْعِرَاقِ...»^(٨٢).

فإنَّ التعبير بـ (ظهر على) يدلُّ على غلبة السفيناني على اليماني، وبالتالي يمكن تصوّر انحلال جيش اليماني بعد هذه الحادثة، وأنّه سيتوجّه لوحده لمرافقة الإمام المهدي عليه السلام وليبقى معه إلى حين الظهور الرسمي.

لكن مع ذلك يبقى هذا الاحتمال بلا شاهد قويّ، فتبقى شخصية (المنصور) المرافق للإمام عليه السلام قيد الخفاء حسب ما بين أيدينا من معطيات.

المفردة الرابعة: خفاء الولادة:

بمراجعة سريعة لولادة الإمام المهدي عليه السلام نجد أنّها قد أُحيطت بالسريّة التامّة التي وصلت إلى حدّ بعيد.

إنَّ الروايات الواردة في هذا المعنى على صنفين:

الصنف الأوّل: الروايات التي أُخبرت بخفاء ولادته قبل ولادته من آبائه المعصومين عليه السلام، ومن أمثلة تلك الروايات التالي:



الرواية الأولى: عن عبد الله بن عطاء، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ شيعتك بالعراق كثيرون، فوالله ما في أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟ فقال: «يا عبد الله بن عطاء، قد أمكنت الحشو من أذنيك، والله ما أنا بصاحبكم»، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: «أنظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم»^(٨٣). فهذه الرواية تُصرِّح بأنَّ (صاحبنا) أي المهدي عليه السلام يتميَّز عن غيره من الأئمة عليهم السلام بخفاء ولادته.

وقوله: «قد أمكنت الحشو من أذنيك» بمعنى أنَّه سمح للزائد من الكلام وما لا نفع فيه وما لا دليل عليه أن يدخل أذنه وأن يُصدَّق به، ولعلَّ فيه إشارة إلى أنَّه كان البعض في ذلك الوقت يعمل على الترويج لمهدوية الإمام الباقر عليه السلام، ولعلَّهم هم من تسمَّوا بعد ذلك بالباقرية.

الرواية الثانية: ما ورد من تشبيه الإمام المهدي عليه السلام بالنبيِّ موسى عليه السلام من حيث خفاء المولد، فقد ورد عن محمَّد بن مسلم الثقفي الطحَّان، قال: دخلت على أبي جعفر محمَّد بن علي الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمَّد (صلَّى الله عليه وعليهم)، فقال لي مبتدئاً: «يا محمَّد بن مسلم، إنَّ في القائم من آل محمَّد شبيهاً من خمسة من الرسل: يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمَّد، صلوات الله عليهم... وأمَّا شبهه من موسى فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته»^(٨٤).

الرواية الثالثة: عن أيُّوب بن نوح، قال: قلت للرضا عليه السلام: إنَّنا لنرجو أن تكون صاحب هذا الأمر...، فقال: «ما منَّا أحد اختلفت إليه الكتب، وسُئِلَ عن المسائل، وأشارت إليه الأصابع، وحُمِلت إليه الأموال إلا اغتيل أو مات على فراشه حتَّى يبعث الله (عزَّ وجلَّ) لهذا الأمر رجلاً خفي المولد والمنشأ غير خفي في نسبه»^(٨٥).



وهذه الرواية في الوقت الذي تُصرِّح بأن المهدي خفي المولد، كأنها تُعطي السبب في خفاء مولده، بأن ظهوره واشتهاره سيُسبب قتله، لذلك فإنَّ كلَّ من ذاع اسمه من الأئمة قد قُتِلَ، وإن لم يُقتَل فإنه سيموت من دون تحقيق العدل والقسط على الأرض كلَّ الأرض، وبالتالي، فإنَّ ميزة المهدي عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) هو خفاء المولد، وبالتالي فإنه لا تختلف إليه الكتب ولا يُشار له بالأصابع - طبعاً إلى أن يظهر حيث ترتفع التقيّة عن أصحابه فضلاً عنه - . هذا، ومن الطبيعي جداً أنَّ خفاء الولادة سيُسبب اختباراً صعباً يمرُّ به الناس، وفي نفس الوقت سيفتح باباً لمن يريد التشكيك في أن يُشكَّك في الولادة، وهذا ما صرَّحت به الروايات الشريفة التي وردت وكأنها تشير إلى نتيجة خفاء الولادة، حيث ورد عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم»، فقلت: ولم؟ قال: «يخاف - وأومى بيده إلى بطنه -»، ثم قال: «يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يُشكُّ في ولادته، فمنهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: غائب، ومنهم من يقول: ولِدَ قبل وفاة أبيه بسنين...» (٨٦).

وكذلك ما ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من أنه قيل له: ... يا ابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: «... الذي يشكُّ الناس في ولادته...» (٨٧).

الصنف الثاني: الروايات التاريخية التي ذكرت أحوال الحمل به ولحظات ولادته في ليلة الخامس عشر من شعبان المعظم.

حيث تذكر هذه الروايات أن الخفاء الذي أحاط بولادة الإمام المهدي عليه السلام كان على أشده، بحيث لم يكن يعلم بالحمل به إلا أبوه الإمام العسكري عليه السلام،



ولم تُصرِّح الروايات بعلم غيره بالحمل^(٨٨)، بحيث إنَّ السيِّدة حكيمة استعلت من الإمام عليه السلام لتعرف من هي أمُّ المولود الموعود^(٨٩).

ومن هنا، يتَّجه السؤال عن سبب هذا الخفاء المطبق والتقيَّة المشدَّدة في ولادة الإمام المهدي عليه السلام، خصوصاً وأنَّ هذا الخفاء قد سبَّب التشكيك بأصل الولادة!

والجواب:

أنَّ متابعة الظروف الموضوعية التي كانت تحيط ببيت الإمام العسكري عليه السلام كانت تفرض هذه الإجراءات الوقائية عالية الشدَّة، ممَّا يعني أنَّ اللطف الإلهي والحكمة الإلهية تتَّجهان بالضرورة إلى حفظ المولود الموعود ولو بإحاطته بهذه السريَّة التامَّة والخفاء المدقع.

إنَّ هناك عدَّة معطيات تُوضِّح تلك الظروف المحيطة، خلاصتها التالي:

١ - أحاديث أنَّ الأئمَّة اثنا عشر^(٩٠).

٢ - أحاديث أنَّ المهدي الذي يزيل الطواغيت عن عروشهم هو الإمام الثاني عشر.

٣ - أنَّ الإمام العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر، وبالتالي فلا بدَّ أن يكون ولده هو المهدي عليه السلام.

٤ - أنَّ هذه الأحاديث ليست خافية على السلطة العبَّاسية آنذاك، بل هي مشهورة ويحفظها الصغير قبل الكبير.

وكردَّة فعل طبيعية لهذه المعطيات فإنَّ السلطة لا بدَّ أن تعمل على وأد هذا المولود في مهده، لذلك اتَّخذت إجراءات عديدة منها التالي:

١ - المراقبة الشديدة لبيت الإمام العسكري عليه السلام.



٢ - مراقبة نساء الإمام وجواريه.

٣ - محاولة اقتناص أيّ خبر عن مولود للإمام.

ولذلك تذكر بعض الروايات أنّهم وبعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام وعندما أسقط بأيديهم في الظفر بالمولود الموعود، فإنّهم عمدوا إلى كبس دار الإمام وتفتيشه بدقّة، حتّى إنّ بعض الروايات تذكر أنّهم كادوا أن يظفروا بالإمام عليه السلام لولا أنّه كان صغيراً - وقد يكونون يعتقدون بأنّه رجل كبير لأنّه خليفة أبيه والمهدي المنتظر -، ولولا انشغالهم بنهب بيت الإمام عليه السلام، ممّا أتاح للإمام المهدي عليه السلام أن يخرج من بين أيديهم من دون أن يتبهنوا عليه، بل تذكر بعض الروايات أنّ الإمام مرّ عليهم من دون أن يراه قائدهم، وأنّ جنوده استغربوا من عدم رؤيته له بعد أن عاتبهم على عدم الإمساك به^(٩١).

فإذا عرفنا أنّ اللطف الإلهي، بل والوعد الإلهي اقتضيا حفظ ذلك الولد ليكون هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً في وقت لا يعلمه إلا الله تعالى، عرفنا أنّ الحكمة الإلهية حينئذٍ تقتضي إحاطة هذا المولود بسريّة تامّة تبدأ من حين الحمل به ثمّ ولادته، وانتهاءً بغيبته عليه السلام.

نماذج تاريخية:

إنّ خفاء ولادة الأولياء وإحاطتها بالسريّة العالية ليست جديدة في الواقع، بمعنى أنّ الظرف الموضوعي هو من يتحكّم في الإجراء المناسب، فإذا توفّرت الظروف الأمنية المناسبة لإظهار الولادة، فلا داعي حينئذٍ للإخفاء من هذه الجهة، أمّا إذا كان الظرف الأمني خطراً على المولود الموعود بالقيام بمهمّة إلهية معنية، اقتضى اللطف الإلهي أن تجري الحكمة وفق إخفاء وستر المولود بطريقة وبأخرى.



فالنبي إبراهيم عليه السلام كان ممن أخفيت ولادته خوفاً عليه، فقد نُقِلَ أَنَّ ملك ذلك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه في ملكه، فأمر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فحبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حبلها للناس، فلما جاءها الطلق ذهبت إلى كهف في جبل ووضعت إبراهيم وسدّت الباب بحجر، فجاء جبريل عليه السلام ووضع إصبعه في فمه فمصّه فخرج منه رزقه، وكان يتعهده جبريل عليه السلام، فكانت الأم تأتيه أحياناً وترضعه... (٩٢).

وقصة النبي موسى عليه السلام واضحة مشهورة في إخفاء ولادته وإبعاده عن أمه وعيشه في بيت عدوّه، ليتم الحفاظ عليه من بطش فرعون الذي أمر بقتل كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل، وكان اللطف الإلهي واضحاً جداً، حيث ألقى الله تعالى المحبة منه على موسى (٩٣)، بحيث كان كل من يراه يُحبّه.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «... فلما وضعت أم موسى بموسى نظرت وحزنت واغتمت وبكت وقالت: يُذبح الساعة، فعطف الله قلب الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفّر لونك؟ فقالت: أخاف أن يُذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه وهو قول الله (عز وجل): ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩]، فأحبته القبطية الموكلة به...، وكان لفرعون قصر على شطّ النيل متنزّه، فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتّى جاءت به على باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه، فأخذ التابوت ورُفِعَ إليه، فلما فتحه وجد فيه صبيّاً، فقال: هذا إسرائيلي، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية، وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩] أنّه موسى، ولم يكن لفرعون ولد، فقال: التمسوا له ظئراً تُربّيه... (٩٤).



استخلاص النتائج:

أولاً: أنَّ الصبغة العامّة لحركة الإمام المهدي عليه السلام هي كونها وفق القوانين الطبيعية، لذلك سيكون هناك بعض الأفعال التي تتناسب مع هذه القوانين، كالابتعاد عن الظالمين الذين يريدون بالمهدي سوءاً.

ثانياً: لا يمكن أن يُنظر إلى القضايا المهدوية كلاً على حدة، بل لا بدّ من الربط بينها وأخذها ككلٍّ مجموعي، مع ملاحظة الظروف الموضوعية المحيطة بكلّ قضية، وهذه النظرة ستحلّ لنا الكثير من الإشكاليات في هذه القضايا. ثالثاً: لا محيص من الرجوع إلى الروايات المفسّرة لبعض القضايا، لأنّها تُوفّر لنا كمّاً جيّداً من المعلومات التي تنفع الباحث والمنتظر، وبالتالي لا بدّ من الرجوع إلى المتخصّصين في مجال الروايات عموماً والروايات المهدوية خصوصاً، للوصول إلى نتائج سليمة قدر الإمكان من الأخطاء، ومن معارضة الأصول العامّة للمذهب وثوابته.

* * *



الهوامش

١. في تاج العروس للزبيدي (ج ٢٠ / ص ٣٠٤ / مادة وقى): وقاه يقيه وقياً - بالفتح -، ووقايةً - بالكسر -، وواقيةً، على فاعلة: صانه وستره عن الأذى وحماه وحفظه، فهو واق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]؛ أي من دافع.
٢. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ٤٨٣ / الباب ٤٥ / الحديث ٣.
٣. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٠٠ و ٣٠١ / الباب ١٦ / الحديث ٣.
٤. نفس المصدر / الحديث ٥.
٥. نفس المصدر / الحديث ٦.
٦. بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ٣٣٥.
٧. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٩٨ و ٢٩٩ / باب ١٦ / الحديث ١.
٨. نفس المصدر / الحديث ٩.
٩. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٩٩ و ٣٠٦ / الباب ١٦ / ح ١٤.
١٠. في كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣١٤ و ٣١٥ / الباب ١٨ / الحديث ١٠: عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنّا عند أبي جعفر محمد بن عليّ الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفيناني، وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم، فقال: «إنّ القائم من الميعاد، والله لا يُخْلِف الميعاد».
١١. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٠٢ - ٣٠٦ / الباب ١٦ / الحديث ٧.
١٢. في كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٣٥ / الباب ٢١ / الحديث ١٠: عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليعدنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأنّ يُسئ في عمره حتّى يُدرّكه فيكون من أعوانه وأنصاره».
١٣. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ٣٣٧ و ٣٣٨ / الباب ٣٣ / الحديث ١٠.
١٤. في كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٧٢ و ٢٧٣ / الباب ١٤ / الحديث ٢٨: عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي منادٍ من السماء: إنّ فلاناً هو الأمير، وينادي منادٍ: إنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون». قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: «إنّ الشيطان ينادي: إنّ



الهوامش

٢٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٤ / الحديث ٤٢٤.
٢٣. الفتنة الصماء العمياء هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في دهائها، لأنَّ الأصمَّ لا يسمع الاستغاثة، فلا يقلع عمًا يفعل. وقيل: هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقي. والصيلم: الداهية. (هامش المصدر).
٢٤. حرن بالمكان حرونة: إذا لزمه فلم يفارقه ٣٧٣.
١٦. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني العاملي ٣: ٤٩١، نقله عن كشف النوري: ٢٢٢ كما في أربعين الخاتون آبادي مختصراً، عن الفضل بن شاذان من كتابه في الغيبة. وعن: منتخب الأثر: ٤٦٤ و ٤٦٥ / ف ٦ / ب ٩ / ح ٥، عن أربعين الخاتون آبادي، وأشار إليه في كشف الأستار.
١٧. بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ٩٨.
١٨. الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢: ٣٢٣ و ٣٢٤.
١٩. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ١٥٣ و ١٥٤ / الباب ١٠ / الحديث ٩.
٢٠. نفس المصدر / الحديث ٣٢.
٢١. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٧ / الحديث ٤٢٨.
٢٤. حرن بالمكان حرونة: إذا لزمه فلم يفارقه (لسان العرب). وفي نسخة: ... حيران بدل حران. (هامش المصدر).
٢٥. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٨ و ٤٣٩ / الحديث ٤٣١.
٢٦. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٧٣ / الباب ١٤ / الحديث ٢٨.
٢٧. رسائل في الغيبة للشيخ المفيد ٢: ١٣.
٢٨. على أن البعض يبنى على أن الغيبة الصغرى بدأت منذ ولاته، وهذا الخلاف لا دخل له الآن في ما نحن بصدده.
٢٩. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ١٧٦ / الباب ١٠.
٣٠. كمال الدين: ٤٨١ و ٤٨٢ / باب ٤٥ / ح ١١.
٣١. الغيبة للنعماني: ١٨٢ و ١٨٣ / باب ١٠ / فصل ٤ / ح ٢٠.

الهوامش

٣٢. الغيبة للنعماني: ٢١٢ / باب ١٢ / ح ٦.
٣٣. كمال الدين: ٤٨٥ / باب ٤٥ / ح ٤.
٣٤. كمال الدين: ٤٨٠ و ٤٨١ / باب ٤٤ / ح ٦.
٣٥. كمال الدين: ٦٤١ / باب ٥٤.
٣٦. الغيبة للنعماني: ١٤٤ / باب ١٠ / ح ٢.
٣٧. الغيبة للطوسي: ٤٧٢ و ٤٧٣ / ح ٤٩٣.
٣٨. الغيبة للنعماني: ١٧٠ / الباب ١٠ الحديث
- ٤٠، ١٨٢ / الباب ١٠ / ح ١٨ و ١٩ و ١٨٣ /
- ح ٢٠ و ٢١؛ والغيبة للطوسي: ٣٣٢ / ح
- ٢٧٤، و ٣٣٤ / ح ٢٧٩؛ وكمال الدين:
- ٣٤٢ / الباب ٣٣ / ح ٢٤، و ٣٤٦ / الباب
- ٣٣ / ح ٣٢، و ٤٨١ / الباب ٤٤ / ح ٧ - ١٠.
- مع الالتفات إلى أنَّ بعض هذه الروايات
- قد تكرّرت في المصادر.
٣٩. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٢٨٩ / الباب ١٤ / ح ٦٧.
٤٠. الغيبة للشيخ الطوسي: ٣٩١ / ح ٣٥٨.
٤١. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٣٠٣ و ٣٠٤ / الباب ١٦ / ح ٨.
٤٢. نفس المصدر / ح ٩.
٤٣. نفس المصدر / ح ١٠.
٤٤. الكافي للشيخ الكليني ١: ٣٤٠ / باب في
- الغيبة / ح ١٩.
٥. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤٣ و ٢٤٤ / ح ٢٠٩.
٤٦. كمال الدين وتام النعمة للشيخ الصدوق:
- ٤٤٠ / الباب ٤٣ / ح ٩.
٤٧. كمال الدين وتام النعمة للشيخ الصدوق:
- ٣٩٠ و ٣٩١ / الباب ٣٨ / الحديث ٤.
٤٨. الغيبة للنعماني: ١٩٤ / ب ١٠ / ح ٤١.
٤٩. مسند أحمد ٥: ٣٢٢.
٥٠. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني: ١٩٤.
٥١. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ١٧٦ / الباب ١٠.
٥٢. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٢٧٤ / الباب ١٤ / ح ٣١.
٥٣. المصدر السابق / ح ٣٢.
٥٤. كمال الدين للشيخ الصدوق: ٣٣٠ / ح ١٦.
٥٥. أمالي الشيخ الصدوق: ٦٦١ / رقم
- (١٣٧٥ / ١٩).
٥٦. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٢٦٤ / الباب ١٤ / ح ١٣.
٥٧. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٣١٠ و ٣١١ / الباب ١٨ / ح ٢.
٥٨. كتاب الغيبة لمحمّد بن إبراهيم النعماني:
- ٢٦٤ / الباب ١٤ / ح ١٣.
٥٩. كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ١٧٤.

الهوامش

٦٠. كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ١٨٩.
٦١. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٦٧/ الباب ١٤/ ح ١٨.
٦٢. ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يقوم القائم يوم عاشوراء» (كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٩١/ الباب ١٤/ ح ٦٨).
٦٣. بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٧/ ح ٨١.
٦٤. كمال الدين: ٦٤٩/ باب ٥٧/ ح ٢.
٦٥. الملاحم والفتن لابن طاووس: ٢٩٥ و ٢٩٦.
٦٦. الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخيصي: ٤٠٣ و ٤٠٤.
٦٧. الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس: ١٢٠.
٦٨. في هامش المصدر: رجل ربعة: أي مربع الخلق لا بالطويل ولا بالقصير. لسان العرب ٥: ١١٩/ مادة (ربع).
٦٩. في هامش المصدر: الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه. لسان العرب ١٢: ٨٨/ مادة (كسج).
٧٠. في هامش المصدر: فله: أي هزمه. النهاية لابن الأثير ٣: ٤٧٣.
٧١. الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس: ١١٩.
٧٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٤/ ح ٤٧٩.
٧٣. تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي: ٦٤: ١.
٧٤. في تفسير فرات الكوفي لفرات بن إبراهيم الكوفي: ٢٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً»، قال: «الحسين عليه السلام»، «فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً» [الإسراء: ٣٣]، قال: «سَمَّى الله المهدي منصوراً كما سَمَّى أحمد ومحمد محموداً، وكما سَمَّى عيسى المسيح».
٧٥. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣٢٣.
٧٦. الكافي للشيخ الكليني ٥: ٤٧.
٧٧. الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٥٢.
٧٨. الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس: ١٣٨.
٧٩. غاية المرام للسيد هاشم البحراني ٤: ٣٥٨.
٨٠. كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ١٧٤.
٨١. في كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٣١٦ و ٣١٧/ الباب ١٨/ الحديث ١٥: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «اليساني والسفياي كفرسي رهان».
٨٢. كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ١٨٤.



الهوامش

٨٣. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق:
٣٢٥ / الباب ٣٢ / ح ٢.
٨٤. نفس المصدر / ح ٧.
٨٥. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق:
٣٧٠ / الباب ٣٥ / ح ١.
٨٦. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني:
١٧٠.
٨٧. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق:
٣٧١ و ٣٧٢ / الباب ٣٥ / ح ٥.
٨٨. ولعلها سكنت إمّا لأن غيره لم يعلم فعلاً
بالحمل، وإمّا لأن الذين علموا به فقط
أهل بيت الإمام (عليه السلام)، وحيث إن العلم
بالحمل أمر طبيعي فلا حاجة لتصريح
الروايات به.
٨٩. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٣٤ و ٢٣٥.
٩٠. قال الشيخ الصدوق في كمال الدين
وتمام النعمة: ٦٨: ... ونقل مخالفونا من
أصحاب الحديث نقلاً ظاهراً مستفيضاً
من حديث جابر بن سمرة ما حدّثنا
به أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري،
وكان من أصحاب الحديث، قال: حدّثني
أبو بكر بن أبي داود، عن إسحاق بن
إبراهيم بن شاذان، عن الوليد بن هشام،
- عن محمد بن ذكوان، قال: حدّثني أبي،
عن أبيه، عن ابن سيرين، عن جابر بن
سمرة السوائي، قال: كنّا عند النبي (صلى الله عليه وآله)
فقال: «يلي هذه الأئمة اثنا عشر»، قال:
فصرخ الناس فلم أسمع ما قال، فقلت
لأبي - وكان أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مني -:
ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: قال: «كلّهم
من قریش».
٩١. بحار الأنوار ٥٢: ٥٢ و ٥٣.
٩٢. تفسير الرازي ١٣: ٤٧؛ وقال ابن عساكر
في تاريخ مدينة دمشق ٦: ١٦٤: كانت تحبّه
في كهف في جبل بقرية برزة في الموضع
الذي يُعرف بمقام إبراهيم اليوم.
٩٣. قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ
* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ
فَلَيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ
لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ
عَيْنِي﴾ (طه: ٣٨ و ٣٩).
٩٤. بحار الأنوار ١٣: ٢٥ و ٢٦ / ح ٢، عن
تفسير القمّي ٢: ٣٦.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة)

المرحوم الشيخ عامر الجابري

أثناء العمل في هذا العدد تلقينا ببالغ الحزن نبأ وفاة ساحة الشيخ عامر الجابري (رحمه الله تعالى) نسأل الله العلي القدير أن يحشره مع محمد وآل محمد ﷺ ويلهم ذويهم الصبر والسلوان.

المقدمة :

يُعَدُّ الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني المعروف بـ (ابن أبي زينب) من كبار علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري، وهو مَن أُنْفِيَ عمره في خدمة حديث أهل البيت ﷺ، ومَن طاف البلدان وتنقَّل بين المدن الكبرى في سبيل إحياء أمر أهل البيت ﷺ ونشر العقيدة الإمامية الاثني عشرية.

وقد عاصر النعماني نهايات الغيبة الصغرى وبدايات الغيبة الكبرى، وأدرك عصر الحيرة التي وقع فيها العديد من الشيعة مَن لم يألَفوا قضية الغيبة ولم يتقبَّلوها نتيجة ابتعادهم عن حديث أهل البيت ﷺ ومنابعه الصافية ومصادره النقية.

وقد كان للنعماني - بما كان يتَّصف به من مكانة علمية واجتماعية وبما يملك من جواهر حديث أهل البيت ﷺ - دور أساسي ومؤثر في إخراج الكثيرين من تلك الحيرة وإرجاعهم إلى الخطِّ الإمامي الاثني عشري، وذلك من خلال ما قدَّمه من الاحتجاجات التي تضمَّنَّها كتابه في الغيبة.

ولم يقتصر دور الكتاب على ذلك المقطع الزمني فحسب، بل أصبح فيما بعد من المنابع الرئيسية والمصادر الأساسية في موضوعه بحيث لا يستغني عنه أيُّ باحث أو دارس لقضية الغيبة.





وقد حاولنا في هذه العجالة أن نُسلِّط الضوء على شخصية النعماني وسيرته الذاتية والعلمية، ثم انطلقنا نحو تكوين نظرة عامّة حول كتابه في الغيبة، فبحثنا عن: اسمه، وسبب تأليفه، ومنهجه وطريقة تبويبه، وأهمّ مصادره، وناقل الكتاب وصحّة نسبته إلى المؤلّف، وما اشتمل عليه من فوائد عرضية وهامشية.

وقد حاولنا أن نُنظّم جميع ذلك ضمن المبحثين التاليين:

المبحث الأوّل: سطور من حياة النعماني.

المبحث الثاني: نظرة حول كتاب الغيبة.

هذا وقد ختمنا البحث بخلاصة تتضمّن أبرز النتائج والثمار التي جنيناها في هذه الجولة.

المبحث الأوّل:

سطور من حياة النعماني:

١ - اسمه ونسبه وأسرته:

هو محمّد بن إبراهيم بن جعفر أبو عبد الله الكاتب، النعماني، المعروف بـ (ابن زينب) كما في رجال النجاشي^(١)، ورجال ابن داود^(٢)، والخلاصة والإيضاح للعلامة الحلي^(٣).

وقد اشتهر في العصور المتأخّرة بـ (ابن أبي زينب) بدلاً من (ابن زينب)، وكأنّ كلمة (أبي) قد سقطت من رجال النجاشي فقام بعض المتأخّرين بتصحيحها، وبحسب ما توفّر لدينا من مصادر يمكن القول: إنّ أوّل من قام بهذا التصحيح هو العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) في البحار، فقد قال - عند تعريفه بمدينة النعمانية -: (والظاهر أنّ منه الشيخ أبا عبد الله محمّد بن محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب الشهير بالنعماني المعروف بابن أبي زينب تلميذ الكليني، وهو صاحب الغيبة والتفسير)^(٤).



(الكاتب): عُرِفَ المترجم له بـ (الكاتب)، لأنَّه كان يكتب للشيخ الكليني، وهو أحد رواة الكافي الأساسيين، وتُعرَف روايته براوية النعماني^(٥).

و(النُّعماني) - بضمَّ النون -: نسبة إلى النعمانية، وهي - كما في آثار البلاد -: بليدة بين بغداد وواسط، كثيرة الخيرات وافرة الغلات، ولها قرى ورساتيق. بناها النعمان بن المنذر بن قيس بن ماء السماء...^(٦)، وفي معجم البلدان: (النُّعمانية - بالضمَّ - كأنَّها منسوبة إلى رجل اسمه النعمان، بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من أعمال الزاب الأعلى، وهي قصبته وأهلها شيعة غالية كلَّهم...، وقد نُسِبَ إليها قوم من أهل الأدب في كتاب ابن طاهر...)^(٧).

ولم نقع على نصٍّ يتحدث عن نسب النعماني بأكثر ممَّا تقدَّم، كما أنَّنا لم نظفر بشيء ممَّا يرتبط بأسرته وأولاده سوى ما ذكره النجاشي في ترجمة (الوزير أبي القاسم المغربي) من أنَّ أُمَّه كانت (فاطمة بنت أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني شيخنا صاحب كتاب الغيبة)^(٨)، وهو ما أكَّد عليه ثانية عند ترجمته للنعماني بقوله: (وكان الوزير أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن بن يوسف المغربي ابن بنته فاطمة بنت أبي عبد الله محمد إبراهيم النعماني رحمهم الله)^(٩).

وأودُّ أن أُعلِّق على هذا النصِّ بعدة تعليقات:

١ - أنَّ الوزير المغربي سبط النعماني هو العالم الفاضل أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين المنتهي نسبة إلى بهرام جور، كان فاضلاً أديباً عاقلاً شجاعاً، له مصنَّفات كثيرة منها: خصائص علم القرآن، ومختصر إصلاح المنطق، ورسالة اختيار شعر أبي تمام، وكتاب أدب الخواص، وكتاب المأثور في ملح الخدور، وكتاب الإيناس^(١٠).

وقد تقلَّد الوزارة مرَّتين: الأولى في إمارة آل المسيب في الموصل لقرواش



بن المقلد، والثانية في إمارة بني بويه في بغداد لشرف الدولة أبي علي بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة^(١١).

٢ - وكان والده علي بن الحسين وزيراً أيضاً في دولة بني حمدان - في حلب - حيث استوزره (سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ثم هرب خوفاً منه إلى مصر ووزر للحاكم فقتله، وكان شاعراً روى عنه الحافظ عبد الغني، وكانت قتلته سنة أربعمائة)^(١٢).

٣ - يمكننا أن نقدر أن هذه المصاهرة بين علي بن الحسين والد الوزير المغربي والشيخ النعماني قد وقعت في أواخر حياة الشيخ النعماني، حيث أشار النجاشي إلى أن آخر رحلة من رحلات الشيخ النعماني هي رحلته إلى الشام، وأنه قد توفي هناك. ونحن وإن كنا نفتقر إلى ما يُحدّد لنا التاريخ الدقيق لهذه الرحلة، ولكننا نعلم أنه قد شرع في إملاء كتابه الغيبة على تلميذه الشجاعي في حلب سنة (٣٤٢هـ) كما يُستفاد من مقدمة كتاب الغيبة^(١٣).

٤ - تكشف هذه المصاهرة عن المكانة العلمية والاجتماعية المرموقة التي كان يتمتع بها الشيخ النعماني، وأنه كان معروفاً لدى الملوك والأمراء والوزراء.

٢ - ولادته ونشأته الأولى:

لم تُحدّد لنا المصادر - بشكل صريح - مكان ولادة النعماني ونشأته الأولى، ولكن من خلال نسبته إلى النعمانية نستطيع أن نقول: إنه وُلِدَ ونشأ نشأته الأولى في هذه المدينة؛ لأنّ الإنسان إنّما يُنسب إلى مدينة ما لأحد سببين: السبب الأوّل: أن تكون مسقط رأسه ومحلّ ولادته.

السبب الثاني: أن يسافر إليها ويتخذها وطناً.

وحيث إنّ المصادر قد نسبت (صاحب الترجمة) إلى هذه المدينة ولم تنصّ على سفره إليها - مع أنّها قد أشارت إلى سفره إلى مناطق أخرى كشيراز وبغداد والشام -، فهذا يدلّ على أنّه من مواليد هذه المدينة.



هذا من ناحية محلّ ولادته، أمّا من ناحية تاريخها فإنّ المصادر لم تُحدّده أيضاً، ولكنّا نعلم أنّه قد سمع من الشيخ موسى بن محمد الأشعري القمّي بشيراز سنة (٣١٣هـ)^(١٤)، وحيث إنّ سفرته إلى شیراز كانت في بدايات حياته كما يُفهم من كلام النجاشي^(١٥) فيمكن لنا أن نفترض: أنّ ولادته كانت في نهايات القرن الثالث الهجري.

٣ - عصره:

يُعتبر عصر النعماني - من الناحية السياسية - من أفضل العصور التي مرّت على الشيعة، فقد انطلق البويهيون - وهم شيعة اثنا عشرية - من شیراز سنة (٣٢٢هـ) ليؤسّسوا دولتهم التي توسّعت تدريجياً لتشمل أراضي واسعة من إيران والعراق، وأصبحوا هم الحكّام الحقيقيين في هذين البلدين، وجرّدوا الخليفة العبّاسي المستكفي بالله من أغلب سلطاته الدينية والدينية^(١٦).

كما استطاع الفاطميون - وهم شيعة إماميّة إسماعيلية - أن يسيطروا نفوذهم على رقعة واسعة من العالم الإسلامي، وأن يؤسّسوا دولة عظيمة انطلقت من المغرب سنة (٢٩٧هـ)، ثمّ توسّعت لتصل إلى مصر سنة (٣٥٨هـ)، ثمّ أخذت بالتوسّع شيئاً فشيئاً باتجاه الشام والحجاز^(١٧).

هذا وقد استطاع الحمدانيون - وهم من الأُسُر الشيعية - أن يستقلّوا بحكم الموصل سنة (٣١٧هـ) ثمّ توسّع نفوذهم بعد مدّة قليلة فتمكّنوا من السيطرة على حلب وضمّوها إلى دولتهم^(١٨).

وقد ساعد قيام هذه الدول في القرن الرابع الهجري على انتشار وازدهار الفكر الشيعي بصورة عامّة والفكر الإمامي بصورة خاصّة.

يقول المقرئزي - واصفاً انتشار التشييع ورواجه في هذا القرن -: (فانتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد، وجميع العراق، وبلاد خراسان، وما وراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين...) ^(١٩).



هذه هي الأجواء السياسية التي كانت سائدة في عصر النعماني، وقد استغلَّ النعماني فرصة الحرية التي كان يتمتع بها الإنسان الشيعي في تلك الفترة، وساهم مع غيره من العلماء في إرساء قواعد المذهب الإمامي الاثني عشري وترويج مفاهيمه الأساسية، وقد تركّزت جهوده على موضوع الغيبة؛ باعتباره الموضوع العقائدي والفكري الأخطر في تلك الفترة، ولاسيما بعد ختم السفارة ووقوع الغيبة الكبرى وإيكال قيادة الجماهير إلى الفقهاء، وقد استثمر النعماني فرصة وجوده في حلب - التي كانت تخضع لحكم الحمدانيين الشيعة - وشرع سنة (٣٤٢هـ) بإملاء كتاب الغيبة على تلامذته في هذه المدينة.

٤ - مشايخه:

يُعتبر السفر من أجل طلب العلم من الصفات اللازمة لطالب العلم، ولاسيما في القرون الأربعة الأولى، فكان الطالب يقصد المدن ويطوف البلدان لغرض الحصول على السند العالي ولقاء كبار حملة الحديث.

ومن هنا نجد أن النعماني قد سافر إلى مدن عديدة وتنقل بين إيران والعراق والشام للقاء المشايخ والأخذ عنهم، فكان من مشايخه القمي والبغدادي والكوفي والطبراني...، وسنُقدّم الآن قائمة بأسماء مشايخه بحسب ما يُستفاد من أسانيد كتاب الغيبة، وسنعود ثانيةً في (المبحث الثاني) عند التعرّض لـ (مصادر كتاب الغيبة) للحديث عن بعض هؤلاء المشايخ بشيء من التفصيل:

١ - أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد (ابن عقدة)، (ت ٣٣٣هـ).

٢ - أبو علي محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٢هـ) أو (٣٣٦هـ).

٣ - محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ).

٤ - علي بن أحمد البندنجي.

٥ - عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصل.

٦ - عبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصل.



٧ - عليُّ بن الحسين.

٨ - أحمد بن هوزة (ت ٣٣٣هـ).

٩ - أحمد بن محمد بن يعقوب بن عمار الدهني (ت ٣٤٦هـ).

١٠ - أبو القاسم الحسين بن محمد الباوري.

١١ - سلامة بن محمد الأرزني (ت ٣٣٩هـ).

١٢ - عبد الله بن عبد الملك بن سهل الطبراني.

١٣ - محمد بن الحسن بن محمد بن جمهور.

١٤ - محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري.

١٥ - محمد بن عبد الله بن معمر الطبراني.

١٦ - محمد بن عثمان بن علان الدهني.

١٧ - موسى بن محمد الأشعري القمي.

١٨ - محمد بن يحيى، كما في بعض النسخ.

١٩ - عليُّ بن إبراهيم.

٥ - تلامذته :

١ - أبو الحسين محمد بن عليّ الشجاعى، ناقل كتاب الغيبة كما سيأتي

الحديث عنه.

٢ - أبو غالب الرازي (ت ٣٨٦هـ)^(٢٠).

٣ - عليُّ بن محمد بن يوسف الحرّاني^(٢١).

٤ - محمد بن عليّ بن طالب البلدي^(٢٢).

٦ - منزلته بين العلماء :

قال عنه النجاشي: (شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة،

صحيح العقيدة، كثير الحديث)^(٢٣).

ووصفه العلامة المجلسي بـ (الشيخ الفاضل الكامل الزكي)^(٢٤).

ووصفه المحقق النوري بـ (الثقة الجليل) ^(٢٥)، و (الشيخ الجليل الأقدم) ^(٢٦)، و (الشيخ الجليل المتبحر النقاد) ^(٢٧).

وقال الشيخ عباس القمي في توصيفه: (الشيخ الأجل محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني من أكابر علماء الإمامية، عظيم القدر، شريف المنزلة، كثير الحديث، صاحب كتاب الغيبة المعروف) ^(٢٨).

٧ - مؤلفاته :

١ - كتاب الفرائض، ذكره النجاشي ^(٢٩)، والمقصود بالفرائض عند القدماء (المواريث)، وهو من الكتب المفقودة.

٢ - تفسير القرآن، قال الحرّ العاملي في أمل الآمل - عند ترجمته للشيخ النعماني -: (ومن مؤلفاته تفسير القرآن، رأيت قطعة منه) ^(٣٠).

ويقول الشيخ الطهراني معلقاً على كلام الحرّ العاملي: (ولعل مراده من القطعة هي الروايات المبسوطة التي رواها النعماني بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام، وجعلها مقدمة تفسيره، وهي التي دُوّنت مفردةً مع خطبة مختصرة وتُسمى بـ (المحكم والمتشابه) ... وتُنسب إلى السيّد المرتضى ...، وقد أوردتها بتمامها العلامة المجلسي في مجلّد القرآن من البحار) ^(٣١).

ورسالة المحكم والمتشابه قد طُبعت مؤخراً بتحقيق السيّد عبد الحسين الغريفي البهبهاني، وكُتِبَ عليها: (رسالة المحكم والمتشابه المنسوبة إلى الشريف المرتضى علم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)، وهي قطعة من (تفسير النعماني) للمحدث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني من أعلام القرن الرابع الهجري).

٣ - التسلي، نقل عنه العلامة المجلسي خبراً واحداً في بحار الأنوار ^(٣٢)، ويبدو أن روايات الكتاب تدور حول عقاب قتلة الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا.

٤ - الدلائل، نقل عنه السيّد ابن طاووس في كتاب (الأمان من أخطار



الأسفار والأزمان)، قال: (وجدته في كتاب (الدلائل للنعماني) بإسناده عن الصادق عليه السلام لدفع الأسد إذا عرض للإنسان ...) (٣٣).

ونقل عنه حديثاً آخرأ في (فرج المهموم)، قال: (الحديث الثالث عشر فيما روى من شهادة من قوله حجة في العلوم بصحة حساب النجوم أرويه بأسانيدي إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الثقة في كتاب الدلائل في الجزء التاسع فيما فيه من دلائل مولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ...) (٣٤).

من خلال النصين المتقدمين نستنتج:

ألف - أن السيّد ابن طاووس كان يمتلك نسخة من هذا الكتاب، يفهم ذلك بوضوح من قوله: (وجدته في كتاب الدلائل للنعماني).

باء - يبدو أن هذا الكتاب كان موزعاً إلى أجزاء أو أقسام بعدد المعصومين عليه السلام وبهذه الصورة: دلائل النبي ﷺ، دلائل الإمام علي عليه السلام، دلائل الإمام الحسن عليه السلام، وهكذا...

٥ - الردّ على الإسماعيلية، نصّ عليه النجاشي (٣٥)، ولم تكن الإسماعيلية في عصر النعماني مجرد مذهب من المذاهب المخالفة للمذهب الاثني عشري، بل كانت هي المذهب الرسمي لدولة عظمى امتدّت من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي غرباً وهي الدولة الفاطمية، ومن هنا فقد كانت هذه الطائفة تُشكّل خطراً حقيقياً على المذهب الاثني عشري، فانبرى النعماني فيمن انبرى للردّ على أفكار ومعتقدات هذه الفرقة، فألف كتاباً مستقلاً في الردّ عليها، كما أنّه قد خصّص الباب الرابع والعشرين من كتب الغيبة لـ (ذكر إسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام والدلالة على أخيه موسى بن جعفر عليه السلام).

٦ - الغيبة، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في القسم الثاني من البحث.

٨ - وفاته :

وأما وفاته فقد ذكر النجاشي أنه (مات بالشام) ولم يُحدّد تاريخ وفاته، ولكن لو لاحظنا تاريخ إملائه لكتاب الغيبة سنة (٣٤٢هـ) في الشام كما هو مثبت في مقدّمة الكتاب، واعتمدنا على قول العلامة الحليّ في تحديد وفاة النجاشي بسنة (٤٥٠هـ)، فنستطيع أن نقول: إنّ وفاته كانت بين عامي (٣٤٢ - ٤٥٠هـ).

وأما تحديد وفاته بحدود سنة (٤٦٠هـ) كما يُلاحظ في الطبقات المتداولة، فهذا ممّا لا أصل له، وإنّما أخذ من أخذه من غير تحقيق ولا تدقيق من صاحب كتاب هدية العارفين، وربّما يكون صاحب هدية العارفين قد استنتج ذلك من خلال بعض القرائن والشواهد ولكنّه لم يشر إلى شيء من ذلك^(٣٦).

المبحث الثاني :

نظرة حول كتاب الغيبة :

١ - اسم الكتاب :

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني: (كتاب الغيبة للحجّة الشيخ أبي عبد الله الكاتب النعماني المعروف بابن زينب، محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الكاتب، تلميذ ثقة الإسلام الكليني. خرج إلى الشام وبها توفّي. ويظهر من بعض المواضع أنّ الكتاب كان موسوماً أو معروفاً بـ (ملاء العيبة في طول الغيبة))^(٣٧).

وقال في موضع آخر: (ملاء العيبة في طول الغيبة هو اسم لكتاب الشيخ محمّد بن إبراهيم النعماني المعروف بغيبة النعماني)^(٣٨).

ولكن لا يمكننا أن نُسلّم بما ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني لسببين:

السبب الأوّل: أنّ الشيخ آقا بزرك الطهراني لم يُحدّد لنا تلك المواضع التي أشار إليها، وقد بحثت طويلاً لأقف على موضع من تلك المواضع فلم أفلح، فلعلّه قد رأى ذلك في بعض المخطوطات، والله العالم.



السبب الثاني: الذي يظهر من أصحاب الفهارس أنَّ الكتاب كان معروفاً باسم (الغيبة) - خلافاً لما يقوله الشيخ آقا بزرك الطهراني -، يقول النجاشي في ترجمة (النعماني): (له كتب: منها كتاب الغيبة...) (٣٩)، ويقول في موضع آخر: (... أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني شيخنا صاحب كتاب الغيبة) (٤٠)، ويقول ابن شهر آشوب في ترجمة النعماني: (محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله النعماني، من كتبه كتاب الغيبة) (٤١).

والذي اعتقده أنَّ النعماني قد ترك كتابه بدون عنوان - وهو أمر مألوف إلى حدٍّ ما عند القدماء - وقد اشتقَّ له أصحاب الفهارس فيما بعد اسم (الغيبة) من خلال ملاحظة موضوعه الأساسي حيث إنَّ أغلب روايات الكتاب تدور حول هذا الموضوع كما صرَّح النعماني نفسه في المقدمة حيث يقول: (وقد جمعت في هذا الكتاب ما وفق الله جمعه من الأحاديث التي رواها الشيوخ عن أمير المؤمنين والأئمة الصادقين عليهم السلام في الغيبة وغيرها ممَّا سبيله أن ينضاف إلى ما روي فيها...) (٤٢).

ولعلَّ ممَّا يؤيِّد ذلك قول الشيخ المفيد - بعد إirاده للنصوص الواردة في الإمام الثاني عشر عليه السلام: (فممن أثبتتها على الشرح والتفصيل محمد بن إبراهيم المكنى أبا عبد الله النعماني في الكتاب الذي صنَّفه في الغيبة) (٤٣).

فهذا أقدم نصٍّ أشار إلى كتاب الغيبة، وهو أسبق من نصِّي النجاشي وابن شهر آشوب، وقد أشار إلى هذا الكتاب من خلال موضوعه (الذي صنَّفه في الغيبة)، ولو كان له اسم معروف لأشار به إليه بدلاً من هذا التكلُّف في التعبير.

٢ - سبب تأليف كتاب الغيبة :

قال الشيخ النعماني في المقدمة: (فإنَّا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة إلى التشييع المتتمة إلى نبيها محمد وآله صلَّى الله عليهم ممَّن يقول بالإمامة... قد



تفرقت كلمها، وتشعبت مذاهبها، واستهانت بفرائض الله (عز وجل)، وحتت إلى محارم الله تعالى، فطار بعضها علواً، وانخفض بعضها تقصيراً، وشكوا جميعاً إلا القليل في إمام زمانهم...).

إلى أن يقول: (ولعمري ما أتي من تاه وتحير وافتتن وانتقل عن الحق وتعلق بمذاهب أهل الزخرف والباطل إلا من قلّة الرواية والعلم وعدم الدراية والفهم، فإنهم الأشقياء، لم يهتموا لطلب العلم ولم يتعبوا أنفسهم في اقتنائهم وروايته من معادنه الصافية على أنهم لوروا ثم لم يدروا لكانوا بمنزلة من لم يرو، وقد قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنا وفهمهم منا»، فإن الرواية تحتاج إلى الدراية، و(خبر تدرية خير من ألف خبر ترويه)...

إلى أن يقول: (فقصدت القرية إلى الله (عز وجل) بذكر ما جاء عن الأئمة الصادقين الطاهرين عليه السلام من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر من روي عنه منهم في هذه الغيبة التي عمى عن حقيقتها ونورها من أبعد الله عن العلم بها والهداية إلى ما أوتي عنهم عليه السلام فيها ما يصحح لأهل الحق حقيقة ما روه ودانوا به، وتؤكد حجّتهم بوقوعها ويصدق ما آذنوا به منها)^(٤٤).

وينبغي هنا أن نسجل عدّة ملاحظات لتوضيح النصوص المتقدمة:

الملاحظة الأولى: عُرف العصر الذي تلا وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بـ (عصر الحيرة)، وهي الحيرة التي وقع فيها الكثير من الشيعة ممن لم يتقبلوا (فكرة الإمام الغائب)، ولم يستوعبوا الوضع الجديد القائم على أساس القيادة غير المباشرة للمعصوم عليه السلام.

وقد ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) أن الشيعة قد تفرّقوا بعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى أربعة عشر اتجاهًا، فكان لكل واحد من هذه الاتجاهات فهمه الخاص للغيبة، وهو مما يؤكد عمق الحيرة التي وقع فيها الشيعة آنذاك^(٤٥).



الملاحظة الثانية: أن أهل البيت عليهم السلام قد أكدوا مراراً وتكراراً وفي مناسبات متعددة على قضية الغيبة ولا بدية وقوعها، وحذروا شيعتهم من الوقوع في فتنة الغيبة وما تُسببه من حيرة وشك وترديد، واعتبروها من مصاديق التمحيص الإلهي الذي يختبر الله به عباده، وقد نقل أصحاب الأئمة هذه الأحاديث جيلاً بعد جيل.

ومن هنا نجد أن أغلب الذين وقعوا في الحيرة كانوا من عامة الشيعة وبسطائهم، ومَن كانوا بعيدين عن حديث أهل البيت عليهم السلام ومنابعه ومآخذه، وهذا ما أشار إليه النعماني بقوله: (ولعمري ما أتي من تاه وتحير وافتتن وانتقل عن الحق وتعلّق بمذاهب أهل الزخرف والباطل إلا من قلّة الرواية والعلم وعدم الدراية والفهم...).

الملاحظة الثالثة: أن الجهود الجبّارة التي بذلها العلماء المعاصرون لتلك الفترة - ومنهم النعماني - قد أثمرت بعد فترة وجيزة، فقد ذابت تلك الاتجاهات المخالفة وانصهرت جميعاً في الاتجاه الإمامي الاثني عشري، وهو ما يؤكده لنا الشيخ المفيد بقوله: (وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا وهو سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلا الإمامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن المسمّى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله القاطعة على حياته وبقائه إلى وقت قيامه بالسيف حسبما شرحناه فيما تقدّم عنهم، وهم أكثر فرق الشيعة عدداً وعلماء ومتكلمين ونظّاراً وصالحين وعباداً ومتفكّهة وأصحاب حديث وأدباء وشعراء. وهم وجه الإمامية، ورؤساء جماعتهم، والمعتمد عليهم في الديانة. ومن سواهم منقرضون لا يعلم أحد من جملة الأربع عشرة فرقة التي قدّمنا ذكرها ظاهراً بمقالة ولا موجوداً على هذا الوصف من ديانتها، وإنّا الحاصل منهم حكاية عمّن سلف وأراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت) (٤٦).



٣ - لمحة حول منهج الكتاب وتبويبه :

قام المصنّف بتقسيم كتابه إلى (٢٦) باباً، ووضع لكلّ باب عنوانه المناسب، وأورد في كلّ باب ما يناسبه من الأحاديث على طريقة المحدثين من الالتزام بذكر سند كلّ حديث، وقدّم لذلك بمقدّمة فصلّ الكلام فيها حول سبب تأليف الكتاب.

وقد سار المؤلّف في هذا الكتاب على طريقة المنهج النقلي، حيث حاول مؤلّفه أن يعالج المواضيع التي تناولها من خلال النصوص حصراً، ولكنّه قد يُعلّق في حالات نادرة على بعض الأحاديث من باب الضرورة، كقوله - شارحاً للغيبتين الصغرى والكبرى - : (هذه الأحاديث التي يُذكر فيها أنّ للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كلّ ما كان يُسئل عنه من العضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرّمت مدّتها، والوسائط للأمر الذي يريد الله تعالى...) (٤٧).

أمّا أبواب الكتاب الـ (٢٦) فهي كما يلي:

باب ١ - ما روي في صون سرّ آل محمد عليهم السلام عمّن ليس من أهله.

باب ٢ - فيما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

باب ٣ - ما جاء في الإمامة والوصيّة، وأنّها من الله (عزّ وجلّ).

باب ٤ - ما روي في أنّ الأئمّة اثنا عشر إماماً، وأنّهم من الله وباختياره.

باب ٥ - ما روي فيمن ادّعى الإمامة ومن زعم أنّه إمام وليس بإمام.

باب ٦ - الحديث المروي عن طرق العامّة.



باب ٧ - ما روي فيمن شك في واحد من الأئمة.

باب ٨ - ما روي في أن الله لا يُخلي أرضه بغير حجة.

باب ٩ - ما روي في أنه لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة.

باب ١٠ - ما روي في غيبة الإمام المنتظر الثاني عشر عليه السلام.

باب ١١ - ما روي فيما أُمِر به الشيعة من الصبر والكف والانتظار للفرج.

باب ١٢ - ما يلحق الشيعة من التمحيص والتفرق والتشتت عند الغيبة.

باب ١٣ - ما روي في صفته وسيرته وفعله وما نزل من القرآن فيه عليه السلام.

باب ١٤ - ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم عليه السلام.

باب ١٥ - ما جاء في الشدة التي تكون قبل ظهور صاحب الحق عليه السلام.

باب ١٦ - ما جاء في المنع عن التوقيت والتسمية لصاحب الأمر عليه السلام.

باب ١٧ - ما جاء فيما يلقي القائم عليه السلام ويستقبل من جاهلية الناس.

باب ١٨ - ما جاء في ذكر السفيناني وأن أمره من المحتوم وأنه قبل قيام

القائم عليه السلام.

باب ١٩ - ما جاء في ذكر راية رسول الله ﷺ.

باب ٢٠ - ما جاء في ذكر جيش الغضب وهم أصحاب القائم عليه السلام.

باب ٢١ - ما جاء في ذكر أحوال الشيعة عند خروج القائم عليه السلام وقبله

وبعده.

باب ٢٢ - ما روي أن القائم عليه السلام يستأنف دعاءً جديداً.

باب ٢٣ - ما جاء في ذكر سن الإمام القائم عليه السلام.

باب ٢٤ - في ذكر إسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام.

باب ٢٥ - ما جاء في أن من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أو تأخر.

باب ٢٦ - ما روي في مدة ملك القائم عليه السلام بعد قيامه.



٤ - قيمة الكتاب العلمية :

يُعدُّ كتاب الغيبة للنعماني من أهم وأقدم منابع والمآخذ في موضوعه، وقد نال إعجاب واهتمام العلماء منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا، وقد أصبح من أهم المصادر في مجال المعارف المهدوية منذ نهايات القرن الرابع الهجري، ويكفي أن ننقل لكم هنا قول الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) - بعد أن ذكر النصوص المرتبطة بالإمام الثاني عشر عليه السلام -، قال: (وهذا طرف يسير ممّا جاء في النصوص على الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام، والروايات في ذلك كثيرة، قد دوّنها أصحاب الحديث من هذه العصابة، وأثبتوها في كتبهم المصنّفة، فممن أثبتها على الشرح والتفصيل محمد بن إبراهيم المكنى أبا عبد الله النعماني في كتابه الذي صنّفه في الغيبة...) (٤٨).

ويظهر من كلام النجاشي (ت ٤٥٠هـ) أنّ الكتاب قد نال شهرةً واسعة منذ القرن الخامس الهجري، وأصبح معروفاً بين العلماء، وملازماً للنعماني. نستنتج ذلك من قوله في ترجمة (الوزير المغربي): (وأُمّه فاطمة بنت أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني شيخنا صاحب كتاب الغيبة) (٤٩).

فهذا النصُّ يكشف بوضوح أنّ النعماني كان معروفاً بكتابه (الغيبة) منذ القرن الخامس الهجري، وأنّه كان ملازماً له كملازمة الكافي للكليني.

وعلى أيّ حال فإنّ هذا الكتاب قد أصبح مصدراً لكلّ من جاء بعده ممّن تناول قضية الإمام المهدي بشكل عامّ أو قضية الغيبة بشكل خاصّ، كالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في الإرشاد، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في الغيبة (٥٠)، والطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) في إعلام الوريّ بأعلام الهدى، والإربلي (ت ٦٩٣هـ) في كشف الغمّة، والعلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ) في المستجد، والحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ) في إثبات الهداة، والمجلسي في البحار (ت ١١١١هـ). وهكذا نجد أنّ هذا الكتاب كان معتمداً ومتداولاً بين العلماء في جميع القرون من عصر المؤلف إلى عصر المجلسي.

ينقل الشيخ النعماني في هذا الكتاب عن (١٨) شيخاً من مشايخه - كما مرَّ عند الحديث عن مشايخه -، وهؤلاء المشايخ يُمثّلون المصادر والمنابع التي اغترف النعماني رواياته منها. ولكن ينبغي الاعتراف أنّ هؤلاء المشايخ ليسوا على مستوى واحد من حيث اعتماد النعماني عليهم وكثرة رواياته عنهم، فمنهم من روى عنه عشرات الروايات كابن عقدة مثلاً، ومنهم من لم ينقل عنه سوى رواية واحدة كالباوري مثلاً؛ ولذا سنُقتصر بحثنا على أولئك الذين نعتبرهم المصادر الأساسية التي اعتمدها النعماني، والذين تُشكّل رواياتهم المادّة الأساسية للكتاب، وهم خمسة مشايخ، تُرتّبهم بحسب كثرة النقل عن كلّ واحد منهم:

أ - أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد (ابن عقدة)، (ت ٣٣٣هـ):

وهو المحدث الزيدي المعروف الموثّق عند الإماميّة والزيدية والعامّة، وهذا رجل جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه، وكان كوفياً زيدياً جارودياً على ذلك حتّى مات، وذكره أصحابنا لاختلاطه بهم ومدخلته إيّاهم وعظم محلّه وثقته وأمانته^(٥١).

وقد ذكر المؤرّخون أنّ ابن عقدة سافر إلى بغداد ثلاث مرّات^(٥٢)، وكانت سفرته الأخيرة في أواخر عمره^(٥٣)، وقد حدّث بها عن شيوخه في جامع براهنا^(٥٤)، ويبدو أنّ النعماني قد تتلمذ على يديه وأخذ عنه في هذه السفرة.

وتبلغ روايات النعماني عن ابن عقدة ما يقرب من (١٤٠) رواية، وهي بهذا تُشكّل ما يقرب من ربع مادّة الكتاب الذي تبلغ رواياته (٤٧٨) رواية - بحسب ترقيم الطبعة المتداولة -، فهو مصدره الأساسي. وفي تقديرنا أنّ اختيار

النعماني لابن عقدة مصدراً أساسياً من مصادره يرجع إلى سببين:

السبب الأوّل: أنّ كتاب الغيبة يُعدّ كتاباً كلامياً احتجاجياً لا كتاباً تاريخياً



وإن تجنَّب مصنّفه الخوض في الأدلّة العقلية واقتصر على الأدلّة النقلية، ومن هنا كان لا بدّ له من الاحتجاج بشخص مقبول لدى كلّ الأطراف، وهذا ما ينطبق على ابن عقدة الذي تحترمه كلّ الطوائف.

وقد أشار النعماني إلى هذه النكتة في مقدّمة الكتاب حينما وثّق ابن عقدة بقوله: (وهذا الرجل ممّن لا يُطعن عليه في الثقة ولا في العلم بالحديث والرجال الناقلين له) (٥٥).

السبب الثاني: كثرة ما رواه ابن عقدة عن أصحاب الأئمة عليهم السلام، فهو وإن كان زدياً إلّا أنّه كما يقول الطوسي: (روى جميع كتب أصحابنا، وصنّف لهم، وذكر أصولهم، وكان حفظة، سمعت جماعة يحكون أنّه قال: أحفظ مائة وعشرين ألف حديث بأسانيدها، وأذاكر بثلاثمائة ألف حديث) (٥٦).

ب - أبو عليّ محمّد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٢هـ) أو (٣٣٦هـ):

قال الشيخ الطوسي: (محمّد بن همام الإسكافي يُكنّى أبا عليّ، جليل القدر، ثقة، له روايات كثيرة، أخبرنا بها عدّة من أصحابنا، عن أبي الفضل، عنه) (٥٧).

وقال النجاشي: (محمّد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي، شيخ أصحابنا ومتقدّمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث) (٥٨).

نقل النعماني عن شيخه محمّد بن همام الإسكافي (٦٥) حديثاً، أي ما يُشكّل ثمن مادّة الكتاب تقريباً، وبهذا يكون هذا الشيخ من المنابع والمآخذ الأساسية لكتاب الغيبة.

ومن وجهة نظرنا يرجع اختيار النعماني للإسكافي شيخاً ثمّ مصدراً أساسياً لكتابه في الغيبة - رغم كثرة المشايخ والمصادر في ذلك العصر - لعدّة أسباب أهمّها:

السبب الأوّل: مكانته العلمية المرموقة، وعلوّ منزلته في الحديث، وقربه من



النوَّاب الأربعة حيث كانت له مكانه خاصّة لديهم كما يُستفاد من بعض المعطيات والمؤشّرات التاريخية^(٥٩).

السبب الثاني: أنّ في شيوخ الإسكافي وأساتذته العديد من المهتمّين بموضوع القضية المهدوية عموماً وقضيّة الغيبة خصوصاً، فجعله النعماني طريقاً إليهم، ومنهم على سبيل المثال: الحسن بن محمّد بن سماعة الذي ذكر المفهرسون أنّ له كتاباً في الغيبة^(٦٠)، وأحمد بن عليّ بن العباس بن نوح السيرافي الذي له كتاب مستوفى أخبار الوكلاء الأربعة^(٦١)، وعبد الله بن جعفر الحميري الذي كان له مصنّف بعنوان (الغيبة والحيرة) كما ذكر النجاشي^(٦٢)، وعبد بن يعقوب الذي له كتاب أخبار المهدي^(٦٣).

فكثرة رواية النعماني عن الإسكافي وجعله إيّاه المصدر الثاني من حيث كثرة الاعتماد لم تكن اعتباطاً، بل كان اختياراً مدروساً وموفقاً.

ج - محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ):

أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي صاحب كتاب الكافي الذي يُعدّ من أهمّ كتب حديث الشيعة الأربعة.

تشير القرائن والمعطيات التاريخية أنّ نشأته الأولى كانت في الريّ، كما لا يُستبعد أنّه أخذ عن المشايخ القمّيين بعد ما شدّ الرحال إليهم^(٦٤).

ثمّ بعد ذلك شدّ الرحال نحو بغداد التي كانت عاصمة العلم والثقافة ومقرّ النيابة العامّة، ولكنّا نجهل التاريخ الدقيق لسفره هذا، وكلّ ما نقطع به هو أنّه كان موجوداً فيها سنة (٣٢٧هـ)، أي قبل وفاته بستين^(٦٥)، ولعلّه قد دخلها قبل هذا التاريخ بسنوات كما يُستفاد من بعض المؤشّرات والمعطيات وإنّنا لا نقطع بذلك.

وعلى أيّ حال فقد قصد النعماني ثقة الإسلام الكليني وتلمذ على يديه، ويقال: إنّّه كان معيناً له في كتابة الكافي، ولم أقف على مستند هذا القول، نعم



كان النعماني كاتباً للكليني - ولهذا اشتهر بالكاتب كما مرّ -، وهو أيضاً أحد الرواة الأساسيين لكتاب الكافي^(٦٦).

وقد جعل النعماني الكليني مصدراً أساسياً من مصادره، فنقل عنه بحدود (٥٧) رواية، أي ما يعادل ثمن الكتاب تقريباً، ويظهر من خلال المقارنة أنّ أغلب هذه الروايات قد أُخِذَت من الكافي.

د - عليّ بن أحمد البندنجي (لم نستطع تحديد وفاته):

قال عنه ابن الغضائري: (عليّ بن أحمد بن نصر البندنجي أبو الحسن، سكن الرملة، ضعيف متهافت لا يُلتَفَت إليه)^(٦٧).

وحيث إنّ النعماني يروي عن هذا الرجل حوالي (٥١) رواية، وجعله مصدراً أساسياً من مصادره، فلا بدّ لنا التحقّق من حاله؛ لأنّ البناء على كلام الغضائري يعني سقوط جميع هذه الروايات عن الاعتبار، وبالتالي يفتح ثغرة للتقليل من قيمة الكتاب العلمية.

ويمكننا أن نتقدّم بثلاث أجوبة لحلّ هذه الإشكالية، بحيث يصلح كلّ واحد منها أن تكون حلاً لهذه الإشكالية على ضوء إحدى النظريات الرجالية: الجواب الأوّل: أكّدنا في بحث سابق نُشرَ على صفحات هذه المجلّة المباركة^(٦٨)، أنّ تضعيفات وطعون الغضائري والمتشدّدين من القمّيين غير معتبرة عند كثير من المحقّقين في الرجال؛ لأنّهم لا يستندون في ذلك إلى الشهادة والحسّ، بل يعتمدون على النظر في محتويات الروايات، فإذا وجدوا ما ينطبق عليه مفهوم الغلوّ أو الارتفاع من وجهة نظرهم الخاصّة نسبوا الراوي إلى الغلوّ أو الارتفاع، بل نسبوه إلى الكذب؛ وما ذلك إلّا لاشتغالها على بعض المفاهيم التي لا تنسجم مع فهمهم الخاصّ لمقام الإمامة.

وبناءً على ما تقدّم نستطيع أن نوثّق البندنجي على ضوء نظرية أصالة العدالة لكلّ إمامي لم يثبت فسقه وهو ما يظهر من العلامة الحليّ في ترجمة (أحمد بن إسماعيل بن سمكة)^(٦٩).



الجواب الثاني: مع القول ببطلان نظرية (أصالة عدالة الراوي لكل إمامي لم يثبت فسقه) يمكننا أن نسلك منهج جمع القرائن والشواهد المفيدة للاطمئنان، وهو أحد الطرق المتبعة في تحصيل وثاقة الراوي.

ومن القرائن التي تورث الاطمئنان بوثاقة البندنجي:

١ - رواية الثقة عنه، قال البهبهاني - في الفائدة الثالثة في سائر أمارات الوثاقة والمدح والقوة من فوائده -: (ومنها رواية الجليل عنه، وهو أمانة الجلالة والقوة...)، إلى أن قال: (وإذا كان الجليل ممن يطعن على الرجال في الرواية عن المجاهيل ونظائرها فربما يشير روايته عنه إلى الوثاقة)^(٧٠).

وقد شهد المتخصصون للنعماني بالوثاقة والجلالة كما مر، كما أن المتصفح في ثنایا كتابه في الغيبة يلمس عنده الحسّ الرجالي ومعرفته بأحوال الرجال بوضوح، وبالتالي فإن روايته عن البندنجي يمكن أن تُعتبر إحدى قرائن وثاقته.

٢ - يقول الرجاليون: إن من أمارات الاعتماد (كونه ممن يُكثر الرواية عنه ويُفتي بها)^(٧١)، ومن الواضح أن النعماني قد أكثر الرواية عن البندنجي واعتمد عليها في موضوع من أخطر المواضيع العقائدية والفكرية، ومن المعروف أن العلماء يتشدّدون في التعاطي مع الروايات العقائدية أكثر من تشدّدهم في التعاطي مع الروايات الفقهية.

وكان السيّد البروجردی يكتفي بالقريتين المتقدّمتين في إثبات وثاقة الراوي فيقول: (الظاهر أنه يمكن استكشاف وثاقة الراوي من تلاميذه الذين أخذوا الحديث عنه، فإذا كان الآخذ مثل الشيخ أو المفيد أو الصدوق أو غيرهم من الأعلام - خصوصاً مع كثرة الرواية عنه - لا يبقى ارتياب في وثاقته أصلاً حينئذ)^(٧٢).

٣ - سلامة مضامين الأحاديث التي ينقلها ومطابقتها للخطوط العريضة والأساسية للمذهب الإمامي.



الجواب الثالث: لو سلّمنا بما أورده الغضائري من طعن في البنديجي، وقلنا بأنّ القرائن التي ذكرناها في الجواب الثاني غير كافية، فهذا أيضاً لا يعني سقوط روايات البنديجي عن الاعتبار، فإنّ هذه الروايات قد نُقِلت بألفاظها أو بمضامينها في كتب أُخرى وعن طرق أُخرى.

هـ - عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصلّي (لم نستطع تحديد وفاته):

ذكره الشيخ الطوسي في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليه السلام، فقال: (عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصلّي أخو عبد العزيز يُكنّى أبا القاسم سمع منه - أي التلعكبري - أيضاً سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة، وذكر أنّه كان ثقةً) ^(٧٣). ويُستفاد من هذا النصّ عدّة أمور:

أولاً: وثاقته بتوثيق التلعكبري له، والتلعكبري هو أبو محمّد هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن سعيد من بني شيان (أحد الأعلام المتقدّمين)، قال عنه النجاشي: (كان وجهاً في أصحابنا، ثقةً، معتمداً لا يُطعن عليه. له كتب، منها: كتاب الجوامع في علوم الدين. كنت أحضر في داره مع ابنه أبي جعفر، والناس يقرؤون عليه) ^(٧٤).

ثانياً: ذكر النصّ أنّ الموصلّي كان متصدياً للتدريس في سنة (٣٢٦هـ)، والظاهر أنّه كان في بغداد بقرينة تتلمذ التلعكبري عليه، ونستطيع أن نُقدّر من خلال هذه القرينة وقرائن أُخرى - كتواجد النعماني في بغداد سنة (٣٢٧هـ) ^(٧٥) - أنّ النعماني قد أخذ عنه الحديث في بغداد في حدود تلك الفترة.

ثالثاً: يُصرّح النصّ بأنّ المترجم له هو أخو عبد العزيز الموصلّي، وعبد العزيز هذا هو أحد مشايخ النعماني كما مرّ في المبحث الأوّل.

ومهما يكن فقد روى النعماني عن عبد الواحد الموصلّي ما يزيد على (٥٠) رواية، وجعله منبعاً أساسياً ومأخذاً رئيسياً؛ وذلك لوثاقته وعدالته ووجهته ومعرفته بالحديث.

٦ - ناقل الكتاب وصحة نسبه :

أمّا ناقل كتاب الغيبة إلينا فهو (أبو الحسين محمد بن عليّ البجلي الشجاعى)، جاء في مقدّمة الغيبة: (حدّثنا الشيخ أبو الفرج محمد بن عليّ بن يعقوب بن أبي قرة القناني رحمته الله، قال: حدّثنا أبو الحسين محمد بن عليّ البجلي الكاتب - واللفظ من أصله؛ وكتبت هذه النسخة وهو ينظر في أصله -، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني بحلب...) (٧٦).

وقال النجاشي - عند ترجمة النعماني -: (رأيت أبا الحسين محمد بن عليّ الشجاعى الكاتب يقرأ عليه كتاب الغيبة تصنيف محمد بن إبراهيم النعماني بمشهد العتيقة، لأنّه كان قرأه عليه، ووصّى لي ابنه أبو عبد الله الحسين بن محمد الشجاعى بهذا الكتاب وبسائر كتبه، والنسخة المقروءة عندي) (٧٧).

ولم يرد بحقّ الشجاعى أيّ توثيق في كتب الرجال، بل لم يعنونوه أصلاً، وإنّما ذكره النجاشي - عرضاً - في ترجمة (النعماني)، ومن هنا قد يستغلّ البعض هذا الأمر جاعلاً منه ثغرة للطعن في صحّة انتساب الغيبة للنعماني، والتقليل من قيمته العلمية.

ويمكننا أن نُقدّم عدّة حلول لهذه الإشكالية نكتفي بذكر ثلاثة منها:

الأول: أنّ الشجاعى وإن لم يرد بحقّه توثيق في الكتب الرجالية، ولكنّه لم يرد بحقّه طعن أيضاً، ومن هنا يمكننا توثيقه على ضوء نظرية (أصالة العدالة) التي أشرنا سابقاً، فيكون موثقاً عند من يؤمن بهذه النظرية.

الثاني: يمكننا أن نستكشف وثاقة الشجاعى من خلال (منهج جمع القرائن)، والقرائن الدالّة على ذلك كثيرة، ومنها:

الأولى: روايته عن الثقة الجليل الشيخ أبي عبد الله النعماني، وقد أشرنا سابقاً إلى قرينية ذلك على الوثاقة، كما أشرنا إلى وثاقة وجلالة النعماني.

الثانية: رواية الثقة الأجلّاء عنه، فقد روى عنه الشيخ أبو الفرج محمد بن



علي بن يعقوب بن أبي قرّة القناني أو (القنائي) كما في مقدّمة الغيبة للنعماني، وقد عنوانه النجاشي وصرّح بوثقته^(٧٨)، وروى عنه أيضاً أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر كما في غيبة الطوسي^(٧٩)، وهو أستاذ النجاشي والطوسي، ويبدو أن كتاب الغيبة للنعماني قد وصل إلى الطوسي عن طريقه.

الثالثة: من خلال حديث النجاشي عن الشجاعى يظهر أن النجاشى كان على صلة مع عائلته بحيث يوصى له ابنه بكتبه، وهو يشعر أيضاً بمكانة الشجاعى الرفيعة، وكونه من مشايخ الشيعة المعروفين آنذاك، وأنّه كان يمتلك ثروة علمية عظيمة بحيث لم يجد أفضل من النجاشى لتسلّم هذه الثروة، وهذا ما فعله غير واحد من أعلام الطائفة كأستاذة أحمد بن نوح السيرافى الذى وصّى ببعض كتبه إليه^(٨٠)، وشيخ الأدب أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصرى الذى دفع له كتاباً بخطّه، قد أجاز له فيه جميع رواياته^(٨١).

ومع هذا فنحن لا نريد أن نتخذ من هذه الوصاية دليلاً مستقلاً على وثاقة الشجاعى، وإنّما نقول: إنّ هذا يصلح أن يكون قرينة من القرائن التى كلّما زادت كلّما اقتربنا من الاطمئنان بوثقته.

الثالث: ما ذكره الشيخ نجم الدين الطبسى، وهو: (أنّه لا إشكال لدينا حول أصل الكتاب وصحّة نسبته إلى النعماني؛ لأنّ النجاشى يقول: إنّ الشجاعى قد وصّى لي ابنه أبو عبد الله الحسين بن محمّد الشجاعى بهذا الكتاب وبسائر كتبه، والنسخة المقروءة عندي)، فهو يعترف أنّ كتاب النعماني عنده، والنجاشى هو خبير هذا الفنّ، وشهادته على أنّ هذا الكتاب هو نفسه الكتاب تُثبت لنا صحّة انتساب الكتاب إلى النعماني^(٨٢).

٧ - الفوائد العرضية في الكتاب :

لا شك أنّ غرض النعماني الأساسى من تأليف هذا الكتاب هو جمع الأحاديث المرتبطة بالغيبة وما يناسب ذلك كما صرّح بذلك في المقدّمة، ومع



هذا فقد اشتمل الكتاب على فوائد عرضية أخرى لم تكن مقصودة للكاتب، ومن تلك الفوائد بحسب تتبعنا:

أ - اشتمال الكتاب على بعض التوثيقات لبعض الرواة، كتوثيقه لابن عقدة بقوله: (وهذا الرجل مَن لا يُطَعَن عليه في الثقة ولا في العلم بالحديث والرجال الناقلين له)^(٨٣)، أو نقله لتوثيقات المشايخ لأساتذتهم، كنقله لتوثيق الحسن بن عليّ بن عيسى القوهستاني لشيخه بدر بن إسحاق بن بدر الأنباطي بقوله: (وكان شيخاً نفيساً من إخواننا الفاضلين)^(٨٤).

ب - الشهادة باعتبار بعض الكتب ككتاب سُليم بن قيس الهلالي بقوله: (وليس بين جميع الشيعة مَن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سُليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم من حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها، لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذرٍّ ومن جرى مجراهم مَن شهد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها ويُعوّل عليها)^(٨٥).

ج - يُعتبر الكتاب مصدراً مهماً في البحوث العقائدية - غير العقيدة المهدوية - حيث اشتمل على روايات كثيرة ومعتبرة ترتبط بأصل الإمامة والوصية وبالنص على عدد الأئمة و...

د - تضمّن الكتاب بعض الروايات التي تشتمل على بعض الأحكام الفقهية كرواية: (... أما إنَّ قائمنا عليه السلام إذا قام كسره وسوّى قبلته...) ^(٨٦) التي يوردها الفقهاء أثناء بحثهم عن تحديد قبلة مسجد الكوفة ^(٨٧).

هـ - يمكن الاستفادة من الكتاب كمصدر مهم في التفسير، لاشتماله على روايات مفسّرة أو مؤولة للكثير من الآيات ^(٨٨).



الهوامش

١. رجال النجاشي: ٣٨٣.
٢. رجال ابن داود: ١٦٠.
٣. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: ٢٦٧؛ وإيضاح الإشتباه: ٢٨٩.
٤. بحار الأنوار ٥٣: ٢٧١.
٥. يُنظر: الكافي والكليني: ١٩٣ و ٣٩٨.
٦. آثار البلاد: ٤٦٩.
٧. معجم البلدان ٥: ٢٩٤.
٨. رجال النجاشي: ٧٠.
٩. المصدر السابق: ٣٨٤.
١٠. يُنظر: الكنى والألقاب ٣: ٢٨٦.
١١. يُنظر: وفيات الأعيان ٢: ١٧٦.
١٢. الوافي بالوفيات ٢١: ٢٤.
١٣. جاء في بعض نسخ الغيبة: (حدثنا الشيخ أبو الفرج محمد بن علي بن يعقوب بن أبي قرعة القناني رحمته الله، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن علي البجلي الكاتب - واللفظ من أصله وكتبت هذه النسخة وهو ينظر في أصله -، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني بحلب...)، وجاء في نسخة أخرى: (حدثني محمد بن علي أبو الحسين الشجاعى الكاتب (حفظه الله)، قال: حدثني محمد بن إبراهيم أبو عبد الله النعماني (رحمه الله تعالى) في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، قال: (...). (أنظر: الغيبة للنعماني بتحقيق الغفاري: ١٩).
١٤. يُنظر: الغيبة: ٦٢.
١٥. قال النجاشي في رجاله: ٣٨٣: (قدم بغداد وخرج إلى الشام ومات بها)، ونفهم من هذا النص أن سفره شيراز كانت قبل سفره بغداد والشام.
١٦. يُنظر: تاريخ ابن الأثير ٧: ١٤؛ والمتنظم ١٤: ٤٢ و ٤٣.
١٧. يُنظر: خطط المقرئ ٣: ٢٠، ٢: ١٩٢ و ١٩٣.
١٨. يُنظر: الدولة الحمدانية لأحمد عدوان: ١٣٧ و ٢٢١.
١٩. خطط المقرئ ٤: ١٩١.
٢٠. يُنظر: رسالة أبي غالب الرازي: ١٧٩.
٢١. مهج الدعوات: ٢٣٣.
٢٢. يُنظر: بحار الأنوار ٢: ٢٦٠، نقلاً عن كنز الفوائد للكراكجي.
٢٣. رجال النجاشي: ٣٨٣.
٢٤. يُنظر: بحار الأنوار ١: ١٤.
٢٥. خاتمة المستدرک ١: ١٢٥.
٢٦. المصدر السابق ١: ٣٤٧.
٢٧. المصدر السابق ٣: ٢٦٦.
٢٨. الكنى والألقاب ١: ١٩٥.
٢٩. يُنظر: رجال النجاشي: ٣٨٣.
٣٠. أمل الآمل ٢: ٢٣٣.
٣١. الذريعة ٤: ٣١٨.
٣٢. يُنظر: بحار الأنوار ٤٥: ٣١٢، و ٥٨: ١١٠.
٣٣. الأمان من الأخطار: ١٣١.
٣٤. فرج المهموم: ٤٨.
٣٥. يُنظر: رجال النجاشي: ٣٨٣.
٣٦. يُنظر: هدية العارفين ٢: ٤٦.
٣٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦: ٧٩.
٣٨. المصدر السابق ٢٢: ١٨٢.
٣٩. رجال النجاشي: ٣٨٣.
٤٠. المصدر السابق: ٦٩.
٤١. معالم العلماء: ١٥٣.
٤٢. الغيبة: ٢٩.
٤٣. الإرشاد ٢: ٣٥٠.
٤٤. الغيبة: ٢٠ وما بعدها.

الهوامش

٤٥. يُنظر: فِرَق الشيعة: ٩٦.
٤٦. الفصول المختارة: ٣٢١.
٤٧. الغيبة للنعماني: ١٧٣ و ١٧٤.
٤٨. الإرشاد ٢: ٣٥٠.
٤٩. رجال النجاشي: ٦٩.
٥٠. قال الشيخ الطوسي في الغيبة: ٢٥٧: (وأخبرني أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر، عن أبي الحسن محمد بن علي الشجاعى الكاتب، عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني، عن يوسف بن أحمد الجعفري، قال: حججت سنة ست وثلاثمائة...)، وهذه الرواية وإن لم نعثر عليها في الطبعة المتداولة من غيبة النعماني، ولكنّه أمر طبيعي يعود لتعدد النسخ.
٥١. رجال النجاشي: ٩٤.
٥٢. يُنظر: تاريخ بغداد ٦: ١٤٧.
٥٣. المصدر السابق.
٥٤. يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٩: ٣٤٠.
٥٥. الغيبة: ٢٥.
٥٦. رجال الطوسي: ٤٤٢.
٥٧. فهرست الطوسي: ١٤١.
٥٨. رجال النجاشي: ٣٨٠.
٥٩. يُنظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٢؛ والغيبة للطوسي: ٢٩٧.
٦٠. يُنظر: الفهرست للطوسي: ٥١.
٦١. يُنظر: رجال النجاشي: ٤٨٧.
٦٢. المصدر السابق: ٢١٩.
٦٣. يُنظر: الفهرست للطوسي: ١١٩ و ١٢٠.
٦٤. يُنظر: الكليني والكافي للغفاري: ١٢٦.
٦٥. يُنظر: الاستبصار.
٦٦. للكافي - كما ذكر المحققون - ثلاث روايات أساسية هي: رواية الصفواني، ورواية التلعكبري، ورواية النعماني.
٦٧. كما جاء في: خلاصة الأقوال: ٢٣٥؛ ورجال ابن داود: ٢٦٠.
٦٨. الشفاء والجلاء.
٦٩. يُنظر: خلاصة الأقوال: ٦٧، قال في ترجمته: (ولم ينصّ علماؤنا عليه بتعديل، ولم يُرو فيه جرح، فالأقوى قبول روايته مع سلامتها من المعارض).
٧٠. الفوائد الرجالية: ٤٧.
٧١. المصدر السابق: ٤٩.
٧٢. نهاية التقرير ٢: ٢٧١.
٧٣. رجال الطوسي: ٤٨١.
٧٤. رجال النجاشي: ٤٣٩.
٧٥. يُنظر: الغيبة للنعماني: ٢٤٩.
٧٦. الغيبة: ١٨.
٧٧. رجال النجاشي: ٣٨٣.
٧٨. المصدر السابق: ٣٩٨.
٧٩. الغيبة للطوسي: ٢٧٥.
٨٠. يُنظر: رجال النجاشي: ١٠٣ / ترجمة (أيوب بن نوح بن دراج).
٨١. يُنظر: رجال النجاشي: ٨٤ / (ترجمة الدوري).
٨٢. نگاهی به کتاب غیبت نعمانی / انتظار موعود (١).
٨٣. الغيبة: ٢٥.
٨٤. المصدر السابق: ٩٢.
٨٥. المصدر السابق: ١٠١ و ١٠٢.
٨٦. المصدر السابق: ٣١٨.
٨٧. يُنظر: الحقائق الناضرة ٦: ٣٨٥ و ٣٨٦.
٨٨. يُنظر: الغيبة: ٢٥ و ٢٧ و ٣٥ و ٣٩ و ١١١ و ١٣٠ و ١٩٨ و ٢١٧ و ٢٢١ و ٢٤١ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٧٢ و ٣٠١ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣٣٣.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية

الشيخ مشتاق الساعدي

مقدمة :

من أهمّ الأرصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليهم السلام هو وجود إمام ثائر عندهم، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات، وتضحيتهم أمّ التضحيات، وحرارة مقتله من أشدّ المهيّجات، فتولّد لديهم ببركة ثورته ما لم يتولّد عند غيرهم، وهو عنصر الإصلاح لا لمصلحة دنيوية ولو كلف ذلك الحياة، وإنّ الذلّة لا وجود لها في صفحة الحياة...، إيماناً منهم بتضحياته وبكلماته...، والتي منها:

«ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما لطلب الإصلاح...»^(١).

«... هيهات منا الذلّة...»^(٢).

«... لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد...»^(٣).

«... مثلي لا يبايع لمثله...»^(٤).

ومن الأرصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليهم السلام الإيمان بالإمام الغائب المنتقد الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّه إمامهم الثاني عشر. وهذا الإيمان هو ممّا يُحفّزهم على العمل الجادّ في التمهيد لظهوره، والاستعداد للانخراط تحت قيادته، والانتظار لفرجه.





فإنَّ الانتظار للإمام المنقذ عليه السلام من أهم المحفّزات على العمل الديني والاجتماعي والإعداد لذلك من أهم الطاعات.

فبين تراث الماضي وأمل المستقبل تكوّن الحاضر الإيماني والتعبوي لدى أتباع الحقّ، وتولّدت حالة معنوية عالية تمخّض منها عدّة فعاليات وعبادات وتحركات.

منها: الروح الجهادية والقتالية التي يمتلكها الأتباع دون غيرهم، ونموذج الحشد الشعبي شاهد على ذلك، وهذا يحتاج إلى أفراد أبحاث مستقلة للوقوف على هذه الظاهرة.

ومنها: عدم الانصياع للحكومات الظالمة، وعدم الارتباط بها من كلّ النواحي.

ومنها: الاستقلالية في إدارة المذهب فكرياً واقتصادياً، وعدم الارتباط بأيّ أجندة.

وغيرها العشرات.

ومن هذه الفعاليات العبادية المهمّة فعالية الزيارة الأربعينية المقدّسة، فهذه الفعالية تميّزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدوي لتوليد حاضر يفرض علينا واقعاً يجعلنا نُنظّم أنفسنا من كلّ النواحي استعداداً وتمهيداً لدولة الحقّ. فالذي يطلّع على وقائع زيارة الأربعين وما يراه من تجمهر عشرات الملايين زماناً ومكاناً وبلغات وقوميات وتوجّهات شتّى - يجمعهم رجل واحد اسمه الحسين عليه السلام، وينادون بنداء واحد هو: (اللّهُمَّ عَجِّلْ لوليِّك الفرج، وسهِّلْ له المخرج) - يرى بوضوح أنّ تلك الزيارة من أهمّ ممهّدات الظهور.

وفي هذا البحث المختصر نقف على أهمّ تلك المعطيات التي لها دور في الظهور، وسنغنّص النظر عن ما للزيارة من أهميّة واضحة ومعطيات جمّة في شتّى المجالات، لأنّ هدفنا هو التركيز على هذه المفردة العظيمة، وهو دور الأربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدوية.



فالتمهيد وانتظار الفرج أهمّ المفردات التي تُشغل ذهن البشرية المؤمنة، فالعمل عليه ومعرفة ما يقرب الظهور ويرفع الموانع من أهمّ العبادات في الغيبة كما ورد في الروايات: «أفضل الأعمال انتظار الفرج»، ففي (الإمامة والتبصرة من الحيرة): «إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ، وَلَا يَزَالُ شَيْعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِي الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ أَنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مِلْتُمْ ظُلُمًا وَجَوْرًا»^(٥).

ولكن ليس كلُّ انتظار هو ممدوح، وإنما الانتظار مع الإيمان والعمل الجادّ في التمهيد للإمام عليه السلام، والعمل طبقاً لمراد الشريعة، لا الانتظار مع الخمول واليأس وارتكاب المحرّمات والتسليم للظلم والظالمين.

وهناك جملة من الأعمال تُمهّد للظهور وترفع بعض موانعه وهي تقع على عاتق المؤمنين، منها: إكمال عدّة (٣١٣)^(٦) الذين يُشكّلون النواة القيادية الأولى حول الإمام عليه السلام، ومنها: الدعاء له بالفرج، وغيرها، ففي الرواية: «فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِحْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرُهُ»^(٧)، فظاهر الرواية أنّ اجتماع العدّة (٣١٣) شرط لإظهار أمره.

ومن جملة المهمّات والمربّيات لمجتمع الظهور هي زيارة الأربعين لما لها من أبعاد مختلفة وعديدة، نحاول التركيز عليها وبيانها وتطويرها والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من الطرق العبادية التي يُتمسّك بها لبناء شخصية الظهور.

ونطرح دور الأربعين في البناء للظهور في محاور هذا مجملها:

الأوّل: البناء المعنوي والروحي.

الثاني: البناء الاقتصادي.

الثالث: البناء التعبوي.

الرابع: البناء الاجتماعي.

الخامس: البناء الفكري والعلمي.



السادس: البناء الأمني.

السابع: البناء الأخلاقي.

الثامن: المحور العسكري.

التاسع: المحور الإعلامي.

العاشر: المحور التمريني والتدريبي.

الحادي عشر: المحور التكافلي.

الثاني عشر: البناء السياسي.

تفصيل المحاور:

المحور الأول: البناء المعنوي والروحي:

من أهم ما يساهم في التمهيد للظهور هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله لنصرة القيام المهدوي، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً، ولعل أهم تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها. وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً عند الشدائد، صبوراً عند النوائب، عزيزاً يأبى الذلّ، شجاعاً لا يعرف الجبن، صادقاً لا يكذب، أميناً لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمّة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذ وسيلةً للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة - مثلاً - لها آثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تُعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وهي وسيلة للتقرب للساحة الإلهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية «الصلاة قربان كلّ تقي»^(٨)، وهي سبيل للعروج إلى الرب «الصلاة ميزان أمتي»^(٩)، إلى غير ذلك من الآثار.



وهكذا الصوم والحجّ والجهاد وأداء الحقوق الشرعية وغيرها كل له آثاره وبناءه لشخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلامية.

وزيارة الأربعين - وبالخصوص مشياً - تُمثّل ممارسة عبادية متنوّعة وطويلة الأمد زماناً ومسافةً - تشابه إلى حدّ ما موسم الحجّ من حيث التنوّع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة - وخصوصاً صلاة الجماعة - والتسبيح والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي - بناءً على عباديته - وغيرها. وهذه الممارسات العبادية المتنوّعة تخلق - خصوصاً مع طول أمدها واستمراريتها - جواً روحياً عالياً من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصاً المشي مع تحمّل المتاعب والحرّ والبرد وتورّم الأقدام وتغيّر اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف - كما في زمن الطغاة -، وغيرها من الصعوبات. وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان كي تكون مؤهلة ومستعدة لنصرة الإمام الحجة عليه السلام، ممّا يُوفّر أحد مقتضيات تعجيل الظهور، وهو وجود الموارد البشرية الناضجة والمستعدة استعداداً حقّاً لنصرة المنقذ سواء من عدّة (٣١٣) أو من عدّة (١٠,٠٠٠) كما نطقت الروايات، منها: «... فَإِذَا أَكْمَلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [أَلْفٍ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(١٠)، فإكمال العدّة يُمثّل أحد المقتضيات المهمّة للظهور، فلا يبقى إلا بعض المقتضيات الأخرى وزوال المانع.

بعض روايات المشي وأجرها :

لذا وردت روايات في المشي وأهميته العبادية، نذكر منها وهي مستفيضة، بل متواترة، وفيها الصحاح، فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ - عن أبي الصامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ أَتَى قَبْرَ



الحُسَيْنِ مَاشِيًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ...»^(١١).

٢ - عن علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يَا عَلِيُّ، زِرِ الحُسَيْنَ وَلَا تَدْعُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: مَا لِمَنْ أَتَاهُ مِنَ الثَّوَابِ؟ قَالَ: «مَنْ أَتَاهُ مَاشِيًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً، فَإِذَا أَتَاهُ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مَلَكَينِ يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَعَّوهُ، وَقَالُوا: يَا وَلِيَّ اللَّهِ، مَغْفُورًا لَكَ، أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا تَرَى النَّارَ بَعَيْنِكَ أَبَدًا، وَلَا تَرَكَ، وَلَا تَطْعَمُكَ أَبَدًا»^(١٢).

٣ - عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الحُسَيْنِ فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقْدَسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ، فَإِذَا أَتَاهُ نَاجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ، أَدْعُنِي أُجِبْكَ، أَطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ، سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا»^(١٣).

وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات، وهو مما تحتاجه الشخصية الممهدة للإمام الحجة عليه السلام خصوصاً مع اقتران الزيارة بالدعاء بالفرج من قبل هذا الزائر الذي يقول له الله تعالى - كما في الرواية الماضية - : «أدعني أجبك...».

المحور الثاني: البناء الاقتصادي:

إنَّ القوَّةَ الاقتصادية وتأمين الوضع المالي من أهمِّ مقومات نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال وعدم الإسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يُشكِّلُ قِوَامَةَ اقتصادية أخرى.



فالمال والاقتصاد له أهمية في البناء الاجتماعي والفردى، ودوره مهم في خلق حياة سعيدة وأُسرة صالحة وحياة آمنة - كونه أحد مقوماتها -، ولا يعني ذلك أنه علّة تامّة لتلك الأمور، بل قد يكون وبالأعلى الإنسان إذا لم يُحسّن التصرف، فهو سلاح ذو حدين.

والقرآن في اللحظة التي يُبين أن المال زينة **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (الكهف: ٤٦)، يُبين أن المال فتنة **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** (التغابن: ١٥)، فهو زينة ومفاد إيجابى إذا صانه ووضع في موضعه واتّخذ وسيلةً للآخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمته الإسلامية وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيّعه وبذّره وجعله وسيلةً للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الأعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بيّنت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمّت المال إذا كان وسيلةً للعصيان، ووازنّت بين النظرتين^(١٤).

ومن الممارسات الإيجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من ممارسات عبادية في الأربعين، وتوظيف القوّة المالية في إحياء هذه المناسبة - من خلال الصرف المالى على المواكب وإطعام الطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين -، وهذا ما يُمثّل قوّة اقتصادية كامنة في الأمة الحسينية التي هي أُمّة الإمام المهدي عليه السلام وناصرته، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وإنّما هي تمويل من شعب الحسين لزوّار الحسين عليه السلام، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا ممارسة وتدريب اقتصادى على الصرف المالى المنضبط الذي يمارسه الممّهّدون للظهور، وثقافة متقنة على الصرف والبذل في سبيل الدين وإنجاح الثورة المهدوية.

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف، بل والصرف الفعلى لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، فإذا كان عصر الظهور فلا يجد المؤمن حرجاً في الصرف المالى بعد أن مارس الصرف لعشرات السنين على جمهور الحسين عليه السلام.



خصوصاً وأنَّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين عليه السلام قوت عياله ومؤنته السنوية، لكي يُنفقها في موسم الزيارة، بل بعضهم - كما سمعت ورأيت بأُمّ عيني - يبيع بيته أو سيّارته ويشترى ما هو أقلّ منهما إذا لم يكفِ ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يؤهّلهم لتكوين مجتمع مهدي يقود الأمة إلى برّ الأمان، ويبني اقتصاداً رصيناً يكفّ حاجة الأمة.

المحور الثالث: البناء التعبوي؛

من المفاهيم المهمّة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة، وهي قوّة شعبية كامنة أو ظاهرة لها حضورها في كلّ نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهّمّ الوطن أو المواطن، وهي على أنواع، فقد تكون تعبئة عسكرية أو إعلامية أو اجتماعية أو غيرها.

ومن أهمّ أنواعها هو التعبئة الاجتماعية، وهي تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بدّ أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين، فإنّ هناك تعبئة جماهيرية عامّة لتحقيق هدف ديني هامّ في حياة الفرد والمجتمع.

فمن أهمّ ما تحتاجه كلّ دعوة سماوية كانت أم أرضية هو وجود قوّة معنوية أو ماديّة أو شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الأربعين لا يجد أيّ مجهود في التعبئة الجماهيرية، بل



الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير، بل كثير من الجماهير يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام ويبتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد. وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظيراً في كلِّ العالم، وهو مفخرة يتميَّز بها أتباع آل البيت عليه السلام، وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة. وهذه التعبئة الجماهيرية في الزيارة إنما هي صورة من صور التعبئة للإمام المهدي عليه السلام حال قيامه بالثورة العالمية المباركة.

فالجمهور الحسيني معباً للحركة المهدوية ومستعدّها على أحسن ما يكون، فلا نحتاج أن نعدّ برامجاً تعبوية كثيرة لأجل الحركة المهدوية - من هذه الجهة - لأنّها معدّة إعداداً واضحاً وبخبرة تمتدُّ مئات السنين، نعم نحتاج إلى برامج مهدوية أخرى من جهات أخرى.

فدور زيارة الأربعين في تعبئة المؤمنين تعبئة مهدوية واضحة وفعّالة من خلال الحرارة التي تكوّنت في قلبهم بمقتل الحسين عليه السلام.

المحور الرابع: البناء الاجتماعي:

من أهمّ ما يميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوّة الترابط الاجتماعي بين أفرادهِ وعملهم كخلية النحل الواحدة لإنجاز مهامّهم المناطة بهم، ممّا يساعد على البناء السليم لكلِّ مفاصل الحياة سواء كانت فردية أو اجتماعية ويساعد على أن ينال كلُّ فرد فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمّت كثيراً بالترابط الاجتماعي بين كلِّ أفراد المجتمع سواء كانوا من الأرحام أم لا، ومن هذه الروايات:

عن مرازم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض»^(١٥).



وعن حبيب الخثعمي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبوا للناس ما تُحِبُّون لأنفسكم، أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره»^(١٦).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام: «... صلوا عشائركم، واشهدوا جنازهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فيسرني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور...»^(١٧).

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط الاجتماعي^(١٨).

وبالمقابل من أهم ما يُدْمِر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزّبات وتحوّله إلى شيع يتلاعب به الظلمة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤)، وهذه سُنّة قائمة يتّخذها الظالمون لإضعاف المجتمع.

كما أنّ النزاع سبب واضح لهدر الطاقات وضياع الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جوّ اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم بعيداً عن الخلافات والصراعات والشتات، والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والأسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوة الترابط بين أفراد الزائرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غني أو فقير ولا بين مشهور أو مغمور... الخ.



فالكلٌ سواسية، بل في بعض الأحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير، أو المشهور يخدم المغمور، أو الرئيس يخدم المرؤوس، وهكذا. فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنك تسير في مجتمع ملائكي، وهذا البناء إنما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة. وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة، بل بين دولة ودولة، بل بين دول ودول وشعوب وشعوب، فإنَّ هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكون أواصر ووشائج قويّة.

وهذا فضلاً عن أنَّ هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الأخرى بسبب حروب أو غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الأربعين.

فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين أبناء بلد ما فحسب، بل بين الشعوب والبلدان الأخرى ممَّا يُعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولاً وشعوباً فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة أو اللون أو الثقافة أو غيرها، لخلق مجتمع مهدي منسجم فيما بينه ممَّا يسهم في الظهور.

إنَّ زيارة الأربعين تلغي الطبقية، وتلغي القطرية، وتلغي العرقية، وتلغي القومية، وتلغي العنصرية، وتخلق مجتمعاً مترابطاً يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عليه السلام.

فزيارة الأربعين تُعمّق الوجود التعارفي الذي خُلِقَ له الإنسان كما عبّرت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

إنَّ زيارة الأربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أمة الإيمان، ومجال حوار الحضارات على أسس دينية تدعونا إلى الانتظار للإمام والإعداد له كلُّ



من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيداً ودعوة إلى عالمية دولة الإمام الحجة عليه السلام.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي:

إنَّ تحصين الأمة فكرياً وعلمياً من أهمِّ الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية، ولعلَّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعدُّ من أهمِّ المشكلات التي تواجه المبلِّغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات إلى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي وآل البيت عليهم السلام يرى أنَّهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحج والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجَّلها التاريخ ونقلتها الأحاديث.

ولعلَّ شعائر الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعين خصوصاً من أهمِّ ما يُسوّق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الأيام.

إنَّ خلق مجتمع متعلِّم على سبيل النجاة يُعدُّ من أهمِّ ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع، بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلَّم...»^(١٩).

ومن جملة البناء الديني المهمُّ في عقيدة المؤمن هو بنائه مهدوياً، وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ القضية المهدوية للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحصينهم فكرياً ضدَّ الدجالين والمدَّعين والمشوَّهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج لقضية الإمام المهدي عليه السلام، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع - خصوصاً أهل التخصص بالقضية المهدوية - من خلال المحاضرات والإرشادات والنشرات والكتب وغيرها.



فالزيارة فرصة كبيرة لتسويق القضية المهدوية للعالم ككل، وتوعية الجماهير بها، والتركيز على عنصر الانتظار، والاستعداد للظهور، وبناء الدولة العالمية الإلهية المنقذة لكل الشعوب المظلومة.

ومن نماذج ذلك:

أولاً: العمل على إزالة الشبهات التي تثار حول قضية الإمام المهدي عليه السلام كولدته، وطول عمره، وفائدته في زمن الغيبة، وإرهاصات ظهوره، وغيرها. ثانياً: ردّ الشبهات المعاصرة كشبهة ابن كويطع وغيره بطرق علمية مبسّطة. ثالثاً: تشخيص القضايا المهدوية المهمة وبيانها للمجتمع بطرق سهلة ومناسبة.

ويتم ذلك من خلال:

- ١ - عقد الندوات والبرامج المهدوية في وسائل الإعلام وخصوصاً المرئية.
- ٢ - إجراء المسابقات العامة للاستكتاب في قضايا معاصرة تخصّ القضية المهدوية.
- ٣ - إجراء المسابقات العامة بين المؤمنين من خلال طرح أسئلة والإجابة عنها.
- ٤ - الكتابة بالصحف والمجلات العامة وخصوصاً المجلات العالمية وبلغات مختلفة لإيصال القضية المهدوية للعالم.
- ٥ - إرسال المبلّغين المتخصّصين إلى المجتمع لتبليغ القضية المهدوية واستثمار المواسم العامة لذلك.
- ٦ - حثّ الخطباء عموماً وخطباء المنبر الحسيني خصوصاً على طرح القضية المهدوية وكتابة محاضرات تخصّصية لهم في ذلك.
- ٧ - إنشاء مراكز تخصّصية علمية وبحثية في الإمام المهدي عليه السلام وأبعاد حركته.
- ٨ - إنشاء مؤسسات تهتمّ بإقامة فعاليات ميدانية وكشافة ونحّيات ودورات للجامعيين وطلّاب المدارس تُعرّفهم بالإمام المهدي عليه السلام وحركته. وغيرها من الوسائل^(٢٠).



المحور السادس: البناء الأمني:

تشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العامّ.

إنّ التحصين الأمني يُعدّ اليوم من أهمّ مقوّمات النجاح لأيّ حركة تريد الإصلاح والتغيير، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من النظرية إلى التطبيق، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني والمباني الأمنية من دون أن تُحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع.

وآل البيت عليهم السلام جعلوا نظاماً أمنياً كبيراً - يستحقّ دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعلّ أهمّ مفاصله روايات التقيّة^(٢١) وروايات كشف الأسرار والإذاعة^(٢٢)، فهي تؤسّس لنظام أمني مركّز في التعامل العامّ وكيفية تحصين الأمّة المؤمنة.

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معمّق لعموم المكلفين وبالأخصّ لأصحاب المسؤولية في الموكب والزيارة.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخص غريب أو غير معرّف سواء داخل الموكب أو أثناء المسير أو ممّن يُوزّع الطعام أو غيرها من الخدمات، وحتّى من يُشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتّى يرفع اللبس عنه ويتبيّن أمره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصاً من له تجربة عملية مع أصحاب الموكب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجّهاته وحتّى كلامه ومواقفه، ويسهرون إلى الصباح للحفاظ على أمن الزائر وممتلكاته وحرمة. خصوصاً أمن الزائرات المؤمنات، لذا ترى أنّ المرأة تعيش أيّام الزيارة حالة من الأمن من كلّ النواحي، فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك،



وحتىّ الزائرات الأجنبية عن العراق يسرن لوحدهنّ، بل أحياناً امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

وهذا كلّهُ بسبب النظام الأمني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق أيّ نظام أمني في العالم وفي أعظم الدول الأمنية، فلا تجد مشاكل ولا تعدياً ولا غير ذلك، وهذا لا يحصل في أعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط. وفي هذا الصدد نقل لي أحد أساتذتي عن أحد السياسيين العراقيين أنّ أحد القادة الأمنيين الأمريكيين رأى زيارة الأربعين - إبان الاحتلال الأمريكي للعراق -، وأنّ هذا الأمريكي كان يقول: (إنّي أتعجّب من الشعور بالأمن طوال زيارة الأربعين، وعدم وجود المشاكل بين الزائرين، وعدم التعديّ على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال أنّنا في أمريكا لو أصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن أو نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعديّ والسرقة والنخ)، ثمّ قال لي: (أيّ شخص ربّي هكذا مجتمع؟)، فقلت: (إنّ الذي ربّاه شخص اسمه الحسين عليه السلام).

فهذا البناء العملي الأمني يعطينا دروساً عملية تنفعنا كثيراً في التمهيد للحركة المهدوية المباركة، والحفاظ عليها، ومراقبة من يسير فيها.

المحور السابع: البناء الأخلاقي:

من أهمّ المبادئ التي ركّز عليها التشريع هو خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة، وأرسل أئمة وأنبياء بمكارم الأخلاق العظيمة عملياً من جهة أخرى.

وزيارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية العملية التي تكون ملكات أخلاقية من جهة، وتكشف عملياً عن مستوانا الأخلاقي ودرجته من جهة أخرى.

ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً عدّة معطيات أخلاقية نذكرها إجمالاً:



١ - الصبر: فإنَّ الصبر قيمة أخلاقية عالية أكدت عليها الآيات والروايات، وإليك جملة منها:

أَمَّا الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

أَمَّا الروايات فمنها ما عن أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «... الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا، فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تُوجَرُوا» (٢٣).

وعن حمزة بن مُحَرَّانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «الْجَنَّةُ مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَجَهَنَّمُ مُحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ» (٢٤).

وعن أَبِي سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتْ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْبِرُّ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلَيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونُهُ» (٢٥).

فتبين أنَّ الصبر له قيمة معنوية عالية، وله أجر عظيم، وأثر بالغ في الدنيا والبرزخ والآخرة.

والمشي في الأربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهُو من المصاديق الواضحة للصبر، وخصوصاً المشي من أماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات.

فزيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها، والصبر على ما نُحِبُّ من طاعات.

٢ - التواضع: إنَّ سمة التواضع من أهم سمات وفضائل المؤمن، وهي

تقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨).

ومن الروايات نذكر رواية واحدة، في مستدرک الوسائل عن مِصْبَاح الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «التَّوَّاضُّعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٌ وَنَفِيسٌ، وَمَرْتَبَةٌ رَفِيعَةٌ، وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَّاضُّعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنُطِقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مُحَفِّياتِ الْعَوَاقِبِ، وَالتَّوَّاضُّعُ مَا يَكُونُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، وَمَا سِوَاهُ مَكْرٌ، وَمَنْ تَوَّاضَعَ لِلَّهِ شَرَّفَهُ اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَلِأَهْلِ التَّوَّاضُّعِ سِيَمَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ، قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وَقَالَ أَيضاً: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [الآية المائدة: ٥٤]. وَأَصْلُ التَّوَّاضُّعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابَهَا التَّوَّاضُّعُ، وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَّاضُّعِ إِلَّا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالتَّوَّاضُّعِ فَقَالَ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وَالتَّوَّاضُّعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشْيَةِ وَالْحَيَاءِ، وَإِنَّهُمْ لَا يَنْبُشْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا، وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ التَّامُّ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلْمُتَوَاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (٢٦).

وفي المشي إلى كربلاء يمرُّ الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد بيت على فراش غير لائق، أو يمشي في الطرق الوعرة، أو يخدم غيره من



الزوّار، أو يتبدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلّها من علامات التواضع كما في الرواية، ففي مشكاة الأنوار، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُّعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ، وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ، وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَلَا تُحِبَّ الْمَدْحَةَ وَالتَّزَكِّيَةَ» (٢٧).

كما أنّ ما يُقدّمه أصحاب الموكب هو من أعظم صور التواضع، فيقومون بفرش الفراش للزوّار، وإطعامهم، والسهر على خدمتهم، وتوفير كلّ الأمور لهم تواضعاً لله وخدمةً لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان: (زائر الحسين).

٣ - الإيثار: من الكمالات التي تكشف عن رقيّ نفس الإنسان اتّصافه بالإيثار، وهو (تقديم الطرف الآخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاةً له وتقديمه بمادة - مال مثلاً - أو منفعة أو حقّ من الحقوق) (٢٨).

وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

ومن الروايات ما عن عَليِّ بْنِ سُويْدٍ السَّائِي، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: «أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ»، ثُمَّ سَكَتَ، فَشَكَّوتُ إِلَيْهِ قَلَّةَ ذَاتِ يَدَيَّ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْيِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيَهُمَا، فَقَالَ: «صُمْ وَتَصَدَّقْ»، فَقُلْتُ: أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا؟ قَالَ: «تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ» (٢٩).

عن أبان بن تغلب، قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ، فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضًا، فَرَأَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَنْ هُوَ؟»، قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، قَالَ: «هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبْ إِلَيْهِ»، قُلْتُ: فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، دَعُهُ لَا تَرِدْهُ»، قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ ذَكَرَ الْمُؤَثِّرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟»، قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّهَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الْآخِرِ»^(٣٠).

وفي الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإن تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين والخادم في موكب الحسين، فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه، وراحة الزائر على راحة نفسه، ويُنْفِقُ من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله، وهكذا، فيتعلَّم من الزيارة درساً عظيماً وهو الإيثار.

٤ - التضحية: فإنَّ الماشي إلى زيارة الحسين يُقدِّم الجهد الجهيد والتضحية بهاله أو بوقته أو بنفسه تضحية منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد أشار الإمام الصادق إلى ذلك في دعائه لهم: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُورِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرِّنا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغِيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمْلَأُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا أَثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ...»^(٣١).

٥ - العفة: من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن



والفرج، بل وصفت العفة بأنها من أفضل العبادات، وجاءت النصوص مبيّنة لذلك:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

ومن الروايات ما عن المفضل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالسَّفَلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَجُهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ، وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ» (٣٢).

فإن الزيارة فيها نحو من أنحاء الاختلاط، وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غُضِّ البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الآخر بأنه من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صفوان الجمال، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي الْمَرْأَةُ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا مُحَرَّمٌ قَالَ: «إِذَا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةَ فَاحْلُهَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُحَرَّمُ الْمُؤْمِنَةِ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] (٣٣).

لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحثٍ مستقلٍّ بعنوان (مشي النساء إلى كربلاء) (٣٤).

٦ - الشجاعة: فإن الزيارة تُعلّم الإنسان الشجاعة في اتّخاذ الموقف، والصبر على الخوف، وقوّة الإقدام خصوصاً مع المنع للزيارة كما كان يحصل أيام الطاغية. ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب، وما هذا إلا صور رائعة من صور الشجاعة والإقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.



لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن وشدائد.
منها:

أ - أجر من حُبَسَ في طريق الحسين عليه السلام: في الوسائل عن هشام بن سالم، قال: قُلْتُ لِلإمام الصادق عليه السلام: فَمَا لِمَنْ حُبَسَ فِي إِيَّانِهِ؟ قَالَ: «لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَغْتَمُّ فَرَحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣٥).

ب - أجر من ضُرِبَ بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرک الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق، قُلْتُ: فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الْحُبْسِ فِي إِيَّانِهِ؟ قَالَ: «لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءٌ، وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَيُمَحَى بِهَا عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ» ^(٣٦).

ج - أجر من مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ فَعَسَلَتْهُ، وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى يُنْشَرَ، وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ الْبَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فُجِعِلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَذُخِرَ ذَلِكَ لَهُ، فَإِذَا حُشِرَ قِيلَ لَهُ: لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَذَخَرَهَا لَكَ عِنْدَهُ» ^(٣٧).

د - أجر من قُتِلَ في طريق الحسين عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ...»، إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارٌ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ؟ قَالَ: «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ، وَتُغْسَلُ طَبِيبَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُخْلَصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ، وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَسِ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ، وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ، وَيُمْلَأُ إِيَّانًا، فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تُخَالِطُهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ» ^(٣٨).

فإن هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والإقدام وعدم التهيّب من



الأعداء والطغاة، فتكون من أهم وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجة عليه السلام.

٧ - الموالاة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي ركّزها آل البيت عليه السلام في نفوس أتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله تعالى، وهو أن تجعل حبك ومودتك وطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعداء الله تعالى، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي فلا إيمان حقيقي إلا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول، بل لا صحة للعمل - على خلاف - إلا بهما، وهذا ما أشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (آل عمران: ٢٨).

ومن الروايات: عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ، وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ» (٣٩).
وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ» (٤٠).

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليه السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَا يَبُذَلُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُوَاخَاةُ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا، عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ، وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ، وَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَنْ



الله شَيْئاً، فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي الله (عَزَّ وَجَلَّ)؟ وَمَنْ وَلِيَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) حَتَّى أُوَالِيَهُ؟ وَمَنْ عَدُوُّهُ حَتَّى أَعَادِيَهُ؟ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ الله إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: وَلِيَ هَذَا وَلِيَ الله فَوَالِيهِ، وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ الله فَعَادِيهِ، وَالِ وَلِيَ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ، وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ» (٤١).

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وخصوصاً إذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك ممَّا يُعزز العنصرين المهمَّين في عقيدة الإنسان الحقَّة وعمله المقبول، وهذا التوليُّ والتبرِّي يفعله زوَّار الحسين عليه السلام من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين استجابةً لأمر آل البيت عليهم السلام وغازطةً لأعدائهم، والروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب، عن الصادق عليه السلام: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزَوَّارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرِّنا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغِيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...» (٤٢).

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدَّة أمور:

أ - إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأنَّنا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الأمة وإصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

ب - إيصال رسالة بأنَّنا رافضون للنهج التكفيري والأُموي المستبَح للنفوس والأعراض والأموال لأغراض سلطوية وذنوبية، وأنَّ هذا النهج لا بدَّ أن يحارب كي لا يتكرَّر في التاريخ.

ج - إيصال رسالة للعالم بأنَّ مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية والإصلاح، وأنَّ معيار موالاة أهل طاعة الله تعالى وبغض أهل



معصية الله تعالى وسيلة لإصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمؤمنين، وأن الناس لا تقاس على أساس العرق أو اللون أو القرابة وإنما على أساس الإيمان والتقوى والولاء لله تعالى وأوليائه والبراءة من الشيطان وأتباعه من الجن والإنس، وغيرها.

٨ - التدرّب على التعايش السلمي مع الآخر: من أهم الإشكاليات التي تواجه الأمم والديانات هو التدرّب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم إلغائهم فكرياً أو معنوياً أو حتّى مادياً، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظّمات الدولية وخصوصاً الأمم المتّحدة، وتجعل برامجاً لذلك، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجّهات تدعو للقتل والتقاتل كالحركات النازية أو الشعوبية أو الوهابية أو ما تمخّض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة وأخواتهنّ.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر وإن اختلف معك في المذهب أو العرق أو الدين على أسس لا قتل فيها إلّا إذا بادرك للحرب والحرابة أو تعدّى على مقدّساتك ومعتقداتك، بل الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء فضلاً عن غيرهم^(٤٣).

فأمير المؤمنين عليه السلام حدّد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك - عهد مالك الأشتر -، والذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلُّ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ...»^(٤٤).



والزيارة بهذه السعة المليونية تُعتبر موسماً للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم، وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية من التعامل مع الآخر حتّى مع اختلافنا معه في اللون أو القومية أو الثقافة أو البلد أو المذهب أو حتّى الدين.

٩ - إلغاء الطبقة والتعالي والتكبر: فإنّ من أخطر الأمراض التي تنسف بالمجتمعات هو بروز الطبقة بين أفرادها ممّا ينتج التعالي والتكبر واستبعاد الآخرين بسبب السلطة أو المال أو الجاه، فيحتاج الإنسان ما يكسر جموح النفس ويُضعف هذه الصفات، ولعلّ أهمّ ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع أفراد المجتمع، وموسم الأربعين إنّما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي، خصوصاً ما يمارسه أصحاب المراكز من إلغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكلّ الناس، فترى الكبير يخدم الصغير والغنيّ يخدم الفقير، بل وربّ العمل يخدم عمّاله كما أشرنا في ما مرّ من نقطتي التواضع والإيثار.

١٠ - الشعور بالمسؤولية: إنّ تحمّل المسؤوليات من أهمّ المقوّمات لصناعة الإنسان، وكلّما كانت المسؤوليات أكبر كانت الصناعة أقوى، لأنّها سوف تدخل في كبرى أنّ الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

فتبرز أماننا مسؤولية عظيمة تُسأل عنها يوم القيامة، وهي نعيم آل البيت عليه السلام الذي يجب علينا أداء حقّه، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من أخلاق وقيم ومعارف.

ففي رواية المحاسن: ... ذَكَرْتُ الْآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْحَقِّ» (٤٥).



وفي المحاسن أيضاً عن أبي حمزة، قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً، فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَاذَةً وَطِيْباً حَتَّى تَمَلَّيْنَا، وَأُتِينَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: ﴿لَتُسَلَّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نَعْمْتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيَسْوِغَكُمْهُ ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^(٤٦).

فإن هذه الزيارة تدعونا إلى تحمّل المسؤولية الدينية في إيصال رسالة عامّة لكلّ العالم بأننا مجتمع يملك من الصفات والمقومات الحضارية والاجتماعية والتربوية والإدارية العالية.

فهذه فرصة لبيان الإسلام المحمّدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل بعض عن تخلف الإسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والإسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية، وبعض الدول المتخلفة دينياً وقيماً والمتحللة أخلاقياً وتربوياً، وأنّ تلك الفئات لا تمثّل الإسلام.

والخلاصة:

إنّ هذه الصفات والمميّزات هي تدريب عملي وتمهيد حقيقي لخلق إنسان الظهور وما بعد الظهور، فالزيارة مدرسة أخلاقية كبيرة لشخصية الظهور المهدوي المبارك. خصوصاً وأنّ هذا البناء ليس بناءً نظرياً فحسب، بل هو بناء عملي كبير يخلق روحاً سامية مؤهلة لمرحلة الظهور وما بعده.

المحور الثامن: المحور العسكري:

إنّ المؤسّسة العسكرية لا تُقاس بقوة تسليحها فقط، وإنّما الأهمّ فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصاً الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والإباء.



وزيارة الأربعين هي من أهمّ موارد بناء الشباب المهدوي العسكري المقاوم والمضحّي، ولعلّ تجربة مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في العراق من أكبر الشواهد على ذلك، فإنّ من أهمّ ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحّية التي تتحدّى الصعاب وتواجه أشرس الأعداء مع قلّة العدّة والعدد هو حضور شخصية الحسين (عليه السلام) بين ظهرانيها، والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مهدوية.

فما سطره الأبطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة، بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدوي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعبّاس والأكبر و...، وتحركاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات مهدوية نائرة تعدّ لعصر الظهور.

فالتضحية - بالنفس بالمال بالراحة - لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الإسلام ولأجل المقدّسات ولأجل العزّة إنّها هي دروس تعلّمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموعد ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام المهدي (عليه السلام).

فهناك جيش عالمي قد تمّ إعداده سابقاً، وخاض التجارب في عدّة دول، ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر (عليه السلام)، وزيارة الأربعين هي الرافد الأساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الأمر (عليه السلام) نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: المحور الإعلامي:

من العادات الجارية لدى القوى السياسية أو غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات أو تجمّعات أو احتفالات أو مناورات أو غيرها، وذلك لإيصال رسالة إلى الآخر بأنّ لنا جماهير ونحن أقوىاء من باب: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ



﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)، كُلُّ بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ وَعَمَلِهِ وَقَدْرَتِهِ.

والمؤمنون بالقضية المهدوية لا بدّ لهم من ذلك أيضاً، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي هو أعظم صور الاستعراض الإعلامي للجمهور المؤمن، فالشعيرة الأربعينية ليست عبادة فردية فحسب، بل أصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحجّ وصلاة الجمعة، وهذا يُعطي أهميّة كبرى وثراءً معنوياً وانفجاراً إعلامياً يوصل رسالة واضحة للجميع (بأننا حسينيون، بأننا مهّدون، بأننا مؤمنون، بأننا أقوياء، بأننا منظمّون، بأننا متكافلون، بأننا مصلحون، وهكذا).

خصوصاً إذا عكسنا الصورة التي أراد لنا آل البيت عليهم السلام عكسها للإنسانية، وأنّ الدين الإسلامي هو الخاتم، وأنّ المهدي عليه السلام هو المخلص، وأنّه لا نجاة إلّا به.

فيرز لنا أمور:

- ١ - تحقيق منجز عددي وأنّ جماهيرنا مليونية وبتزايد كلّ عام بحيث لا يسع المكان للجمهور.
- ٢ - تحقيق منجز نوعي بأنّ جماهيرنا مؤمنة وقويّة ومخلصة ومطبعة لله ورسوله وآله.
- ٣ - تحقيق منجز دولي بأنّ زيارتنا دولية وليست إقليمية أو قطرية، إذ يأتيها الناس من كلّ فجٍّ عميق.
- ٤ - تحقيق منجز حضاري بأنّنا منظمّون ولا يتعدّى بعضنا على بعض طوال أيّام الزيارة.
- ٥ - تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعدّدة وقوميات متنوّعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الأوضاع والشعور بالآخر.



المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي:

إنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فإذا مرَّ بصعوبات قد يؤدي به إلى الضعف أو الانهيار أو ترك المبادئ أو التخلي عن بعضها، لذا يحتاج إلى دورة تدريبية لرفع ذلك.

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات - خصوصاً مع البرد القارص أو الحر الشديد أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور بل وغيره - هو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل أنواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه آل البيت عليهم السلام.

فالزيارة تمثل مركزاً لتدريب المؤمن للاستعداد والإعداد لعصر الظهور، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي عليه السلام والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ إذا ما بُلي بصعوبة أو شدة، بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدوي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمرُّ بها المؤمن ما هي إلا تقوية لصلبه وتمريناً له لمواجهة العدو.

فالزيارة الأربعينية ورشة عمل معمّقة لصناعة الشخصية المهدوية للظهور وما بعده.

المحور الحادي عشر: المحور التكافلي:

من العناصر المهمّة في الشخصية الممهّدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية، ومن أهمّ سُبُل تحقيق هذا البناء هو التدريب على التكافل ومساعدة الآخرين وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس حتّى مع التعب والخصاصة، والمشى في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلا منّة ولا ضجر، بل بفرحة وبهجة، ولعلّ التكافل الذي يُقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح



بالوجدان لكلّ من مشى للزيارة، وكذلك روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس، وهكذا.

والتكافل والإيثار له صور، منها:

- التكافل والإيثار بالطعام ولو على حساب نفسك.
 - التكافل والإيثار بالمبيت ولو بقيت سهراناً.
 - التكافل والإيثار بالفراش والغطاء.
 - التكافل والإيثار حال الرجوع من خلال إعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفاً.
 - التكافل والإيثار بتفضيل راحة الآخرين على راحة النفس.
- وهكذا غيرها من الصور.

المحور الثاني عشر: البناء السياسي:

إنّ زيارة الحسين عليه السلام موسم مهمّ لاستذكّار مبادئ ثورته، ومنها المبدأ السياسي، وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج على الظالمين، والاستعداد لذلك تحت قيادة الإمام الحجّة عليه السلام كي يعزّز الأولياء ويذلّ الأعداء ويملئها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كما أنّها رفض للاتّجاه السياسي المستبدّ وإنّ تلبّس بلبوس الدين وادّعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية إلى الخنوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء ممّا يضيّع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكّار شعارات الحسين عليه السلام في الثورة كخطابه: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا حُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ



رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفَعْلٍ وَلَا قَوْلٍ،
كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»^(٤٧) يكون حافزاً كبيراً للاستعداد السياسي
والتمهيد السياسي للإمام الحجة عليه السلام من خلال نشر الأفكار الدالة على أن
الإمام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تنخلق إرادة سياسية لدى الأمة المؤمنة تُحفّز المؤمن للالتحاق
بالشخصية المنقذة والبراءة من الأمة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما ورد
في الزيارة: «لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَذَلَتْكَ،
وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَعَتْكَ»^(٤٨).

خصوصاً إذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير إلى نصرة آل
البيت وخاتمهم الإمام الحجة عليه السلام كما في الزيارة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ مَنْنْتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ
مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ]،
وَمِنْ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٤٩).

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي
أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ
مُحَمَّدٍ»^(٥٠).

فزيارة الأربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى
الظلم والظيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يداهن المنحرفين والمستبدين
وإن علوا وتغطرسوا.

هذا ما أردنا ذكره من محاور، وهناك محاور أخرى قد تظهر للمتتبع لم
نذكرها دفعاً للإطالة.



النتيجة:

إنَّ زيارة الأربعين فيها عظيم البركات في كلِّ المستويات المادِّية والمعنوية، ومن أعظم البركات دور وأهمِّية هذه الزيارة المليونية في الإعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات الظهور ومجتمعه، فحريٌّ بنا أن نجعل تلك الزيارة مناراً لنا للتمهيد وانطلاقةً للانتظار الحقيقي الخالص للإمام عليه السلام، فنكون ممَّن أسهم في تعجيل الظهور المهدوي المقدَّس ببركة الزيارة الحسينية المقدَّسة، فنحظى بالنصر الإلهي التامَّ على أعداء الله تعالى ورسوله وآله (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين)، ويأخذ المهدي عليه السلام بشأَر جدِّه الحسين عليه السلام ممَّن قتلوه وسلبوه وسبوا عياله، ويعزُّ الأُولياء ويذلُّ الأعداء ويُظهر الدين ولو كره الكافرون، إنَّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

* * *

الهوامش

١. مثير الأحران: ٤.
٢. الاحتجاج: ٣٠٠: ٢.
٣. بحار الأنوار: ٤٥: ٧.
٤. مثير الأحران: ٢٤.
- ٥ (٥) الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٢١.
٦. كفاية الأثر: ٢٨١: منها ما روي: «... يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقْصَايِ الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ، فَإِذَا أُكْوِلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [الآف] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى...».
٧. المصدر السابق. وقد بحثت ذلك في بحث مستقل قد يُطَبَعُ لاحقاً.
٨. الكافي: ٣: ٢٦٥.
٩. الجعفریات: ٣٣.
١٠. كفاية الأثر: ٢٨١.
١١. كامل الزيارات: ١٣٢.
١٢. المصدر السابق.
١٣. المصدر السابق.
١٤. راجع: بحار الأنوار ٦٩: ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.
١٥. الكافي: ٢: ٦٣٥.
١٦. المصدر السابق.
١٧. المصدر السابق: ٢: ٦٣٦.
١٨. راجع: آداب العشرة في الوسائل، أو غيرها من الموسوعات الحديثية.
١٩. جامع أحاديث الشيعة ١٣: ٥٤٠.
٢٠. للمزيد يراجع العدد (٢) من مجلة الموعود (ص ٢٩٥).
٢١. وسائل الشيعة ١٦: ٢٠٣.
٢٢. المصدر السابق ١٦: ٢٤٧.
٢٣. الكافي: ٢: ٨٩.
٢٤. المصدر السابق.
٢٥. المصدر السابق: ٢: ٩٠.
٢٦. مستدرک الوسائل ١١: ٢٩٨.
٢٧. مشكاة الأنوار: ٢٠٠.
٢٨. الإيثار في النظومة الخلقية (العباس نموذجاً).
٢٩. الكافي: ٤: ١٨.
٣٠. المصدر السابق: ٢: ١٧١.
٣١. المصدر السابق: ٤: ٥٨٢.
٣٢. الكافي: ٢: ٢٣٣.
٣٣. من لا يحضره الفقيه: ٢: ٤٣٩.
٣٤. ميثي النساء إلى كربلاء/ مجلة الإصلاح الحسيني/ العدد ٥.
٣٥. وسائل الشيعة ١٤: ٤٤٢.
٣٦. مستدرک الوسائل ١٠: ٢٧٩.
٣٧. بحار الأنوار: ٤٥: ١٧٢.
٣٨. كامل الزيارات: ١٢٣.
٣٩. الكافي: ٢: ١٢٥.
٤٠. المصدر السابق: ٢: ١٢٧.
٤١. بحار الأنوار: ٦٦: ٢٣٦.
٤٢. المصدر السابق: ٤: ٥٨٢.
٤٣. راجع بحث (نمط التعاطي مع الأعداء) بحث نشرته مجلة المنهج العدد ٢.
٤٤. نهج البلاغة/ عهد مالك الأشتر.
٤٥. المحاسن: ٢: ٤٠٠.
٤٦. المصدر السابق.
٤٧. بحار الأنوار: ٧٨: ١٢٨.
٤٨. كامل الزيارات: ٤٣.
٤٩. المصدر السابق: ٤٥.
٥٠. المصدر السابق.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

سلمان المحمّدي ﷺ

وارتباطه بالعقيدة المهدوية^(١)

الشيخ د. عليّ الفياض

المقدمة :

يحاول البحث إيجاد العلاقة بين سلمان المحمّدي والقضيّة المهدوية من خلال نصوص المعصوم عليه السلام، وتمّ التمهيد له بمقدّمتين: المقدمة الأولى كانت تعريفاً موجزاً بالشخصية العظيمة للإمام المهدي عليه السلام، والاعتقاد به مع اعطاء تعريف عامّ حول العقيدة المهدوية. والمقدّمة الثانية كانت تعريفاً موجزاً لسلمان المحمّدي عليه السلام.

وأما البحث الأوّل، فكان حول مسألة طول عمر سلمان المحمّدي وارتباط ذلك بطول عمر إمامنا المهدي عليه السلام. وفيه تمّ ذكر بعض المعمرين من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، وتمّ ذكر الأقوال في عمر سلمان المحمّدي عليه السلام.

وأما البحث الثاني، فقد ذكرنا فيه علاقة سلمان المحمّدي بالرجعة، وأنّه يرجع مع قائم آل محمّد عليه السلام، وعثرنا على نصّين في ذلك:

أحدهما يقول فيه الرسول ﷺ لسلمان المحمّدي في حقّ القائم عليه السلام: «يا سلمان، إنّك مدرّكه ومن كان مثلك ومن تولّاه بحقيقة الإيمان»^(٢).

والمبحث الثالث كان في مرويات سلمان المحمّدي عليه السلام في الإمام المهدي عليه السلام التي وردت عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، وكان مجموعها تسعة عشر نصّاً.





والخاتمة كانت في نتيجة البحث.

تعريف موجز بالإمام المهدي عليه السلام:

١ - هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام، ومن ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

٢ - اسمه محمد بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٣).

٣ - وُلِدَ الإمام المهدي عليه السلام في مدينة سامراء المقدسة سنة (٢٥٥ هـ) (٤)، وتعدُّ مسألة الولادة من المسلمات التاريخية، وقد صرح بذلك أئمة أهل البيت عليه السلام، مضافاً إلى العديد من محدثي الجمهور.

٤ - ألقابه عليه السلام كثيرة، أشهرها: المهدي، والقائم، والمتنظر. ومنها: الحجة، والخلف الصالح، وبقية الله، والمنصور، وصاحب الأمر، وولي العصر، وصاحب الزمان، وقد أوصلها المحدث النوري (٥) إلى (١٨٢) لقباً.

٥ - يخرج آخر الزمان بعد أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ليملاًها قسطاً (٦) وعدلاً.

٦ - له غيبة صغرى حدثت سنة (٢٦٠ هـ) بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام (٧)، وهناك قول ثانٍ: إنها ابتدأت منذ ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وانتهت بوفاء السفير الرابع سنة (٣٢٩ هـ) لتكون (٧٤) سنة (٨). وقول ثالث: إنها وقعت بعد مولده عليه السلام بفترة وفي حياة الإمام العسكري عليه السلام (٩).

٧ - له أربعة سفراء (١٠) في الغيبة الصغرى، أولهم: عثمان بن سعيد العمري، واستمرت سفارته حوالي خمس سنوات (١١)، ثم بعده ابنه محمد بن عثمان (١٢)، استمرت سفارته أربعين سنة، ثم الحسين بن روح النوبختي (١٣)، استمرت سفارته عشرين سنة، ثم السفير الرابع (١٤) علي بن محمد السمری، استمرت سفارته (٣) سنوات.

٨ - قام الدليل القطعي على انقطاع السفارة بعد السفير الرابع، فلا يوجد سفير خامس.



٩ - بدأت الغيبة الكبرى^(١٥) - الثانية - سنة (٣٢٩هـ)، وتنتهي بظهوره الشريف.

تعريف موجز بسلمان المحمّدي عليه السلام :

١ - الأحاديث التي وصفت سلمان المحمّدي كثيرة^(١٦) نكتفي بحديث جاء عن صادق أهل البيت عليه السلام، حيث روى الشيخ الطوسي بسنده عن منصور بزرج، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما أسمع منك يا سيدي ذكر سلمان الفارسي، فقال: «لا تقل الفارسي، ولكن قل: سلمان المحمّدي، أتدري ما كثرة ذكري له؟»، قلت: لا، قال: «لثلاث خلال أعدها: إشاره هوى أمير المؤمنين على هوى نفسه، والثانية: حبه للفقراء واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد، والثالثة: حبه للعلم والعلماء. إنَّ سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»^(١٧).

٢ - اسم سلمان هو مايه، ويقال: روزبه. وأمّا ولادته فيقال: في شيراز، ويقال: في أصبهان، ويقال: في كازرون، ويقال: في رامهرز^(١٨).

٣ - كانت رحلته لطلب دين الله تعالى إلى الشام ثم الموصل فنصيبين فعمورية حتّى سمع بأن نبياً سوف يبعثه الله، فقصده بلاد العرب، فلقيه بنو كلب، فاستعبدوه وباعوه حتّى وصل إلى المدينة المنورة، فسمع بالإسلام، وقصد النبي محمّداً ﷺ^(١٩).

٤ - اختلف في تاريخ ولادته ومدة عمره، ف قيل: عاش (٣٥٠) سنة^(٢٠)، وقيل: أقل، وقيل: أكثر، وروي أنّه أدرك عيسى عليه السلام^(٢١). أمّا وفاته فكانت سنة (٣٦هـ)^(٢٢).

المبحث الأول: طول عمر سلمان عليه السلام والمهدوية :

مسألة طول العمر للإمام المهدي عليه السلام من المسائل المهمة التي وقعت محلاً للنزاع بين الإماميّة وغيرهم، وقد طرحها علماؤنا في كتبهم، كالشيخ المفيد والسيد المرتضى وغيرهم^(٢٣).



ومن المناسب هنا أن نبحت طول عمر سلمان المحدثي ﷺ ونجعلهُ مؤشراً على إمكانية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام المولود سنة (٢٥٥ هـ). على أن ظاهرة طول العمر لا تختصّ بسلمان المحدثي ﷺ وإنما هناك الكثير من المعمرين في التاريخ سواء كان عمرهم أكثر أو أقل من عمر سلمان المحدثي ﷺ. بعض المعمرين من الأنبياء عليهم السلام:

لنذكر على سبيل المثال لا الحصر هؤلاء المعمرين:

١ - النبي آدم عليه السلام، فقد عاش (٩٣٠) عاماً، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، قال: «عاش أبو البشر آدم تسعمائة وثلاثين سنة...»^(٢٤)، وهناك روايات ذكرت له من العمر أكثر من هذا التقدير.

٢ - النبي نوح عليه السلام، فقد عاش (٢٥٠٠) عاماً، فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يُبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء»^(٢٥) فمصرّ الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال له: السلام عليك، فردّ الجواب، فقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أخرج من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعم، فتحول نوح، ثم قال: يا ملك الموت كأنّ ما مرّ بي في الدنيا مثل تحوّل من الشمس إلى الظل، فامض لما أمرت به»، قال: «فقبض روحه»^(٢٦).

٣ - النبي شيث عليه السلام، فقد عاش (٧١٢) عام، قال المسعودي: (وكان عمر شيث سبعمائة واثنني عشرة سنة)^(٢٧).

٤ - النبي سليمان عليه السلام، فإنّهُ عاش أيضاً (٧١٢) عاماً، فعن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، عن الرسول ﷺ: «... وعاش سليمان بن داود سبعمائة واثنني عشرة سنة»^(٢٨).



٥ - الخضر عليه السلام، فقد أخبرنا القرآن الكريم بقصته، وأنه كان في زمن النبي موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥). وإن الله تعالى مدّ في عمر الخضر ليكون دليلاً لطول عمر إمامنا المهدي عليه السلام، روى الشيخ الصدوق بسند عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وأما العبد الصالح - أعني الخضر - فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوة قدرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشرعية ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له. بل إن الله تبارك وتعالى لمّا كان في سابق علمه أن يُقدّر من عمر القائم في أيام غيبته ما يُقدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، لئلا يكون للناس على الله حجّة» (٢٩).

الأقوال في العمر الشريف لسلطان المحمّدي:

ذكرت المصادر عدّة أقوال في مدّة بقاء سلمان المحمّدي نذكرها كالآتي:

- ١ - أنه عاش مائتين وخمسين عاماً (٣٠).
- ٢ - أن عمره كان ثلاثمائة وخمسين عاماً (٣١).
- ٣ - أنه عاش أربعمئة وأربع وعشرين، قال البياضی: (ودور المشتري الأعظم أربعمئة وأربعة وعشرون، قيل: وهو عمر سلمان الفارسي) (٣٢).
- ٤ - أكثر من خمسمئة سنة، حيث ذكر الشيخ المفيد بأن سلمان أدرك عيسى عليه السلام، وحيث إن بين نبينا محمد ﷺ وبين عيسى عليه السلام قرابة الستمئة سنة، وأن سلمان أدرك النبي ﷺ، لذا يكون سلمان عاش أكثر من خمسمئة سنة، وإليك نصّ كلام الشيخ المفيد، قال: (وأكثر أهل العلم يقولون بأنّه رأى المسيح وأدرك النبي ﷺ، وعاش بعده، وكانت وفاته وسط أيام عمر بن الخطّاب) (٣٣). وقال

الشيخ الطوسي: (وروي أصحاب الأخبار أن سلمان الفارسي عليه السلام لقي عيسى بن مريم عليه السلام وبقي إلى زمان نبينا عليه السلام، وخبره مشهور) (٣٤).

٥ - أنه عاش خمسمائة أو أقل، حيث إنه أدرك وصي عيسى عليه السلام، ففي رواية طويلة يذكرها الشيخ الصدوق في سبب إسلام سلمان عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وفيها أنه وجد في بيته كتاباً فيه عهد يأمره بأن يأتي وصي عيسى عليه السلام (٣٥).

ومن هنا يتضح أن سلمان المحمّدي كان من المعمرين، وهذا يدلّ بشكل طبيعي على أن بعض الناس أعطاهم الله العمر المديد، فيكون ذلك مؤشراً على إمكان إعطاء العمر الطويل لإمام زماننا الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

المبحث الثاني: سلمان المحمّدي والرجعة في زمان الظهور؛

يظهر من بعض النصوص أن سلمان المحمّدي يرجع في زمن الإمام المهدي عليه السلام لكي يكون من أنصاره وأعوانه والمجاهدين بين يديه.

١ - جاء في رواية الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبع من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجاجة الأنصاري، ومالك الأشر» (٣٦).

وفي رواية الإرشاد عبارة: (من ظهر الكوفة) (٣٧)، وليس من ظهر الكعبة، والرواية تُصرّح برجوع (٢٧) شخصاً لنصرة الإمام المهدي عليه السلام، ومنهم سلمان المحمّدي.

ويظهر من الروايات أن سلمان المحمّدي ليس من الثلاثمائة والثلاث عشر الذين يكونون مع الإمام المهدي عليه السلام بعضهم يأتي على السحاب وبعضهم مفقود عن فراشه، ولا نحتمل أنه من الأنصار العاديين، لذا قد يكون شأنه أعلى من هؤلاء الثلاثمائة والثلاث عشرة.



٢ - الراوية الثانية: روى سلمان المحمّدي رحمته الله، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا جَعَلَ لَهُ اثْنِي عَشَرَ نَقِيًّا»، فقلت: يا رسول الله، قد عرفت هذا من أهل الكتابين. فقال: «يا سلمان، هل علمت من نقبائي؟ ومن الاثني عشر الذين اختارهم الله للأُمة من بعدي؟...»، إلى أن قال: «ثمّ ابنه محمّد بن الحسن الهادي المهدي الناطق القائم بحقّ الله»، ثمّ قال: «يا سلمان، إِنَّكَ مدرّكه، ومن كان مثلك، ومن تولّاه بحقيقة المعرفة». قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثمّ قلت: يا رسول الله، وإني مؤجّل إلى عهده؟ قال: «يا سلمان، اقرأ: ﴿جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٥ و٦]».

قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي، ثمّ قلت: يا رسول الله، أبعهد منك؟ فقال: «إي والله، والذي أرسل محمّداً بالحقّ منّي ومن عليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة، وكلُّ من هو منّا ومعنا ومضام فينا. إي والله يا سلمان، وليحضرنّ إبليس وجنوده وكلُّ من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار، ولا يظلم ربّك أحد، ويُحقّق تأويل هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٥ و٦).

قال سلمان: فقمّت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو الموت لقيه^(٣٨).

والرجعة تعني رجوع جماعة قليلة من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة في صورتهم التي كانوا عليها عند قيام المهدي عليه السلام^(٣٩)، وهذه الرواية تُصرّح بوضوح برجعة سلمان المحمّدي رحمته الله، كما وتُصرّح أنّ الذين يرجعون هم من



محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً وبرجوع إبليس وجنوده، كما وتذكر أنّ الغرض من الرجعة هو القصاص وإقامة العدل.

المبحث الثالث: مرويات سلمان المحمّدي عليه السلام في الإمام المهدي عليه السلام:

وردت أحاديث كثيرة في الإمام المهدي عليه السلام عن طريق الصحابي الجليل سلمان المحمّدي عليه السلام، بعضها صريح في الإمام القائم عليه السلام، وبعضها عام في الأئمة عليهم السلام بما فيهم الإمام الثاني عشر عليه السلام، ونحن ننقل ما عثرنا عليه من هذه المرويات في المصادر الروائية:

١ - عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي عليه السلام، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وإذا بالحسين عليه السلام على فخذه، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول: «أنت سيّد ابن سيّد، إمام ابن إمام، أبو الأئمة، ابن حجة، أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»^(٤٠).

وهذا نص واضح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة بما فيهم الإمام المهدي عليه السلام الذي هو الخاتم، ويصرّح النصّ أنّه من ذرية الحسين عليه السلام، وليس من ذرية الحسن عليه السلام كما هو معتقد الجمهور، فإنّهم اعتمدوا على حديث أخرجه أبو داود السجستاني في سننه بسند عن أبي إسحاق، قال: قال علي عليه السلام - ونظر ابنه الحسن -، فقال: «إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه النبي، وسيخرج من صلبه رجل يُسمّى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق»^(٤١)، فإنّه لا يمكن الاستناد إليه لمعارضته بأحاديث كثيرة من طرق أهل السنة تُصرّح بأنّ المهدي عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام^(٤٢).

٢ - رواية سلمان عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله في رجوعه مع المهدي عليه السلام، وقد تقدّمت حيث ذكرناها في المبحث الثاني، وهي الرواية الثانية، وتشتمل على مطالب مهمّة ومفيدة في بحث الرجعة أشرنا إليها إجمالاً.

٣ - عن سلمان المحمّدي عليه السلام، قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة، فذكر



الفتنة وقربها، ثم ذكر قيام القائم عليه السلام من ولده، وأنه يملأها عدلاً كما ملئت جوراً، قال سلمان عليه السلام، فأتيته خالياً، فقلت: يا أمير المؤمنين متى يظهر القائم عليه السلام من ولدك؟ فتنفس الصعداء، وقال: «لا يظهر حتى يكون أمور الصبيان، وتضيع حقوق الرحمن، ويتغنى بالقرآن بالتطريب والألحان، فإذا قتلت ملوك بني العباس أولي العمى والالتباس أصحاب الرمي عن الأقواس بوجوه كالتراس^(٤٣)، وخربت البصرة، وظهرت العشرة»، قال سلمان: قلت: وما العشرة يا أمير المؤمنين؟ قال: «منها خروج الزنج، وظهور الفتنة، ووقائع بالعراق، وفتن الآفاق، والزلازل العظيمة، مقعدة مقيمة، ويظهر الحندر^(٤٤) والديلم بالعقيق والصيلم^(٤٥)، وولاية القصاح^(٤٦) بعقب الفم الجناح، وظهور آيات مقربات في النواحي والجنابات، وعمران الفسطاط بعين العرب والأقباط، ويخرج الحائك الطويل بأرض مصر النيل»، قال سلمان: قلت: وما الحائك الطويل؟ قال: «رجل صعلوك ليس من أبناء الملوك، تظهر له معادن الذهب، ويساعده العجم والعرب، ويأتي له من كل شيء حتى يلي الحسن، ويكون في زمانه العظام والعجائب، وإذا سار بالعرب إلى الشام، وداس بالبرذون^(٤٧) أرحام، وداس جبل الأردن واللكام^(٤٨)، وطار الناس من غشيته، وطار السيل من جيشه، ووصل جبل القاعوس^(٤٩) في جيشه، فيجرُّ به بعض الأمور فيسرع الأسلاف، ولا يهنيه طعام ولا شراب حتى يعاود بأيلون^(٥٠) مصر، وكثرة الآراء والظنون...»، قال سلمان عليه السلام: ثم انضجع ووضع يده تحت رأسه وهو يقول: «شعار الرهبانية القناعة»^(٥١).

والرواية اشتملت على علامات غيبية مستقبلية كثيرة أخبر بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سلمان المحمدي عليه السلام، وبعض هذه العلامات غير مرتبط بخروج الإمام المهدي عليه السلام، مثل ثورة الزنج، وبعضها مرتبط بظهوره ويكون علامة



كخراب البصرة واضطراب الشام وغيرها. ومن الملاحظ صعوبة الألفاظ الموجودة في الرواية، وقد يبدو عليها بعض الاضطراب، ولعلّه من الناسخ.

٤ - عن سلمان المحمّدي عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣)، فقال: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة، ولا تُخلَى أُمَّةٌ من وسيلةٍ إليه إلى الله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]» (٥٢).

وواضح أنّ قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا تُخلَى أُمَّةٌ من وسيلة» إشارة إلى وجود الإمام المهدي عليه السلام في زماننا، وهذه الفقرة نفسها تشير إلى ولادته عليه السلام.

٥ - عن سلمان المحمّدي عليه السلام، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول في قول الله (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، «فكان رسول الله يعرف الخلق بسيماهم، وأنا بعده المتوسّم، والأئمة من ذرّيتي المتوسّمون إلى يوم القيامة» (٥٣).

والمتوسّمون هم الذين يتفرّسون حقائق الأشياء وأسبابها وآثارها، ويتفكّرون في مبادئها وعواقبها حتّى يعرفها بسيماها كما ينبغي (٥٤). والمراد هنا الأئمة عليهم السلام، ومنهم الإمام المهدي عليه السلام، ووصفتهم الرواية بأنّهم باقون إلى يوم القيامة دلالة على الوجود الشريف للإمام القائم عليه السلام.

٦ - عن سلمان الفارسي عليه السلام، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «معاشر الناس، إنّني راحل عن قريب، ومنطلق إلى المغيّب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإياكم والبدع فإنّ كلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار... ثمّ قال عليه السلام: «إنّهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى»، قلت: فسّمهم لي يا رسول الله. قال: «أولهم عليّ بن أبي طالب، وبعده



سبطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين، وبعده محمد بن عليّ الباقر علم النبيّين، والصادق جعفر بن محمد، وابنه الكاظم سميّ موسى بن عمران، والذي يُقْتَل بأرض الغربة ابنه عليّ، ثمّ ابنه محمد، والصادقان عليّ والحسن، والحجّة القائم المنتظر في غيبته، فإنّهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي، وحكمهم حكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي»^(٥٥).

والحديث يُصرّح بأنّ الإمام المهدي عليه السلام هو تاسع الأئمّة، وأنّ له غيبة، وأنّه ينتظره المنتظرون، وأنّ المؤذي له لا يستحقّ شفاعته الرسول ﷺ.

٧ - عن سلمان، قال: قال ﷺ: «الأئمّة بعدي اثنا عشر، عدد شهور الحول، ومنّا مهدي هذه الأئمّة، له غيبة موسى، وبهاء عيسى، وحلم داود، وصبر أيّوب»^(٥٦).

والحديث يُركّز على الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام حيث ذكّر باسمه من دون ذكر بقيّة الأئمّة، ويُصرّح بغيبته، ويذكر شباهته للأنبياء عليهم السلام.

٨ - عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمّة بعدي اثنا عشر»، ثمّ قال: «كلّهم من قريش، ثمّ يخرج قائمنا فيشفي صدور قوم مؤمنين، ألا إنّهم أعلم منكم فلا تعلّموهم، ألا إنّهم عترتي من لحمي ودمي، ما بال أقوام يؤذوني فيهم؟ لا أنا لهم الله شفاعتي»^(٥٧).

والحديث يشير إلى أنّ الفرج والراحة للمؤمنين تكون بخروج الإمام المهدي عليه السلام، فتشفي الصدور به، كما ويشير إلى علم الإمام المعصوم، وأنّه أعلم الناس.

٩ - عن سلمان الفارسي عليه السلام، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعنده الحسن والحسين يتغديان والنبيّ ﷺ يضع اللقمة تارة في فم الحسن وتارة في فم الحسين، فلمّا فرغ من الطعام أخذ رسول الله ﷺ الحسن على عاتقه والحسين على فخذه ثمّ قال: «يا سلمان، أتُحبّهم؟»، قلت: يا رسول الله، كيف لا أُحبّهم ومكانهم منك مكانهم؟ قال: «يا سلمان، من أحبّهم فقد أحبّني، ومن أحبّني



فقد أحبَّ الله»، ثم وضع يده على كتف الحسين عليه السلام فقال: «إنَّه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه أئمة أبرار، أمناء معصومون، والتاسع قائمهم»^(٥٨).
والحديث يوضح علاقة سلمان عليه السلام بالحسن والحسين عليهما السلام، كما ويصرِّح بأنَّ الإمام القائم هو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، ويصفه بأنَّه من الأبرار والأمناء، وأنَّه قائم الأئمة عليهم السلام.

١٠ - عن سلمان الفارسي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي بعدد نبياء بني إسرائيل، وكانوا اثني عشر»، ثم وضع يده على صلب الحسين عليه السلام وقال: «تسعة من صلبه، والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فالويل لمبغضيه»^(٥٩).

والحديث يصرِّح بأقامة العدل في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وانتهاء الجور والظلم، ويتوعّد المصير المشؤوم لمبغضي آل محمد.

١١ - قال سليم: سمعت سلمان الفارسي عليه السلام يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فدخلت فاطمة عليها السلام، فلمّا رأت ما برسول الله ﷺ من الضعف خنقتها العبرة حتّى جرت دموعها على خديها، فقال رسول الله ﷺ: «يا بنيّة، ما يبكيك؟»، قالت: «يا رسول الله، أخشى على نفسي ولدي الضيعة من بعدك... ومنا - والذي نفسي بيده - مهدي هذه الأئمة الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»^(٦٠).

والرواية تشتمل على مطالب كثيرة في الإمامة، وفي فضل أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، وتصرِّح بظهور الإمام المهدي عليه السلام آخر الزمان.

١٢ - عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أبشركم - أيها الناس - بالمهدي؟»، قالوا: بلى، قال: «فاعلموا أن الله تعالى يبعث في أمتي سلطاناً عادلاً وإماماً قاسطاً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وهو التاسع من ولد ولدي الحسين، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي. ألا ولا خير في الحياة بعده، ولا يكون انتهاء دولته إلّا قبل القيامة بأربعين يوماً»^(٦١).



والرواية فيها بشارة مهمة من الرسول ﷺ بولده القائم عليه السلام واسمه، وأن اسمه نفس اسم الرسول ﷺ، وكنيته نفسها أبو القاسم، وأن دولته تستمر إلى نهاية الدنيا إلا قبل القيامة بأربعين يوماً.

١٣ - سلمان الفارسي عليه السلام، قال: دخلت على رسول الله، فلما نظر إلي قال ﷺ: «يا سلمان، إن الله (عز وجل) لن يبعث نبياً ولا رسولاً إلا وله اثنا عشر نقيباً... والرواية تقدمت.

١٤ - عن سلمان الفارسي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام، فذكر المهدي القائم عليه السلام: «والله ليغيثن حتى يقول الجهال: ما بقي لله في آل محمد من حاجة، ثم يطلع طلوع البدر في وقت تمامه والشمس في وقت إشراقها، فتقر عيون وتعمى عيون» (٦٢).

وفي هذا الحديث تأكيد من أمير المؤمنين على غيبة الإمام المهدي عليه السلام، وإشعار بأن هناك من ينكرها إنكاراً شديداً وخصوصاً الجهلة الذين يقولون بأن لا حاجة في آل محمد عليه السلام.

١٥ - عن سلمان الفارسي عليه السلام، مما أثره عن رسول الله ﷺ أنه ذكر المهدي عليه السلام وقال: «إنه لقاتل الظالمين، ويقتل الزنادقة، ولا يقبل منهم توبة، ولا يأخذ منهم جزية، ولا يدع في الأرض أحداً على غير دين الإسلام إلا قتله، ويهلك الترك والخزر والديلم والحبش، ويؤتي بملوك الروم مصفدين في الحديد، ولا يدع يهودياً ولا نصرانياً، ولا يوجب لهم ذمة، ويرد الناس جميعاً على ملّة إبراهيم ومحمد» (٦٣).

وواضح أن ما جاء في الرواية هو مصداق لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).



١٦ - عن سلمان الفارسي عليه السلام، ومن ذلك ممّا أثره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا بدّ من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب، يقتل الزنادقة، ويملك الترك والخزر والديلم والحبش، ويؤتّى بملوك الروم مصفدين في الحديد، ولا تقوم راية إلاّ راية الإيمان»^(٦٤).

والحديث فيه حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وأمّا فقرة (يقوم من المغرب) فهي مخالفة لما دلّ أنّ ظهوره عليه السلام من المشرق، وربّما تكون انعكاساً لما يعتقدّه صاحب الكتاب القاضي النعماني المغربي من الأحداث التي قام بها المهدي الفاطمي.

١٧ - عن سلمان الفارسي أنّه قال: (لا بدّ من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب فيكسر شوكة المبتدعين ويقتل الظالمين)^(٦٥).

ويدلّ على حتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ونفس المناقشة في الرواية السابقة تأتي، ولعلّها نفس الرواية السابقة.

١٨ - عن سلمان الفارسي عليه السلام أنّه قال: (لا ينفكّ المؤمنون حتّى يكونوا كمواة المعز، لا يدري الخابس على أيّها يضع يده، ليس فيهم شرف يشرفونه، ولا سناد يسندون إليه أمرهم)^(٦٦).

أوردها النعماني في كتابه الغيبة، وجعلها تحت عنوان غيبة الإمام المهدي عليه السلام، ولعلّ دلالتها في الغيبة غير واضحة، وإنّما هي في الفتن.

١٩ - عن سلمان الفارسي: (فإذا فقدتم الفرقدين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة)، ثمّ قال: (وأمّا النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين، والتاسع مهديهم)^(٦٧).

وفيها تصريح بأنّ المهدي من ذرية الحسين عليه السلام، وأنّه تاسع الأئمة عليهم السلام.

الخاتمة والنتيجة :

يمكن تلخيص نتيجة البحث ضمن النقاط التالية:

- ١ - تمّ إثبات طول عمر الصحابي الجليل سلمان المحمّدي عليه السلام، حيث إنّه يصل في بعض الأقوال إلى أكثر من خمسمائة سنة، وهو طريق إلى إثبات إمكان طول عمر الإمام المهدي عليه السلام.
- ٢ - وجود رجعة لسلمان المحمّدي عليه السلام مع الإمام المهدي عليه السلام، ويحتمل أن تكون منزلته أعلى من الثلاثمائة والثلاث عشر الذين يقاتلون مع الإمام القائم عليه السلام.
- ٣ - أثبتنا عدداً غير قليل (١٩ رواية) من مرويات سلمان المحمّدي عليه السلام في قضية الإمام المهدي عليه السلام تحتوي على فوائد مهمّة في الإمامة بصورة عامّة وفي الإمام المهدي بصورة خاصّة في اسمه الشريف وكنيته، وكذا في علامات ظهوره.
- ٤ - يمكن القول: إنّ هذا البحث يُعطي نافذة جديدة ومفتاحاً للباحثين والمحقّقين للتحقيق حول علاقة بعض الشخصيات الإسلامية - سواء كانت الشخصية من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله أو كانت شخصية علمائية - بقضية الإمام المهدي عليه السلام، ومدى ارتباط هكذا شخصيات بالإمام عليه السلام موقفاً وفكراً وروايةً. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



الهوامش

١. تم إنجاز هذا البحث أروقة قسم الشؤون الفكرية - العتبة العلوية المقدسة.
٢. دلائل الإمامة: ٤٤٧.
٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٥.
٤. راجع: الإرشاد: ٣٣٩؛ الكافي: ١؛ ٥١٤؛ الغيبة للطوسي: ٢٣٨؛ كمال الدين: ٤٣٠.
٥. النجم الثاقب: ١؛ ٢٦٥.
٦. بحار الأنوار: ٣٦؛ ٣٥٩.
٧. كتاب الأربعين للماحوزي: ٢٢٧.
٨. موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام): ١؛ ١٤٣.
٩. الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة: ٤١.
١٠. موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام): ١٤٣ و ١٤٤.
١١. المصدر نفسه.
١٢. المصدر نفسه.
١٣. المصدر نفسه.
١٤. المصدر نفسه.
١٥. موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام): ١؛ ١٤٤.
١٦. سلمان المحمدي للشيخ عبد الواحد المظفر: ٤٩ - ٥١.
١٧. أمالي الشيخ الطوسي: ١٣٣.
١٨. سلمان المحمدي للمظفر: ١٣.
١٩. موسوعة طبقات الفقهاء: ١؛ ١١٧.
٢٠. أعيان الشيعة: ٧؛ ٢٨٠.
٢١. الغيبة للطوسي: ١١٣.
٢٢. سلمان المحمدي للمظفر: ٧٨.
٢٣. راجع: الفصول العشرة للشيخ المفيد: ٩١ - ١٠٣؛ المنع في الغيبة للسيد المرتضى: ٥٤؛ كمال الدين: ١٢٦.
٢٤. كمال الدين: ٥٢٣.
٢٥. أي غار.
٢٦. كمال الدين: ٥٢٣.
٢٧. أخبار الزمان: ٧٧.
٢٨. كمال الدين: ٥٢٤.
٢٩. كمال الدين: ٣٥٧.
٣٠. طرائف المقال: ٢؛ ٦٠٤؛ أعيان الشيعة: ٧؛ ٢٨٠.
٣١. المصدر السابق.
٣٢. الصراط المستقيم: ٢؛ ٢٤٥.
٣٣. الفصول العشرة: ١٠٢.
٣٤. الغيبة للطوسي: ١١٣.
٣٥. كمال الدين: ١٦٢.

الهوامش

٣٦. معجم احاديث الامام المهدي عليه السلام ١٢٢/٥
عن تفسير العياشي ودلائل الامامة
والارشاد وغيرها من المصادر.
٣٧. الإرشاد، الشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٨٦.
٣٨. دلائل الإمامة: ٤٤٧ - ٤٥٠.
٣٩. راجع: الموقع الالكتروني لمركز الأبحاث
العقائدية، الأسئلة والأجوبة، الرجعة،
مفهوم الرجعة.
٤٠. الخصال: ٤٧٥.
٤١. سنن أبي داود ٢: ٣١١.
٤٢. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ٦٤.
٤٣. جمع ترس، وهي قطعة يحملها المحارب
بيده ليتقي بها الضربات. (معجم ألفاظ
الفقه الجعفري: ١٠٧).
٤٤. الحندر: طائفة من الهنود يعبدون القمر.
(نهاية الأرب في فنون الأدب ١: ٥٧).
٤٥. الصيلم: الداهية، ويظهر من النص أنه
اسم لقوم، ولم نجده في المصادر.
٤٦. القصاح: لم نجده في اللغة.
٤٧. البرذون: هو التركي من الخيل.
٤٨. اللكام: جبل مشرف على أنطاكية
والمصيصة وطرطوس.
٤٩. القاعوس: لعلّه تصحيف (القاعون) جبل
شاهق في الأندلس.
٥٠. بآيلون: لعلّه تصحيف (ببليون) اسم عام
لديار مصر بلغة القدماء.
٥١. دلائل الإمامة: ٤٧٢ - ٤٧٥.
٥٢. بصائر الدرجات: ٢٦٣.
٥٣. بصائر الدرجات: ٣٧٧.
٥٤. شرح أصول الكافي ٥: ٢٨٨.
٥٥. كفاية الأثر: ٤٠ - ٤٢.
٥٦. كفاية الأثر: ٤٣.
٥٧. كفاية الأثر: ٤٤.
٥٨. كفاية الأثر: ٤٥.
٥٩. كفاية الأثر: ٤٧.
٦٠. والنص يبدو فيه بعض الركاقة في التعبير.
٦١. كتاب سليم بن قيس: ١٣٢ - ١٣٤.
٦٢. كتاب سليم بن قيس: ٤٧٨.
٦٣. الهداية الكبرى: ٣٦١.
٦٤. شرح الأخبار ٣: ٣٧٥.
٦٥. شرح الأخبار ٣: ٣٧٦.
٦٦. شرح الأخبار ٣: ٣٩٥.
٦٧. الغيبة: ١٩٧.
٦٨. مناقب آل أبي طالب ١: ٢٤٢.



المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - مقتضب الأثر: أحمد بن عبيد الله الجوهري / مكتبة الطباطبائي / قم.
- ٣ - معجم ألفاظ الفقه الجعفري: أحمد فتح الله / مطابع المدوخل / الدمام / ط١ / ١٤١٥ هـ.
- ٤ - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني / تحقيق سعيد محمد اللحاق / دار الفكر / ط١ / ١٤١٠ هـ.
- ٥ - كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي / تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني / دليل ما / نگارش / ط١ / ١٤٢٢ هـ.
- ٦ - مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: منسوب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق / الأعلمي / ط١ / ١٤٠٠ هـ.
- ٧ - الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصيبي / مؤسسه البلاغ / بيروت / ط٤ / ١٤١١ هـ.
- ٨ - المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: مركز الرسالة / مهر / قم / ط١ / ١٤١٧ هـ.
- ٩ - كفاية الأثر: علي بن محمد الخزاز القمي / تحقيق عبد اللطيف الحسيني / بيدار / الخيام / قم / ١٤١٠ هـ.
- ١٠ - سلمان المحمدي: عبد الواحد المظفر / مكتبة الكلمة الطيبة / بغداد / ط١ / ١٤٣٣ هـ.
- ١١ - أخبار الزمان: علي بن الحسين بن علي المسعودي / تصحيح لجنة من الأساتذة / دار الأندلس / بيروت / ط٢ / ١٣٨٥ هـ.
- ١٢ - طرائف المقال: علي البروجردي / تحقيق مهدي الرجائي / مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة / قم / ط١ / ١٤١٠ هـ.
- ١٣ - الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي النباطي البياضي / تصحيح محمد الباقر البهودي / المكتبة الرضوية / الحيدري / ط١ / ١٣٨٤ هـ.
- ١٤ - معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: علي الكوراني العاملي / ط١ / ١٤٢٦ هـ.
- ١٥ - موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام / إشراف جعفر السبحاني / اعتماد / قم / ط١ / ١٤١٨ هـ.
- ١٦ - شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي / تحقيق محمد الحسيني الجلال / مؤسسه النشر الإسلامي / قم / ط٢ / ١٤١٤ هـ.
- ١٧ - أعيان الشيعة: محسن الأمين / تحقيق حسن الأمين / دار التعارف / بيروت.

المصادر

- ١٨ - دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (الشيعة) / تحقيق مؤسسة البعثة / ط١ / ١٤١٣هـ.
- ١٩ - الأمالي: محمد بن الحسن الطوسي / مؤسسة البعثة / دار الثقافة / ط١ / ١٤١٤هـ.
- ٢٠ - الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي / مؤسسة المعارف الإسلامية / تحقيق الشيخ عباد الله الطبراني / بهمن / ط١ / ١٤١١هـ.
- ٢١ - الفصول العشرة: محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) / تحقيق الشيخ فارس الحسون / دار المفيد / بيروت / ط٢ / ١٤١٤هـ.
- ٢٢ - الكافي: محمد بن يعقوب الكليني / تصحيح علي أكبر الغفاري / دار الكتب الإسلامية / حيدري / طهران / ط٣ / ١٣٦٧ش.
- ٢٣ - كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) / تصحيح علي أكبر الغفاري / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / المشرقة / ١٤٠٥هـ.
- ٢٤ - الغيبة: محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب (النعماني) / تحقيق فارس الحسون / أنوار الهدى / مهر / قم / ط١ / ١٤٢٢هـ.
- ٢٥ - مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب / تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف / المكتبة الحيدرية / ١٣٧٦هـ.
- ٢٦ - الموقع الإلكتروني لمركز الأبحاث العقائدية / www.Agaed.com / الأسئلة العقائدية / الرجعة / مفهوم الرجعة. ٢٧ - الخصال: محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق) / تصحيح علي أكبر الغفاري / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / ١٤٠٣هـ.
- ٢٨ - بصائر الدرجات: محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / تصحيح الحاج ميرزا حسن كوجه باغي / الأعلمي / الأحمدي / طهران / ١٤٠٤هـ.
- ٢٩ - شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني / تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ط١ / ١٤٢١هـ.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الدعاء المهدوي وآثاره في بناء الفكر والعقيدة البناء التوحيدي أنموذجاً

الشيخ حميد الوائلي

مقدمة:

يُعتبر الدعاء من أهم الأركان التي يستند إليها الإنسان في مسيرته نحو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَوُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان: ٧٧)، وورد في الرواية: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَخُّ الْعِبَادَةِ»^(١)، وبعد هذا لا يمكن لنا بأي حالٍ من الأحوال إغفال الدعاء أو القفز عليه رضوخاً لبعض الإشكالات التي تثار هنا أو هناك. إذ أنه ومع وضوح دعوة القرآن الكريم والروايات الشريفة إلى التزام منهج الدعاء عنصراً ثابتاً و يومياً في حياة الإنسان المؤمن ظهرت عندنا بعض النظريات التي ترفض هذا المنهج وقد تعتبر منه منهجاً مخالفاً حتى للتوحيد.

الدعاء سبيل الموحدين:

تتعدد ألسنة الداهيين إلى رفض الدعاء وأهميته في نظام الارتباط مع الله سبحانه وتعالى وتأثيره على الحياة الدنيوية والأخروية معاً أو أحدهما. فطائفة من هؤلاء يذهبون إلى أن الدعاء يصطدم مع نظام الأسباب والمسببات الذي خُلِقَ الكون على أساسه وجرت مقادير الأمور على نظامه، فما دام لكل شيء سبب وأن هذا السبب لا يختلف ولا يتخلف، فالدعاء على





هذا الأساس يكون من قبيل الأمور العبيّة، فليس هو لا حاجة له وحسب، بل قد يستلزم التصرف العبي، والذي قد يجزّ في بعض الأحيان إلى الابتلاء بالمحذور الشرعي ومخالفة الأحكام الإلهية الموضحة في محلّها.

والجواب عن هذه الإشكالية يتّضح من خلال عدّة زوايا:

فمن زاوية نقول: إنّ هذا النظام الأسباب ليس حتمياً بمعنى أنّه ليس بنحو لا يتخلف ولا يتخلّف، وأنّها هو بنحو الاقتضاء، أي بمعنى أن لو جرت مقادير الأمور دون دخول عناصر أخرى لها التأثير في التغيير لكان الأمر مبرماً ويجري النظام كما هو.

ومن زاوية أخرى فإنّ هذا الكون الخاضع لنظام الأسباب والمسببات هو بجملته مخلوق لله تعالى القادر الحكيم وهو الذي سنّ أثر الدعاء في التغيير، كما دلّت عليه الآيات، على ما يأتي، فالذي خلق الأشياء وأوجدها، وسنّ نظام السببية، هو نفسه الذي أمرّ بالدعاء وحثّ عليه وبينّ من خلال جملة وافرة من آيات ذكره وأحاديث أوليائه أنّ الدعاء يمتلك من القدرة الهائلة على تغيير وتبديل حتّى ما أبرم إبراماً، فمن يدع عن أنّ الخالق لنظام الأسباب والمسببات هو الله لا بدّ أن يدع عن أنّه هو بنفسه تعالى خالق لنظام الدعاء وأثاره وأمر به. وبعبارة واضحة: إنّ الدعاء نفسه يُعبّر عن مفردة من مفردات نظام الأسباب والمسببات وليس هو مخالفاً لها أو خارقاً لنظامها.

هذا إذا كان حديثنا عن الأثر التكويني المترتب على الأشياء وتغييرها بالدعاء، أمّا إذا تحدّثنا عن الآثار المترتبة على الذنوب والمعاصي والتي هي بطبيعة الحال متأخرة زماناً عن فعل المعصية، فالذنوب الصادر من العاصي في الدنيا يُعاقب عليه في الآخرة وبعد صدور الذنب يكون هناك مجال واسع لأن يستغفر ويتوب ويدعو الله تعالى أن يمحو الآثار العقابية المترتبة على معصيته، فهو وإن استحقّ العقاب إلّا أنّ منجزّيته متأخرة، والدعاء يُحدث أثره في الزمان



الواقع بينهما، وهذه الصورة أوضح حالاً في كون الدعاء يُؤثّر في رفع الأثر المترتب وإن كان تكوينياً على المعصية من الصورة المتقدّمة.

وطائفة أخرى تقول: إنّ الدعاء لا أثر له، ليس لعدم مقتضي فيه، كلاً، بل الدعاء قادر على التغيير ولكن المؤمن الموحد الذي يؤمن بأنّ كلّ ما يقع عليه من ابتلاءات وامتحانات ومصائب هي لأجل رفع مرتبته وزيادة حظّه في القرب من الله تعالى، فيكون الدعاء بعد هذه المعرفة خدشاً في توحيد الموحد وهبوطاً في مرتبة إيمانه، فالله (عزّ وجلّ) العالم بحال المؤمنين يُغنيهم عن سؤاله ورفع ما وقع عليهم بسببهم أو بسبب غيرهم، فمن كان موحداً عالي الدرجة مؤمناً مكتمل الإيمان لا يدعو.

والجواب عن هذا الإشكال له عدّة مقامات نقتصر منها على واحد، وبيانه: أنّ مرتبة التوحيد وسموها وعلوّ الإيمان ودرجته نابع من أصل العبودية والخضوع فمتى ما تجلّت العبودية بأبرز صورها ارتقى التوحيد وارتفع الإيمان إلى أعلى درجاته، وبعد أن أمر الله تعالى وحثّ وأكد على الدعاء كان لزاماً على المؤمن أن يأخذ به سبيلاً ليرفع مرتبته وإن كان لا يرجو أثره المادي - ولو تنزّلاً -، فالمدار في كون الإيمان يسير في سلّم التكامل للوصول إلى أعلى درجة منه هو العبودية التي يُمثّل الدعاء حجر الزاوية فيها.

هذا وهناك إشكالات أخرى وإن اختلفت حدودها الوسطى ككون الله عالماً بالغيب فإنّه يقتضي عدم الدعاء، وكونه تعالى قادراً يقتضي عدمه أيضاً، وهكذا.

إلّا أنّنا لا نخوض في تفصيلها فضلاً عن ردّها بعد أن بيّنا فيما تقدّم الفصل الأساس الذي يتكئ عليه الرافضون للدعاء وردّه.

وفي قبال هذا الرفض المطلق تأتي مقولة أخرى تتكئ على جملة من النصوص القرآنية في الالتجاء إلى الدعاء وقبوله بشكل مطلق بعيداً عن أيّ



أسباب ومقومات أخرى، ومن بين ما يُعتمد عليه من الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢ و ٣)، فهذه وغيرها من الآيات يُستظهر منها - عند هؤلاء - التوجه إلى الدعاء، والتفرغ للعبادة، وترك السعي في تحصيل الكسب.

وهو قول لا يمكن المصير إليه.

لأننا نعتقد أن هناك نظاماً قائماً على أساس الأسباب والمسببات، وأن هذا النظام التكويني يتأثر بالدعاء بشكل واضح، حاله حال تأثير الأشياء الأخرى في النظم التكوينية، فلا يمكن أن نُلغي هذا النظام ونعتمد على الدعاء فقط. فكما أن للدعاء قسطاً من التأثير في مجريات العالم كذلك لبقية الأسباب أقساطها الوافرة في التأثير، والوسطية هي قوام الأشياء - فهي نظرية أهل البيت (عليهم السلام) في نظام الارتباط مع الذات والصفات والآثار المرتبطة بهما -، فالدعاء له أثره كما أن العمل له أثره، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه العقلاء.

الدعاء لبُّ التوحيد:

التوحيد لله تعالى هو توحيد صفاته العلى وأسمائه الحسنى، وأنه إله واحد لا شريك له ولا شبيه، والموحد هو من أقرَّ بهذه الصفات وآمن بها على بصيرة ومعرفة ويقين وإخلاص، ومن لم يؤمن بذلك فهو ليس بموحد، وبين هذه وتلك رُتب لا يحصيها إلا الله تعالى.

وقد تحدّث جملة من العلماء عن أقسام التوحيد وعن حالات وصفات وشرائط وأسس ينتظم عليها توحيد الموحّدين.



والذي نعتقده أنَّ المنظومة الدينية بأصولها وفروعها وآدابها وسننها هي دائرة بين دفتي التوحيد، فكلُّ فعل أمر به الشارع المقدَّس يُمثِّل حلقة من حلقات التوحيد ومراقبة من مراقٍ سلَّمه إذا آمن بها وأدّاها المكلف، وفي نفس الوقت فإنَّ كلَّ نهيٍ يُرتكب أو عمل يُؤتى به ممَّا نهى الشارع عنه ولم يُجَبِّد التلبُّس به فإنَّه يوجب نزول الفرد المكلف وخسرانه درجة من درجات التوحيد.

ومما تحدّث عنه الروايات الشريفة أنَّ النبيَّ الأكرم ﷺ بُعثَ إلى الأنبياء عليهم السلام وهم في عالم الأرواح، ودعاهم هناك إلى توحيد الله وطاعته وأتباع أمره^(٢). فالطاعة قبل علاننا تمثِّل أمانة التوحيد وعلامته، فمن يرد أن يرقى في سلَّم كمال التوحيد عليه أن يسير في سلَّم العبودية، وأن يذوب بعد المعرفة في عالم الطاعة. ويُمثِّل الإمام المهدي عليه السلام منتهى حلقات التوحيد، وعلى يديه تظهر للناس عياناً مراتب ما خفي عليهم من توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣).

ففي صحيح محمد بن مسلم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣)، فقال: «لم يَجِئ تأويل هذه الآية بعد، إنَّ رسول الله رخص لهم بحاجته وحاجة أصحابه، فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم لكنَّهم يقتلون حتَّى يوحد الله (عزَّ وجلَّ)، وحتَّى لا يكون شرك».

هذا النصُّ الشريف يُبرز لنا أنَّ كمال التوحيد وتمامه وظهوره للعيان سيكون على يد الإمام المهدي عليه السلام.

فالتوحيد الذي ينشده الكلُّ، والذي يعتمد على مؤشّرات عبادية وقُربية يُستكشف من خلالها - أي المقدمات - مقامات الموحّدين، إذ يُمثِّل الدعاء في هذه المنظومة التوحيدية اللبَّ.

إذ إنَّ الدعاء يمثِّل إشعار النفس الإنسانية بالافتقار، وضرورة اللجوء



والالتجاء إلى الوجود الغني المفيض، وهذه الحقيقة عينها حقيقة التوحيد^(٣)، فيمكن أن نقول: إن حقيقة الدعاء هو التوحيد بعينه، لأنَّ الدعاء^(٤) يُعبر عن حالة الانكسار والتذلل واللجوء والعبودية إلى ذلك الوجود الكريم المفيض الغني القادر، وإذا دققنا النظر في الآية الكريمة الآتية الذكر نلاحظ أنَّها تلمح إلى هذا المعنى، إذ تُعبر أنَّ الله لا يعبد بالعباد ما لم يكن صاحب دعاء، بينما الآيات القرآنية الكريمة الأخرى تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ (النساء: ٤٨)، فبملاحظة الآيتين وإرخاء العنان لبصر القلب ليجول في الأحاديث الشريفة^(٥) يجد المرء هذه الحقيقة وهي أنَّ الدعاء لبُّ التوحيد ماثلة أمام عينيه.

جاء في (أصول الكافي / كتاب الدعاء) عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «أفضل العبادة الدعاء»^(٦)، وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام: «الدُّعاء عمود الدين»^(٧). وفي (الوسائل) عن النبي ﷺ: «الدُّعاء مخُّ العبادة»^(٨).

فهذه الأحاديث الشريفة خصوصاً الأخير منها تُعبر عن هذه الحالة التي ذكرناها، فعمود الدين وأفضل العبادة، بل مخُّها هو الدعاء، ونحن نعلم أنَّ المخَّ هو لبُّ العقل - ليس المراد به المادي، بل ذاك الذي تُعبر عنه بعض الروايات بروح العقل وجوهره، فالدعاء على هذا المعنى يُمثل جوهر العبادة التي هي عمود الدين -.

فعلى هذا تكون حقيقة الدعاء في الشريعة هي روح العبادة، وهو مخُّها، والعبادة بلا مخَّ كإنسان من غير عقل.

فأرقى حالات الإنسان وهي العبودية التي تجلُّ بها رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الحديد:

٩)، لا تكون إلَّا بذلك المخَّ، ولا تقف إلَّا على هذا العمود، وهو الدعاء.

فحقيقة الدعاء بكلمة واحدة أنَّه روح التوحيد، وحقيقة الإيمان، وقلب الإسلام.



فهل يمكن للإنسان أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى دون هذه الحقيقة ودون الاعتماد عليها؟

وسائل الشريعة في التقرب إلى الله تعالى:

أوجدت الشريعة المقدسة جملة من الوسائل ليتقرب الإنسان من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى، والمدار في كل هذه الوسائل القرب منه سبحانه. وقد تشكّلت المنظومة الدينية على أساس مجموعة من العبادات والقوانين التي تُنظّم الحياة بما يمكن للإنسان الوصول بها والتقرب إلى ساحة القدس الإلهي، وبمنظرة مجملة على المنظومة الدينية نجد أنّ هناك أصول الدين التي يجب الاعتقاد بها، وهي تقرب إلى الله سبحانه وتعالى، إذ بها يثبت وجود الله تعالى وصفاته وحسن أفعاله. وبدون إثبات وجوده تعالى كيف يمكن التقرب إليه؟!

ولنأخذ على كيفية تكوينها للتوحيد في ذات الفرد وتنميتها له نماذج عدّة:

الصلاة وتنمية التوحيد:

إذا نظرنا إلى الصلاة كطقس عبادي وما أولت الشريعة المقدسة لها من أهمية، إذ جعلتها عمود الدين^(٩)، وهذا الجعل التشريعي ذو الآثار التكوينية يكتنز في حقيقته جذوراً توحيدية تؤهّل الفرد للرقى في سلّم التوحيد بشكل تكاملي أسرع ممّا في غيرها، إذ تبدأ الصلاة بأن يؤهّل الإنسان نفسه للقاء الله، وتصوّر معي شخصاً يذهب للقاء ذات تملك جميع مقدّراته، وقادرة على تغيير جميع شؤونه، فلو نظر إليها هكذا فكيف سيكون استعداد الفرد لها؟!

ولم تترك الشريعة المقدسة مكلفيها باختيار الطريقة التي تُنظّم هذا اللقاء القدسي، والذي يمتلك القدرة على أن يعرّج بأرواح المصلّين - إذا كانت صلاتهم ضمن ما أوصت به الشريعة المقدسة ظاهراً وباطناً - إلى الملكوت الأعلى ومحلّ القدس.

فبدأت الشريعة المقدسة من مقدّمات هذا اللقاء والاستعداد له، فبعد أن



طوى المؤمن مراحل المعرفة النظرية والعملية من خلال العقيدة الحقّة التي توصّل إليها عن جهد ونظر وفكر، جاءت مرحلة التطبيق وبدأت هنا المقدّمات لأولى مراحل الممارسة العملية في درب التوحيد.

إذ إنّ أوّل خطوةٍ يسير فيها العاشق لهذا اللقاء التوحيدي الفريد، والذي يمتلك قدرة إزالة جميع الأدران العالقة^(١٠) هي أن يتّجه صوب الطهارة الظاهرية لينسلّ منها إلى الطهارة الباطنية، فيذهب إلى الوضوء ويلتمس الماء الذي وصفه القرآن بأنّه مطهّر الأشياء^(١١)، فيغترف من ماء يمتلك القدرة على إزالة الذنوب ومحوها إن كان قرين هذا الماء النازل - على وجهه ويديه والممسوح ببقية رأسه وقدميه - الإخلاص والعبودية.

وما أن يتمّ السائر في طريق لقاء العشق والتوحيد وضوءه هذا حتّى تحيط به هالة النور^(١٢) يحجبه عن كلّ ظلمة، ليرقى به في سلّم الذوبان والعبودية، ليصعد مدارج التوحيد.

فيبدأ بمدارج الصلاة من التوجّه بعد أن نزّه مكانه وملبسه عن كلّ ما يمنعه ويؤثّر في عروجه، فيطهّر المكان والثوب والبدن، ثمّ يتوجّه صوب قبلة التوحيد ووجهة العشق، ليرفع يديه مؤذّناً، ويخاطب غيره: أنّي سأتوجّه في سفر التوحيد مبتدئاً هذا السفر بجملّة (الله أكبر) التي تمثّل مفتاح^(١٣) باب العروج، ليطوي بعد هذه المراقبة مراق هذا السلّم من خلال تلك الأذكار التي يترنّم بها، وكأنّها لغة خاصّة في هذا العالم لا يسمعها إلّا من قصد أن يوحد بها معبوده، تلك اللغة التي قضى الله تعالى أن يجعلها خاصّة بهذا الطريق، ليُجسّد بعد هذا الخطاب لونا من الخضوع وأيّ خضوع غاية التذلّل الذي فيه تنتهي الرفعة من خلال الركوع والسجود، ليشهد بعدها أنّه يتشرّف بأن يحمل وسام العبودية، وما أن ينتهي من عروجه هذا حتّى يُسلّم على جميع من سار في هذا الدرب من أولياء وصلحاء وملائكة وأنبياء.



إنَّها حقيقة توحيدية قادرة على أن تُنمِّي ذات الفرد، بل والمجتمع، وتُخصِّصهم في منزلقات الطرق المتعرِّجة، لأنَّها إن تَمَّت على أصولها وضبطها السائرون على نهجها كان أقلُّ مراتبها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، والفحشاء والمنكر لغة من لغات التكبر والتغطرس وعبادة الذات وتفردّها وفرعتها الذي يقف بالضدّ من طريق التوحيد ويُضعفه.

وهناك المنظومة العملية كالتجارة والمعاملات وبناء الأسرة وبناء المجتمع، فالتجارة مثلاً حركة تنمية للبناء الاقتصادي والتوسّع المالي، ولها شروطها وضوابطها العقلانية، فعندما يأتي الشارع بمقتضى سلطنته ويفرض لتقنينها شروطاً تنظيمية وأخلاقية، ويلزم العباد بهذه المنظومة المعاملاتية على مختلف الأصعدة وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، فإنَّ التوجّه التوحيدي من هؤلاء الأفراد والذي يُشكّل نموذجاً حياً ومتجسّداً يمكن لنا أن نُطلق عليه بالتوحيد المعاملاتي، إذ أنَّ التاجر وصاحب المصنع، بل حتّى العامل بمقتضى التزامه بهذه الضوابط وآليات العمل وفق المنظومة الدينية فإنَّه يتحدّث بلغة خاصّة - لغة توحيدية - مفادها: إنّي أترك التشريعات غير السماوية، وأترك كلّ تشريع لا يرتبط بالإله الواحد، وأتوجّه إلى قوانين ونُظم مشرّعة من قِبَل إله واحد عالم وقادر وحكيم ومدبّر. فإنَّ هذه اللغة التي يتحدّث بها هذا العبد هي لغة التوحيد في التشريع في جانبه المعاملاتي، وهذا توحيد حسّاس ومهمّ، وينبغي أن نلاحظ صعوبة الالتفات إليه، وفي نفس الوقت أن لا نُهمَل رعايته وتنميته، فكما أنَّنا نداري ونتعب ونُطوّر ونُنمّي توحيدنا في الأسماء والصفات وفي العبادة والتوجّه، فلا بدّ أن نُنمّي توحيدنا المعاملاتي، إذ أنَّه لا يختلف عن أخواته وإخوانه من أصناف التوحيد من حيث الأثر الروحي وما يُرتّب به من ثواب على هذا الاعتقاد.

وهنا يأتي التساؤل الجوهرى، ما هي أكثر الوسائل تقريباً إلى الله سبحانه

وتعالى؟



إذا رجعنا إلى القرآن وجدنا الله تعالى يقول فيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ف نجد أنَّ تحصيل القرب من الله سبحانه يحصل بالدعاء، ويُؤكِّد ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: «عليكم بالدُّعاء فإنَّكم لا تقربون بمثله»^(١٤).

فالآية والرواية تدلّان على حقيقة كون الدعاء هو الطريق الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا جعلنا المنظومة الدينية هو البدن فإنَّ روح ذلك البدن هو الدعاء، ولا حياة للبدن بلا روح، وإذا جعلنا المنظومة الدينية هي روح الإنسان فإنَّ منخ ذلك الروح ولبَّه هو الدعاء، ولا روح بلا منخ.

إلى هنا توصلنا إلى حقيقة الدعاء وأهميته في المنظومة الإسلامية بشكل مجمل، وفي الحقيقة هذه مقدّمة للدخول في الموضوع.

كيف يقوم الدعاء بعملية التنمية للفرد والمجتمع؟

إنَّ لكل ظاهرة من ظواهر الوجود مجموعة من القوانين تحكمها، وظاهرة الدعاء من بين هذه الظواهر، وقد مرَّ بنا أنَّ الدعاء لبُّ العبادة ومنخ الدين، ولكي يأخذ الدعاء بأيدينا ليوصلنا إلى الله سبحانه وتعالى لا بدَّ أن تكون هناك مجموعة من القواعد تضبط هذه الحقيقة وتجعلها مؤثّرة وفاعلة.

وإذا رجعنا إلى الروايات الشريفة وجدنا أنَّها تُعطي للدعاء خصائص لا تُعطيها لغيره من وسائل القرب الإلهي، فتصفه بعض الروايات^(١٥) بأنَّه مفاتيح النجاة، وأنَّه نور السماوات والأرضين، وأنَّه سلاح الأنبياء. وهذه الأوصاف وغيرها من الأوصاف الروائية إنَّما تريد أن تُعبّر عن حالة يتمتّع بها الدعاء وعن خصوصية يمتاز بها، وهي أنَّ له قدرة وفاعلية، على حدّ تعبير بعض الروايات إنَّه يرد القضاء^(١٦) المبرم، فهذه المعاني الروائية تريد أن تفتح لنا ولأبصارنا نافذة نطلُّ من خلالها على تلك الحقيقة النورانية التي يمتلكها الإنسان، والتي لها القدرة على تغيير كل شيء والتأثير في كل شيء إلى حدّ



أَنَّهَا تُغَيِّرُ مَا قُدِّرَ وَأُبْرَمَ، وهذه الخصوصيات لا يمكن أن تكون إلا من إنسان عارف بها أولاً ملتفت إلى تأثيرها ثانياً، يحمل أهدافاً تجعل منه إنساناً كالأنبياء في نظرته إلى تحقيق الأهداف، لأنَّ الأنبياء كانوا يملكون^(١٧) هذا السلاح الذي له القدرة على التغيير والتأثير إلا أنَّهم لم يُفَعِّلُوهُ إِلَّا لصالح المجتمع، وصالح ما يأخذ بالمجتمع إلى القرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يعني أنَّه لا بدَّ من الإخلاص^(١٨) بالدعاء، وأنَّ القلب الساهي والمشغول لا يُقْبَلُ منه الدعاء^(١٩). فعملية تنمية الدعاء للفرد والمجتمع أسماها وأجلَّها لا تكون إلا من العارف الملتفت، صاحب الأفق الواسع.

وهنا يأتي تساؤل: هل يمكن أن نضيف عنصراً ذا تأثير أكبر في فاعلية الدُّعاء وقدرته على تنمية الفرد والمجتمع أو لا؟

نرجع إلى القرآن ونستفتيه في ذلك، فإنَّنا نجده يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥)، فنجد أنه ينهانا في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣)، عن جعل دعائنا كدعائه إذ هذه الآية تُعْطِي معنى عاماً بأنَّ النبي ﷺ لا يساوى مع غيره في كل شيء بما فيه الدعاء^(٢٠)، وحيث إنَّ حديث الثقلين^(٢١) فضلاً عن كثير من الروايات تجعل ذلك في الأئمة عليهم السلام^(٢٢) وفي الإمام المهدي عليه السلام^(٢٣) خصوصاً، فهو إمام الزمان.

وهذا يقتضي بطبعه وجود خصوصية زائدة مميّزة له عليه السلام فضلاً عن آبائه عليهم السلام في كلِّ شيء، ومن تلك الأشياء التي لهم فيها خصوصية هو خصوصية دعائهم وتميّزه عن دعائنا، وهذا ما نصّت عليه الآية المتقدّمة بتحذير المؤمنين من أن يجعلوا دعاء الرسول ﷺ - أي دعاء إمامهم - كدعاء بعضهم لبعض، فالآية تُحذِّرُ المؤمنين من مغبّة الوقوع في محذور مساواة دعائهم لدعاء إمامهم.



فلا بدَّ أن نلتفت إليها ونجعلها من ضمن محاسبات تنمية الدعاء للذات والمجتمع حيث إنَّها تعني الخصوصية^(٢٤) في المعصوم، وأنَّ لديه حالة الارتباط المباشر^(٢٥) مع الله سبحانه وتعالى ومن دون وسائط، ويكون كلامه مع الله تعالى من خلال الدعاء مستجاباً بلا إشكال.

نماذج توحيدية في الدعاء المهدوي:

وينبغي أن يلتفت قبل الخوض في غمار هذا البحث أنَّ للدعاء المهدوي نماذج ثلاثة تجدها ماثورة في طيّات البحث وهي:

- ١ - الدعاء من الإمام عليه السلام للناس أو عليهم.
- ٢ - الدعاء من المؤمنين للإمام عليه السلام.
- ٣ - الدعاء من المؤمنين لحوائجهم بالإمام عليه السلام، سواءً كان ذلك بأدعية واردة عنه أو غيرها.

يُمثِّل الدعاء المهدوي نموذجاً من أرقى النماذج الارتباطية التي تُهيئ الأرضية الخصبة للبناء التوحيدي لدى الأفراد والمجتمعات، فالمطالعات للمخزون الدعائي المرتبط بالإمام المهدي عليه السلام يوقف القارئ على كنوز وجدانية توحيدية مختزنة فيه قلَّ نظيرها في مكان من رُفد وجداني آخر.

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام يُشكِّل للداعي من خلال منظومة الدعاء المهدوي في بعدها التوحيدي عنصراً إلهياً تجسَّدت فيه إرادة السماء في بناء الكون توحيدياً، فهو عصارة تجارب الأنبياء التوحيدية وورث علمهم اللدني. فالارتباط به على هذا النحو يُوفِّر للأفراد، بل والمجتمعات حالة التنامي الدائم والتصاعد الروحي واكتشاف الذوات.

فالداعي للإمام المهدي عليه السلام يُخاطب الشخص الأوَّل في الوجود، صاحب القدرة المطلقة والخلُق السامي، لكي يُهيئ له فُرص ممارسة دوره في بناء نفسه وتجليه روحه للوقوف على جادة طريق التوحيد.

ومن جهة الإمام فهو الشخص الوحيد المخوَّل من قِبَل الله تعالى، والذي



يملك الصلاحيات التامة في إعانة الأشخاص على تحطّي الصعاب في هذا المضمار.
فالقضية متحققة من جميع اتجاهاتها.

ولم يبق فيها إلا أن نتوجّه بالدعاء بأرضية الإخلاص لنيل المطلوب.

وفيما يلي نماذج من النصوص الشريفة التي تحدّثت عن أثر الإمام المهدي عليه السلام في التنمية التوحيدية، وكيف يكون الدعاء له أو مقروناً به موجباً للأثار العظيمة.

النموذج الأول: الآثار التكوينية للإيمان المهدي:

النصوص التي تتحدّث عن الآثار التكوينية والكبيرة لمن يؤمن بالإمام المهدي عليه السلام، وأن هذا الإيمان من هؤلاء الأفراد بإمامهم الغائب له حالة لا يراها الناس، بل قد لا يؤمنون بها ولا يصدّقونها، إذا لم يستهزؤوا بها ويصفوا من يؤمن بها بالخرافي أو الرجعي الباطني.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري (جلّ جلاله) فيقول: عبادي - عبيدي - وإمائي آمتم بسري وصدّقتم بغيتي فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقاً منكم أتقبل وعنكم أعفوا ولكم أغفر وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي...» (٢٦).

ويستفاد من الحديث عدّة أمور:

الأول: تقسيم العباد على قسمين: الأوّل صاحب كمالات وملكات ومؤهلات عالية جداً تكون سبباً في بقاء القسم الثاني وغفران ذنبه وديمومة الحياة له، ولولا القسم الأوّل لما كان للقسم الثاني كرامة في الحياة وفوز في المعاد.

الثاني: أنّ القسم الأوّل من العباد - الحقيقيين الموحدّين العارفين حق المعرفة - ملاكهم في تحصيل هذه المرتبة من القرب الإلهي وامتلاك المؤهلات العليا هو الثبات على إمامة الإمام المهدي عليه السلام في زمان غيبته.

وهذا العنصر - الإيمان بالإمام المهدي في زمان غيبته - حسب هذا النصّ



له قدرات تكوينية خفية لا يعرفها فضلاً عن أن يراها إلا من تأهل لمراتب إيمانية عالية.

الثالث: أن أدنى مرتبة يملكها المؤمنون بغيبة الإمام المهدي عليه السلام هي:

١ - أن الله تعالى يكلمهم - يناديهم الباري -، فلهم بهذا الإيمان صفة الحديث من قبل الله تعالى.

٢ - أن الله تعالى يشرهم بحسن الثواب منه، وهذا بعد أخروي.

٣ - أنهم عباد الله تعالى الحقيقيون سواء من كان منهم ذكراً أم أنثى.

٤ - أن أعمالهم وأفعالهم ودعائهم وكل ما يصدر منهم فهو مقبول عند الله تعالى.

٥ - أن عفو الله تعالى وغفرانه ثابت لهم.

٦ - أن الأرزاق - نزول الغيث - للعباد الآخرين إنما يكون بسببهم.

٧ - أنهم يشكّلون المانع من نزول العذاب على المؤمنين والعباد الآخرين.

٨ - أن البلاء يندفع بهؤلاء المؤمنين الحقيقيين عنهم وعن غيرهم.

هذه هي أدنى مرتبة وآثارها التي يملكها المؤمنون بغيبة الإمام عليه السلام، والتي هي أقل ما لهؤلاء، إنما جاءت بسبب إيمانهم بالغيبة، فكيف هي الآثار في المراتب المتوسطة أو العليا؟

وما هي يا ترى الآثار التي لمرتبة الإمام عليه السلام؟ وكيف سيكون دعاءه للمؤمنين به وآثار تنميته لتوحيد المؤمنين؟

هذا إن قصرنا نظرنا بمقتضى النص المتقدم على الآثار التكوينية المترتبة على الدعاء، ولاحظنا كيف أن أدنى مراتبه هي في نظرنا القاصر عالية جداً، وإذا لاحظنا نصوصاً أخرى كدعاء الافتتاح الذي كان يدعو به السفير الثاني عليه السلام والذي جاء فيه بعد حمد الله وذكر الأئمة عليهم السلام وآثارهم الاعتقادية على الدعاء واستجابته ذكر القائم عليه السلام في عدة مقاطع منها: «اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعِزِّ بِهِ، وَأَنْصُرْهُ



وَأَنْتَصِرَ بِهِ...، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ...، اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهْ شَعْنَنَا، وَأَشْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا، وَارْتُقْ بِهِ فَتَقْنَا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنَا، وَأَعِزِّزْ بِهِ ذِلَّتَنَا، وَاغْنِ بِهِ عَائِلَنَا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنَا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنَا، وَسُدِّ بِهِ خَلَّتَنَا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا، وَيَبِّضْ بِهِ وُجُوهَنَا، وَفُكِّ بِهِ أَسْرَنَا، وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنَا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنَا، وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنا، وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، أَشْفِ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَأَنْصُرْنَا بِهِ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوَّنَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ».

فهذه النصوص القدسية يُعبرُ كلُّ فقرة من فقراتها عن دعاء مهدي يُنمي الذات التوحيدية من خلال عقيدة الارتباط المهدي، وأنَّ لولاها لما أمكن تحصيل هذه القضايا والطلبات والمنايا.

وبهذه المقاطع تستجلى أكثر عقيدة التنمية التوحيدية للإمام عليه السلام.

النموذج الثاني: المعرفة للإمام موجبة لدعاء غير محجوب:

ذكرت جملة من الأحاديث أنَّ المعرفة والإيمان لا يكونان في فرد ما لم يؤمن بالإمام عليه السلام، وأنَّ ادِّعاء الإيمان لا يصحُّ من شخص ما لم يكن هذا الادِّعاء مقروناً منه بالاعتقاد والإيمان به عليه السلام على حدِّ تعبير الآية: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

فتكون معرفة الإمام والإيمان به هي الأرضية الأولى التي ينطلق منها الفرد لتنمية إيمانه، إذ بدونها لا إيمان أصلاً - لا يوجد مقتضى لكي يُبحث عن وجود مانع من عدمه -.

ومن بين تلك النصوص:

عن ابن أذينة، عن أحدهما عليه السلام أنَّه قال: «لا يكون العبد مؤمناً حتَّى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه، ويردُّ إليه ويُسلم له...» (٢٧).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنَّما يعرف الله ويعبده من عرف الله وعرف إمامه



منا أهل البيت، ومن لا يعرف الله (عز وجل) ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالاً» (٢٨).

فالإيمان بمقتضى هذه النصوص الشريفة مرهون بالإمام المهدي عليه السلام، لأن الإمام هو السالك بالعباد في طرق الدنيا، بل عن طرق الأرض فضلاً عن طرق السماء، فمن يرد أن يثبت إيمانه ويعظم وينمي لا بد له من قائد يقود إيمانه للرقى والتنمية، ولا بد أن يكون هذا القائد عارفاً بتلك الطرق ومنعرجاتها، وأن تكون معرفته تلك لدئية، ليأمن السالكون خلفه الوقوع في منزلقات الطريق، وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى هذا بحديثه إلى أبي حمزة قائلاً له: «يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض، فاطلب لنفسك دليلاً» (٢٩).

والدعاء لتنمية الإيمان سفر في طرق السماء، فلا بد أن نطلب له دليلاً.

فمن هو الدليل؟

دعاء الإمام عليه السلام هو الدليل:

يجيب الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «الإمام الدليل على المسالك، من فارقه هالك... الإمام أمين الله في أرضه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله» (٣٠).

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يروي فيه خطبة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء فيها: «والنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم...» (٣١).

فإن دعاء الأئمة عليهم السلام للمؤمنين يكفيهم ويحيط بهم من جوانبهم ويحفظهم، بل إن الإمام عليه السلام يصرح بذلك في توقيعه المروي في (الاحتجاج) (٣٢): «لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يُجَبَّ عن ملك الأرض والسماء، فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب...».

فالإمام من خلال هذا النص الشريف ضمن الدعاء لأوليائه الذين تحدثت



النصوص عنهم في الأمر الأوّل، وأنّ هذا الدعاء منه ﷺ موجب لأطمئنان نفوسهم - إن كانوا أولياء حقّاً -، وهذا الدعاء سمته أنّه لا يُحتَجَب عن ملك الأرض والسماء.

فمّا لا شكّ فيه أنّ الدعاء الصادر من الإمام ﷺ يكون موجباً لتنمية إيمان الأفراد والمجتمعات.

ولم يكتفِ الأئمّة ﷺ بهذه المرتبة لتقوية إيمان المؤمنين بهم بتعقّب دعائهم وتنمية إيمانهم، بل تجاوز الأمر إلى متابعة شؤونهم الشخصية والشعور بما ينالهم من همٍّ وحزن، فقد ورد أنّ أمير المؤمنين ﷺ خاطب أحد أصحابه قائلاً له: «يا رمية، ليس من مؤمن يمرض إلّا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلّا حزناً بحزنه، ولا يدعو إلّا أمناً لدعائه، ولا يسكت إلّا دعونا له...»، ثمّ قال له: «يا رمية، ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها» (٣٣).

والنصّ واضح الدلالة في أنّ الإمام ﷺ يسعى إلى تقوية دعاء الداعي، فإن لم يكن في البين دعاء تصدّى هو بنفسه للدعاء عنه. نعم لا بدّ أن يكون المؤمن بتلك المرتبة التي تؤهّله لذلك، إذ المقتضي لا بدّ أن يكون منه.

هذا وقد سجّلت بعض الروايات الشريفة للإمام المهدي ﷺ كما لآبائه ﷺ أثراً وجودياً يرتبط بالدعاء حاصله: أنّ محض وجوده المبارك هو دافع للبلاء عن شيعته وأهله كما في النصّ الوارد عن طريق أبي نصر، قال: دخلت على صاحب الزمان ﷺ فقال: «... أنا خاتم الأوصياء، وبني يدفع الله (عزّ وجلّ) البلاء عن أهلي وشيعتي».

فمن مجموع النصوص المتقدّمة يمكن أن يُستفاد التالي:

- ١ - أنّ الإيمان مقرون بالإمام ﷺ.
- ٢ - أنّ تنمية الإيمان لا يكون إلّا من خلال دلالة الإمام ﷺ.
- ٣ - أنّ الإمام ﷺ يباشر هذه المهمّة من خلال عدّة تدابير، ويقوم بخطوات متعدّدة في سبيل تكميل إيمان الأفراد المؤمنين به، ومن بين تلك الخطوات التي



يقوم بها عليه السلام الدعاء، حيث نصّت بعض الأخبار المتقدمة أنّ التأمين على دعاء المؤمنين حالة ثابتة من الإمام عليه السلام لمن كان منهم في مشرق الأرض أو غربها، فإن لم يكن منهم دعاء تبرّع الإمام عليه السلام بالدعاء لهم.

٤ - أنّ دعاء الإمام عليه السلام يتمتّع بخصوصية أنّه لا يُجَبّ عن الله تعالى. وإنّ أقلّ مراتب وجوده المبارك في هذا الزمان هو دفع البلاء، لكي تنهياً الأرضية وترتفع الموانع عن المؤمنين لاستكمال إيمانهم وتنمية ذواتهم.

وأثناء التتبّع في النصوص الشريفة التي تدور رحاها حول هذا الموضوع وجدت رواية شريفة لها مفاد عالٍ جداً ومضمون راقٍ يتحدث عن حقيقة المؤمن ومكانته لدى إمامه حيث كتب السيّد ابن طاووس في كتاب الحجّة في وصيّته لولده في ما يحفظ فيه للإمام عليه السلام من حقٍّ وأن يعرض حوائجه عليه جاء فيه: (ومّا أقول لك يا ولدي محمّد ملأ الله (جلّ جلاله) عقلك وقلبك من التصديق لأهل الصدق والتوفيق في معرفة الحقّ: إنّ طريق تعريف الله (جلّ جلاله) لك بجواب مولانا (المهدي) صلوات الله وسلامه على قدرته (جلّ جلاله) ورحمته، فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب (الوسائل) عمّن سمّاه، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أنّ الرجل يجب أن يُفْضِي إلى إمامه ما يجب أن يُفْضِي به إلى ربّه؟ قال: فكتب: «**إن كانت لك حاجة فحرّك شفّيتك فإنّ الجواب يأتيك...**»^(٣٤).

ولا يهّمنا التعرّض لسند الحديث باعتبار أنّه حسب الظاهر موافق للمبادئ العامّة التي عليها النصوص العقائدية. والملاحظ فيه أنّ الحديث عن السرعة في الإجابة بمجرد تحريك الشفتين.

ثمّ إنّ حديثنا في إطار النماذج المتقدمة كان حديثاً عاماً وليس لخصوص فرد بعينه، وعن أثار الدعاء في تنمية التوحيد وكيف يؤثّر ذلك في عملية توحيده، وهذه قضية استجلب خيرها الكثير ممّن عمل بها، وينبغي أن تخرج



عن إطارها الفكري التنظيري لتلبس ثوباً تجريبياً، إذ أنَّ الكثير من القضايا الاعتقادية وآثارها على الفكر والسلوك يدخل في إطار التجربة بمعنى أنَّ هناك مقولات تصل إلينا عن آثار قضايا غير مرئية لنا، ونحن نؤمن تبعاً للعقيدة الإيمانية بالله تعالى والأئمة عليهم السلام، ولكي نُخرج هذه العقيدة من حالة المعرفة النظرية إلى حالة الممارسة العملية يمكن لأيِّ فردٍ منا أن يأخذ نموذجاً من هذه النماذج ويداوم عليه فترة من الزمن بقصد استجلاب آثاره التكوينية، إذ أنَّ الكثير من الروايات تحدّثت عن أنَّ هناك آثاراً للتوحيد على نفسية المؤمن، وأنَّ هناك آثاراً للصلاة والصوم مثلاً على نفسية المؤمن وسلوكه، بل إنَّ جملة من الدراسات أكّدت ما قرّره الشارع المقدّس على لسان الوحي قبل مئات من السنين بأنَّ النفسية الكلّية والرعاية الأبوية للنبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام في أمّته تُؤثّر أثرها وإن لم تتمكّن من الشعور بذلك الأثر كما في حديث المعراج عن أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لو فعل فعلاً معيّنة لتأثرت الأمة بتلك الفعل ^(٣٥)، وهذا النموذج التجريبي - الذي يُجسّد التنظير الفكري العقدي لأُمّهات العقائد الإسلامية ومنها الدعاء خصوصاً المختصّ منه بالإمام المهدي عليه السلام وأثره في تنمية التوحيد - يمكن أن يُعدّ منهجاً تربوياً يختلف عن كثير من المناهج التي يُراد لها أن تكون ميزاناً للتربية وانعكاساً لأخلاق أفراد الأمة.

والآن نتحدّث عن نماذج أثر الدعاء في تنميتها وثبات أصحابها على الاستقامة والتوحيد فضلاً عن تحصيل آثار دنيوية أخرى:

الأوّل: أحمد بن إبراهيم يُكنّى أبا حامد المراغي، وهو من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وقد خرج فيه من صاحب الأمر عليه السلام توقيع على يد محمد بن أحمد بن جعفر القميّ العطار: «وقفت على ما وصفت به أبا حامد أعزّه الله بطاعته، وفهمت ما هو عليه تمّ الله ذلك له بأحسنه، ولا أخلاه من تفضّله عليه، وكان الله وليّه أكثر السلام وأخصّه...» ^(٣٦).



والتوقيع واضح في الدعاء بأحسن ما يمكن أن يتفضل الله على عبده المؤمن، وأن يتولاه، وأن لا يخليه مما تفضل به عليه.

الثاني: توقيعه عليه في الدعاء لعثمان بن سعيد العمري عليه السلام عند تعزيتة لولده محمد حيث جاء فيها: «نصر الله وجهه وأقاله عشرته»^(٣٧). وكذا ما ورد في الابن من قوله عليه السلام: «أرشدك الله وثبتك»^(٣٨).

ومما ورد كذلك في دعاءه عليه السلام للحسين بن روح عليه السلام السفير الثالث في توقيع لمن سأل عن حاله عليه السلام حيث جاء فيه: «زاد الله في إحسانه إليه...»^(٣٩).

الثالث: وهو ما خرج للقاسم بن العلاء حيث نُعت فيه إليه نفسه وكان ابنه يرتكب المعاصي، فورد الدعاء له: «ألهمك الله طاعته وجنب معصيته... قد جعلنا أباك إماماً لك وفعاله لك مثلاً»^(٤٠).

وأثر الدعاء في استقامة الابن واضح.

الرابع: ما ورد لإسحاق بن يعقوب عليه السلام والحميري عليه السلام في جملة توقيعات حيث ورد للأول: «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك...»^(٤١).

وأما محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عليه السلام فقد سأل الإمام عليه السلام الدعاء له ولإخوانه فخرج التوقيع: «جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة»^(٤٢).

وفي توقيع آخر للحميري عليه السلام أيضاً سأل الدعاء فخرج الجواب منه عليه السلام: «جاد الله عليه بما هو جلّ وعلا أهله، إيجابنا لحقه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقربه مما بما علمناه من جميل نيته ووقفنا عليه من مخالطته المقربة له من الله التي ترضي الله عز وجلّ ورسوله وأوليائه... وأن يصلح له من أمر دينه ودنياه ما يحب صلاحه إنه وليّ قدير»^(٤٣).

النموذج الثالث: الدعاء بتعجيل الفرج:

فقد ذُكر في النصوص الشريفة أنه عليه السلام خاطب أتباعه ومريديه بالإكثار من دعاء الفرج له، فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن جعفر بن محمد



بن قولويه وأبي غالب الرازي وغيرهم، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري عليه السلام أن يوصل إليّ كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الدار عليه السلام: «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فأعلم أنّه ليس بين الله (عزّ وجلّ) قرابة، ومن أنكرني فليس منّي...، وإنّي لأمان أهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فأغلق السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كفيتهم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرّج فإنّ ذلك فرجكم»^(٤٤).

فإنّ الغوص في أعماق هذا الدعاء يُري أنّ فيه نموذجاً توحيدياً وانتماءً عقائدياً كبيراً حيث إنّ ثمرات هذا الدعاء والتوجّه إلى الإمام عليه السلام من خلال الدعاء له والطلب من الله سبحانه وتعالى بتعجيل فرجه فإنّ الدعاء بهذا المعنى يوجب حصول التنمية والزيادة كلّما حصل الإكثار. فالأمر به في النصّ الشريف له أثره الكبير في القرب من الإمام من جهة، والتلبّس بصفة الإكثار بالدعاء من جهة أخرى، والتي حتّ عليه نصوص شريفة^(٤٥)، كما أنّه - هذا الإكثار - موجب لقرب الفرّج لنفس الداعي، إذ بظهور الإمام عليه السلام سيحصل الفرّج للجميع دون استثناء.

ولا بدّ للوقوف حول هذه المفردة التوحيدية في الدعاء من أن نتحدّث عن الفرّج الفكري، وكيف أنّ الظهور الشريف للمولى صاحب العصر والزمان عليه السلام يُشكّل للمؤمنين به فرجاً على صعيدهم الفكري، كما أنّه وفي نفس الوقت يُشكّل فرجاً لهم على صعيد الاعتقاد والعبادة والاجتماع والاقتصاد وغيرها من المناحي، كما أنّه ينبغي أن لا يُغفل حصول الفرّج النفسي والأخلاقي والتربوي، بل وغيرها ممّا يخفى علينا ولا نعلمه وسيظهره عليه السلام إذا ما أكثرنا من الدعاء له، وكان دعاؤنا موجّهاً للتفريج عنه. وهذا نموذج توحيدي راقٍ.



خاتمة: الدعاء من الإمام عليه السلام على الأشخاص وأثره في الخسران:

تقدّمت أهمية الدعاء ودوره في بناء المنظومة التوحيدية، وأنّ الدعاء المهدوي إذا ما تحقّق من أيّ فردٍ من أفراد الأُمّة فإنّه سيكون مورداً لاستجلاب التنمية التوحيدية وأثرها في بناء الشخصية المؤمنة، وبالتالي فإنّ الدعاء سيّنتج أشخاصاً يحملون عقيدة توحيدية رصينة يجابهون بها مخاطر الانحرافات والانزلاقات التي تحصل للأفراد أثناء مسيرتهم التكاملية في السلوك إلى الله سبحانه وتعالى، فالمنظومة الدعائية - ذلك المخزن الكبير الذي رفدت السماء به أبناء العقيدة المحقّقة - تمتلك وكما سلف الآثار التكوينية التي يتأهّل بها أصحاب العقيدة لنيل الغايات الكبرى، ولا يخفى أنّ هذه المنظومة العملاقة أساسيات وضوابط لا تنتج الثمار إلّا من خلالها.

وعلى العكس من هذا يقف الدعاء على الأشخاص موقف المانع من تحصيل الكمالات، بل وفي بعض الأحيان موقف سلب المقتضي، وقد انعكس من خلال الموارد التي سجّلتها كتب التراجم والمعاجم حيث ورد فيها أنّ هناك أشخاصاً كانت لهم مميّزات خاصّة، ولكن ورغم المميّزات الفريدة التي تمتّعوا بها ولفترات طويلة وأهلّتهم أن يكون الواحد منهم مشاراً إليه ورئياً في قومه وشاخصاً يلتجأ إليه عند حلول النوائب الفكرية أو الاجتماعية فإنّه وبسبب اختلال المنظومة الدعائية لديه سلب منه ما كان يتمتّع به، ومن النماذج التي برزت في التاريخ والتي سجّلت عليها هذه الملاحظة من قبل الأئمّة المعصومين عليه السلام هو عروة بن يحيى النّخاس الدهقان.

حيث روى الكشي رحمه الله في رجاله على ما نقله الشيخ الطوسي رحمه الله عنه في اختيار معرفة الرجال^(٤٦) حيث قال: حدّثني محمد بن قولويه الجمال، عن محمد بن موسى الهمداني: أنّ عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان لعنه الله وكان يكذب على أبي الحسن عليّ بن محمد بن الرضا عليه السلام وعلى أبي محمد الحسن بن



عليّ عليه السلام بعده، وكان يقطع أمواله لنفسه دونه ويكذب عليه، حتّى لعنه أبو محمد عليه السلام وأمر شيعته بلعنه، والدعاء عليه لقطع الأموال، لعنه الله. قال عليّ بن سلمان بن رشيد العطار البغدادي: فلعنه أبو محمد عليه السلام، وذلك أنّه كانت لأبي محمد عليه السلام خزانة، وكان يليها أبو عليّ بن راشد عليه السلام، فسُلّمت إلى عروة، فأخذ منها لنفسه ثمّ أحرق باقي ما فيها، يغازي بذلك أبا محمد عليه السلام، فلعنه وبرئ منه ودعا عليه، فما أمهل يومه ذلك وليته حتّى قبضه الله إلى النار. فقال عليه السلام: «جلست لربيّ ليلتي هذه كذا وكذا جلسة، فما انفجر عمود الصبح ولا انطفئ ذلك النار حتّى قتل الله عدوّه لعنه الله».

فأنت تلاحظ النصّ وشدّة الألم الذي أصيب به الإمام العسكري عليه السلام من هذا الوكيل الذي كان يرعى شؤوناً للإمام ولكنّه ومع شديد الأسف انحرف، وأيّ انحراف إنّهُ الذي يجعله يقوم بأعمال ليس الهدف منها إلّا أن يغيض الإمام، فأَيّ قلب مريض يمتلك هذا الدهقان حتّى إنّ خوف الإمام على شيعته من أمره استدعى منه أن يجلس عدّة جلسات للدعاء، فلاحظ النصّ كيف يقول: «جلست لربيّ ليلتي هذه كذا وكذا جلسة...».

فالإمام المعصوم الذي مهمّته هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى الاستقامة بعد يأسّه من هذا الرجل والذي كان من المقرّبين اضطرّ إلى أن يُكرّر جلسات الدّعاء ليتخلّص من شرّه.

وأنت تلاحظ جليّاً أثر دعاء الإمام فإنّه ما إن طلع الصباح حتّى سلّط الله تعالى على هذا الرجل من يقتله بسبب دعاء الإمام عليه السلام، وبقي ذكره السيّئ إلى يومنا هذا.

أملي أن لا تغادر هذه الصفحة وترجع إلى الرواية وتقرأها في عدّة جلسات وتأمّل فيها لترى حال أشخاص كانوا بحسب الظاهر يُحسبون على الأئمّة ولكن ومع شديد الأسف خسروا أنفسهم ولاحتهم اللعنة على مرّ التاريخ، هذا نموذج.



والنموذج الآخر هو أحمد بن هلال العبرتائي الذي دعا عليه الإمام عدّة مرّات ولعنه وبرأ منه، وذكر أنّ ما أوجب حصول ما حصل لابن هلال هو «لم يدعُ المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما منّ به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفوّاً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهله» (٤٧).

وإليك النصّ الكامل الذي رواه الشيخ الطوسي رحمته الله في اختيار معرفة الرجال عن أحمد بن هلال: عليّ بن محمّد بن قتيبة، قال: حدّثني أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، قال: ورد عليّ القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك أن كتب عليه السلام إلى قوامه بالعراق: «احذروا الصوفي المتصنّع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنّه قد كان حجّ أربعاً وخمسين حجّة، عشرون منها عليّ قدميه. قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد في مذمّته، فحملوا القاسم بن العلاء عليّ أن يراجع في أمره. فخرج إليه: «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنّع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت، لم يزل لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته يداخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضئ يستبدّ برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يُمضي من أمرنا إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنّم، فصبرنا عليه حتّى تبرّ الله بدعوتنا عمره. وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من مواليّنا في أيّامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاصّ من مواليّنا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرء منه. وأعلم الإسحاقي سلّمه الله وأهل بيته ممّا أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألَكَ ويسألَكَ عنه من أهل بلده والخارجين ومن كان يستحقُّ أن يطّلع عليّ ذلك، فإنّه لا عذر لأحد من مواليّنا في التشكيك فيما يؤدّيّه عنا ثقتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرّنا، ونحمله إيّاه إليهم، وعرفنا



ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى». وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعادوه فيه فخرج: «لا شكر الله قدره لم يدع المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقرّاً ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفوّاً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهلّه، والحمد لله لا شريك له، وصلى الله على محمد وآله وسلّم» (٤٨).

وبمراجعة النصّ مرّة أخرى - الذي تحدّث عن قضيّة أحمد بن هلال -، نجد أنّ هذا الرجل لشدّة ما كان ظاهره مقبولاً لدى العامّة من الناس كان هناك تشكيك في صدور تلك التوقيعات الدائمة له عن المعصوم عليه السلام، وأنّها بقصد ذمّه وبيان حقيقة الحال فيه حتّى استدعى الأمر أن يصدر في حقّه وبيان حاله أكثر من مكاتبة مع الأئمّة عليهم السلام، وهذا الأمر لا يهمّ كثيراً في محلّ بحثنا وإنّما أردنا الإشارة إليه لغرض أن نلفت إلى بعض الأشخاص وخطرهم على المذهب والدين.

والذي يهمّنا في محلّ بحثنا إذا رجعنا إلى روايتنا آنفة الذكر أنّنا نجد في كلام الإمام عليه السلام هذه المقاطع، ونجعلها ضمن نقاط، ليسهل علينا استفادة مداليلها:

١ - قوله عليه السلام: «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنّع ابن هلال لا رحمه الله».

٢ - قوله عليه السلام: «بما قد علمت لم يزل لا غفر الله له ذنبه».

٣ - قوله عليه السلام: «ولا أقال عثرته يداخل في أمرنا بلا إذن منّا».

٤ - قوله عليه السلام: «لا يمضي من أمرنا إلّا بما يهواه ويريده أرواه الله بذلك في نار جهنّم».

٥ - قوله عليه السلام: «فصبرنا عليه حتّى تبرّ الله بدعوتنا عمره».

٦ - قوله عليه السلام: «وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في أيّامه لا رحمه الله».

٧ - قوله عليه السلام: «وأمرناهم بالقاء ذلك إلى الخاصّ من موالينا ونحن نبرأ إلى

الله من ابن هلال».



٨ - قوله عليه السلام: «من ابن هلال لا رحمه الله ومَن لا يبرأ منه».

مع ذلك كلّ وهذا التشديد والتعّدّد في الدُّعاء والطّرد من الرحمة الإلهيّة ولزوم الحذر من هذا الشخص إلّا أنّ جماعة أنكروا أن يكون مثل هذا النمط حديث الأئمّة عليهم السلام في حقّ الرجل، فخرج توقيع آخر من الإمام عليه السلام يدعوه فيه عليه، ويؤكد ما خرج فيه من الأئمّة، وهو النصّ التالي:

قوله عليه السلام: «لا شكر الله قدره لم يدعُ المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه».

لاحظ معي هذه المقاطع المتعدّدة من دعاء الإمام عليه السلام على هذا الرجل الذي كان من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليه السلام، والذي عاش عمراً قارب التسعين سنة حيث وُلِدَ (١٨٠ هـ) وتوفي (٢٦٧ هـ) فيكون عمره (٨٧) سنة تقريباً، ولم ينحرف إلّا أواخر عمره حيث إنّه كان يرى إمامة الإمام المهدي عليه السلام، وأنّ السفير الأوّل عثمان بن سعيد العمري عليه السلام هو وكيل للإمام المهدي عليه السلام، وكان يرى نفسه المؤهّل للوكالة بعد السفير الأوّل، ولمّا عيّن الإمام المهدي عليه السلام السفير الثاني وهو ابن العمري أي محمّد بن عثمان الخلّاني توقّف ولم يقل بنيابته عن الإمام، فقال له جماعة من الشيعة: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمع به بنفسه ينصّ عليه بالوكالة، وأنا لم أنكر أباه عثمان بن سعيد، أمّا أن أقول بأنّ ابنه هو وكيل صاحب الزمان فلا أجسّر على ذلك. فقال له الشيعة: قد سمعنا غيرك من العلماء وكبراء الشيعة، فأجابهم قائلاً: أنتم وما سمعتم. فلعنوه وتبرّأوا منه. وقد خرجت توقيعات بالبراءة منه نقلنا إليك نصوص بعضها، فلاحظ وأنت تقرّأ النصّ الآنف الذكر كيف أنّ الإمام عليه السلام أكثر من الدعاء على هذا الرجل حيث قال عليه السلام: «لا رحمه الله... لا غفر الله له... لا أقال عثرته... أراده الله بذلك في النار... تبرّأ الله بدعوتنا عمره... لا رحمه الله... نبرأ إلى الله... لا رحمه الله... لا شكر الله قدره...»، هذه أدعية من



إمام مفترض الطاعة وهو الإمام المهدي عليه السلام، بل إنَّ الإمام في التوقيع الأنف الذكر يبرأ إلى الله ممَّن لا يبرأ منه، فأَيُّ فعل شنيع قام به هذا ليقع فيما وقع فيه ويصدر ما صدر عن إمام الزمان عليه السلام عليه؟!

أتعلم أيُّها القارئ العزيز أنَّ هذا الرجل عاش ثمانين سنة من عمره على ظاهر الاستقامة، وأنَّه إنَّما انحرف في (السبع) سنين الأخيرة من عمره؟! وهل تعلم أنَّ أثر الدعاء الذي صدر عليه من الإمام عليه السلام ماذا صنع به؟ وماذا غيرَ من أحواله.

دَقَّق معي فيما سأنقل لك، ولاحظ أثر دعاء الإمام عليه السلام على الإنسان وما يجلبه من شقاء وهلاك أبدي حيث ينقل الصدوق رحمته الله على ما نقله السيِّد الخوئي رحمته الله (٤٩) في معجم رجال الحديث قال: قال الصدوق رحمته الله: (... حدَّثنا شيخنا محمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله، قال: سمعت سعد بن عبد الله يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمتشيع رجع عن تشيِّعه إلى النصب إلَّا أحمد بن هلال).

تأمَّل أيُّها العزيز في كلام محدِّث الطائفة الفقيه الصدوق رحمته الله وهو ينقل عن أستاذه هذه المقالة، وتدبَّر آثار دعاء الإمام عليه السلام وما يجلبه من شقاء على الإنسان، ولا شكَّ أنَّ هذا الشخص لولا الاستعداد الذاتي في داخله واقتضاء الانحراف في قلبه لما آلت أُموره إلى ذلك، فكان ما يحمل من علم ومكانة في المجتمع وبالأعلى عليه وحسرةً يوم القيامة.

* * *



الهوامش

١. الوسائل: ج ٧ ص ٢٧، وفي بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج ٩٠، ص ٣٠٢.
 ٢. علل الشرائع للشيخ الصدوق: ١: ١٦٢.
 ٣. في بحار الأنوار ٣: ٣٢٩: «... إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَاجَى رَبَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَالَ: يَا رَبِّ، أَبْعِدْ أَنْتَ مِنِّي فَأُنَادِيكَ أَمْ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ؟ فَأَوْحَى إِلَيْهِ (جَلَّ جَلَالُهُ) إِلَيْهِ: أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي...»، وأيُّ توحيد أعلى من أن يكون العبد جليساً مع الله تعالى؟
 ٤. لَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكاً حَقِيقاً لِلْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ ومنها الإنسان، وأنه تعالى أقرب إلى هذا الإنسان من نفسه ﴿يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وليس المراد بالقلب هنا الجسم المادّي، بل هو حقيقة الإنسان ونفس وجوده، فبمقتضى هذه الملكية صارت عبوديتهم له تعالى عبودية حقيقية أيضاً.
 - حصل بذلك أن له تعالى القدرة الحقيقية على الحيلولة بينهم وبين أي شيء آخر وإن قرب منهم وأُبرم إبراماً، فكانت إجابة الدعوة منه تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) لا يمنعها، ويمنع تحققها إلا ما يجعله العبد مانعاً.
 - والإذعان بهذه الحقيقة ذات البعدين، بعد الملكية الحقيقية من جهة الله تعالى، وبعد المملوكية والعبودية الحقيقية من جهة العبد،
- هو التوحيد.
- فما يشاؤه الله تعالى في ملكه سيقع وما لم يشأ لا يقع، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).
- فإذا عرفنا هذه الحقيقة عرفنا بمقتضاها مفاد الآيات الكريمة التي تحدّثت بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).
- لذلك نجد الكثير من الآيات فرّعت الدعاء على الإيمان كما مرّت في ما سطرناه من نصوص قرآنية تقدّمت. لاحظ: الميزان ٢: ٣٠ - ٣٥.
- لذلك قسّم بعض العلماء الدعاء لله تعالى إلى ثلاثة وجوه:
- ضرب منها: توحيده...، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).
- والضرب الثاني: مسألة العفو والرحمة وما يقرب منها، كقولهم: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا).
- والضرب الثالث: مسألة الخطّ في الدنيا، كقولهم: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالاً وولداً).
- أضواء على دعاء كميل لعزّ الدين بحر العلوم: ١٤.

الهوامش

٥. ففي الوسائل ٧: ٢١ / أبواب الدعاء: باب ١ / ح عنده.
٦. الكافي ٢: ٤٦٦.
٧. الكافي ٢: ٤٦٦؛ وفي فلاح السائل للسيّد ابن طاووس: ٢٨؛ والمجازات النبوية للشریف الرضي: ٢١٠.
٨. الوسائل ٧: ٢٧؛ وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٩٠: ٣٠٢.
٩. عن أبي جعفر عليه السلام: «الصلاة عمود الدين»، بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٧٩: ٢١٨.
١٠. عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس - بعد كلام تكلم به - عليكم بالصلاة عليكم بالصلاة، فإنها عمود دينكم، كابدوا الليل بالصلاة، واذكروا الله كثيراً يَكْفُرَ سيئاتكم. إنَّما مثل هذه الصلوات الخمس مثل نهرٍ جارٍ بين يدي باب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس اغتسلات، فكما ينقى بدنه من الدرن بتواتر الغسل فكذا ينقى من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقى من ذنوبه شيء». (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٧٩: ٢٢٣).
١١. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال: ١١).
١٢. عن أبي عبد الله عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نور على نور» (وسائل الشيعة للحرّ العاملي ١: ٣٧٧).
٥. ففي الوسائل ٧: ٢١ / أبواب الدعاء: باب ١ / ح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، قال: «هو الدعاء».
- فالإمام هنا يُعَبِّرُ عن العبادة بأنّها الدعاء وأنّ التكبر عنها يوجب دخول جهنم. وفي نص آخر في نفس المصدر (ج ٢) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الدَّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وهو مطلق يشمل العبادات الجوارحية والجوانحية. وفي البحار ٩٠: ٢٩٤: عن أبي عبد الله عليه السلام: «... عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله...».
- في بحار الأنوار ٣: ٨: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: «توحيدك لربك».
- وفي الوسائل ٧: ٢٧: عن الإمام علي عليه السلام: «الدعاء مخُّ العبادة».
- وفيه ٧: ٣٠: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أفضل العبادة الدعاء».
- وبملاحظة حديث «توحيدك لربك» وهذا الحديث يظهر أنّ الدعاء أفضل أنماط التوحيد التي يحثُّ عليها الشارع المقدّس.
- بل في الوسائل ٧: ٣٠: سُئِلَ الباقر عليه السلام: أيُّ العبادة أفضل؟ فقال عليه السلام: «ما من شيء أفضل عند الله (عَزَّ وَجَلَّ) من أن يسأل له ويُطَلَبَ ممّا



الهوامش

١٣. عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ مفتاح الصلاة التكبير». (وسائل الشيعة للحرّ العاملي ٤: ٧١٤).
١٤. الكافي للشيخ الكليني ٢: ٤٦٧.
١٥. وسائل الشيعة للحرّ العاملي ٧: ٢٧ / باب ٢ / الحديث رقم ٧ و ١٥، وأيضاً ٧: ٣٨ / باب ٨ / ح ٣.
- حيث ورد فيها: عن رسول الله ﷺ: «ما فُتِحَ لأحد باب دعاء إلا فُتِحَ الله له فيه باب إجابة، فإذا فُتِحَ لأحدكم باب فليجهد، فإنَّ الله لا يملُ حتَّى تملّوا».
- وعن الصادق عليه السلام: «الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء، فإنَّه مفتاح كلِّ رحمة، ونجاح كلِّ حاجة، ولا ينال ما عند الله (عزَّ وجلَّ) إلا بالدعاء، وإنَّه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يُفْتَحَ لصاحبه».
- وعن أبي عبد الله عليه السلام: «... الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض».
١٦. وسائل الشيعة ٧: ٣٦ / باب ٧ / ح ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ الدعاء يردُّ القضاء، ينقضه كما يُنْقَضُ السِّلْكُ وقد أبرم إبراماً».
١٧. في الكافي ٢: ٤٦٩: عن الرضا عليه السلام أنَّه كان يقول لأصحابه: «عليكم بسلاح الأنبياء»، ف قيل:
- وما سلاح الأنبياء؟ قال عليه السلام: «الدعاء».
١٨. للدعاء جملة وافرة من الآداب والشروط ذكرتها الكتب المختصَّة بالدعاء كاليقين بالدعاء، وتسمية الحاجة، والهام الدعاء والتقدُّم فيه، كما أنَّ له أوقافاً خاصَّة وأزمنة معيَّنة دُكِرَتْ في محلِّها.
- راجع لذلك كتاب الكافي ٢: ٤٦٩ / كتاب الدعاء، وكذلك بحار الأنوار (ج ٩٠ / كتاب الدعاء)، وكتاب وسائل الشيعة (ج ٧ / باب الدعاء). وسنذكر بعض الآداب المختصَّة بالدعاء للإمام المهدي عليه السلام.
١٩. في الكافي ٢: ٤٧٣: عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) لا يستجيب دعاء بظهر قلبٍ ساء، فإذا دعوت فأقبل بقلبك».
٢٠. إنَّ دعاء النبي ﷺ لأحد يتمتَّع بعدَّة مميَّزات، فهو الوحيد العارف بالله تعالى حقَّ معرفته، وهذه المعرفة تجعل من الدعاء الصادر منه محلَّ قبول عند الله تعالى إذا تقدَّم فيه، فضلاً عن معرفة النبي الأكرم بمقتضى عصمته وعلمه الحضورى بوقائع الأشياء وموارد استجلاب الخير واستدراجه وساعات ذلك وأزمانه، فلا يكون منه خلاف الواقع ونفس الامر، وأين هذا من دعاء شخص مهما ازداد رقيَّه المعنوي وكملت نفسه بالطاعة فهو في

الهوامش

حضيض العلم الحصولي وتخبّط الظنون و... التي لا يجزم بظروف مطابقتها للواقع ومن عدمه؟!

فكيف يُقاس هذان النحوان من الدعاء بعضهم ببعض؟!

٢١. عن الصادق عليه السلام: «سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن

معنى قول رسول الله ﷺ: إني مَخْلُفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ فقال عليه السلام:

أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وخاتمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله ﷺ حوضه». (كمال الدين للصدوق: ٢٤٠).

٢٢. في الكافي ٢: ٢٧٨/ باب أنّ للأئمة عهد من الله

(عزّ وجلّ): عن عمرو بن الأشعث، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أترون الموصي

منّا يوصي إلى من يريد؟ لا والله ولكن عهد من الله ورسوله ﷺ لرجل فرجل حتّى ينتهي الأمر إلى صاحبه».

وفي الكافي ١: ٢٧٥: عن الحارث بن المغيرة،

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سمعته يقول: «قال رسول الله ﷺ: نحن في الأمر والفهم والحلال

والحرام نجري مجرى واحد، فأمر رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام فلهما فضلهم».

وفي كمال الدين للشيخ الصدوق: ٣٨١ عن

أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟»، فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: «لأنّكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه»، قلت: فكيف نذكره؟ فقال: «قولوا: الحجّة من آل محمّد ﷺ».

٢٣. في علل الشرائع للصدوق ١: ٢٠٨: عن أبي

جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «... الأئمة من ولدك بهم تُسقى أمّتي الغيث وبهم يُستجاب دعاؤهم...».

٢٤. في الكافي ١: ١٩٣: عن عليّ بن جعفر، عن أبي

الحسن موسى عليه السلام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله (عزّ وجلّ) خلقنا... وعبادتنا عبداً لله (عزّ وجلّ)، ولولنا ما عبّد الله».

٢٥. في تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٤: ١٤٤:

عن أبي سيار، عن أبي عبد الله في حديث طويل جاء فيه: «... يا أبا سيار، الأرض كلّها لنا، فما أخرج الله منها شيء فهو لنا...».

٢٦. كمال الدين للشيخ الصدوق: ٣٣٠/ باب ٣٢/ رقم الحديث ١٥.

٢٧. الكافي ١: ١٨١/ باب معرفة الإمام والرّد إليه/ الحديث ٢.

٢٨. الكافي ١: ١٨١/ باب معرفة الإمام والرّد



الهوامش

- إليه / الحديث ٤.
٢٩. الكافي ١: ١٨٥.
٣٠. الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢: ٢٢٨.
٣١. أمالي الشيخ المفيد: ١٨٧.
٣٢. الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢: ٣٢٥.
٣٣. بصائر الدرجات لمحمد الحسن الصفار: ٢٨٠.
٣٤. كشف المحجّة لثمرة المهجّة للسيد ابن طاووس: ١٥٣. وهذا الحديث المنقول على لسان السيد من كتاب الوسائل الذي نسبته إلى الشيخ الكليني وإن كان ليس بأيدينا مصدره إلا أن نقله على لسانه وإرساله بهذا الشكل يكشف عن كون تلك النسخة كانت بيده أو قرأت عليه، هذا فضلاً عن كونه موافق للأصل، وليس فيه مخالفة، وإنما أوردناه كشاهد في بيان المطلوب على لسان الأئمة عليهم السلام.
٣٥. بحار الأنوار ١٨: ٣١٩. تفسير علي بن إبراهيم: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ... فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله عليهم السلام قد جمعوا إليّ، وأقيمت الصلاة، ولا أشك إلا وجبرئيل سيقدّمنا، فلمّا استوا أخذ جبرئيل بعصدي فقدّمني وأمتهم ولا فخر، ثمّ أتاني الخازن بثلاثة أوان: إناء فيه لبن، وإناء فيه ماء، وإناء
- فيه خمر، وسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء غرق وغرقت أمّته، وإن أخذ الخمر غوي وغويت أمّته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمّته، قال: فأخذت اللبن وشربت منه، فقال لي جبرئيل: هديت وهديت أمّتك، ثمّ قال لي: ماذا رأيت في مسيرك؟ فقلت: ناداني مناد عن يميني، فقال لي: أوأجبته؟ فقلت: لا ولم ألنفت إليه، فقال: ذلك داعي اليهود، لو أجبته لتهوّدت أمّتك من بعدك، ثمّ قال: ماذا رأيت؟ فقلت: ناداني مناد عن يساري، فقال لي: أوأجبته؟ فقلت: لا ولم ألنفت إليه، فقال: ذاك داعي النصارى لو أجبته لتنصّرت أمّتك من بعدك، ثمّ قال: ماذا استقبلك؟ فقلت: لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها، عليها من كلّ زينة الدنيا، فقالت: يا محمد، أنظرنني حتّى أكلمك، فقال لي: أفكلمتها؟ فقلت: لا كلمتها ولم ألنفت إليها، فقال: تلك الدنيا، ولو كلمتها لا اختارت أمّتك الدنيا على الآخرة، ثمّ سمعت صوتاً أفرغني، فقال لي جبرئيل: أسمع يا محمد؟ قلت: نعم، قال: هذه صخرة فذفنها عن شفير جهنّم منذ سبعين عاماً، فهذا حين استقرّت».
٣٦. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي / الرقم ٣٨٣.
٣٧. الغيبة للطوسي: ص ١٦١.
٣٨. الاحتجاج: ج ٢، ص ٤٦٩.

الهوامش



٣٩. غيبة الطوسي: ص ٣٦٧. يزيغ قلبه)، ولم يظهر لي ذلك.

٤٨. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨١٦

و٨١٧.

٤٩. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٣: ١٤٩.

٤٠. الغيبة للطوسي: ص ٣٠٨.

٤١. بحار الأنوار: ج ٥٣، ب ٣١.

٤٢. الغيبة للطوسي: ص ٣٧٤.

٤٣. بحار الأنوار: ج ٥٣، ب ٣١.

٤٤. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٩٢.

٤٥. فقد ورد في رسالة الإمام الصادق عليه السلام: «أكثرُوا

من أن تدعوا الله، فإنَّ الله يُحِبُّ من عباده

المؤمنين أن يدعوه، وقد وعد الله عباده المؤمنين

بالاستجابة، والله مصيرٌ دعاء المؤمنين يوم

القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة، فأكثرُوا

ذكر الله ما استطعتم في كلِّ ساعة من ساعات

الليل والنهار، فإنَّ الله أمر بكثرة الذكر له،

والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين، واعلموا أنَّ

الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلَّا ذكره

بخير، فأعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في

طاعته، فإنَّ الله لا يُدْرِك شيء من الخير عنده

إلَّا بطاعته واجتناب محارمه التي حرَّم الله في

ظاهر القرآن وباطنه، فإنَّ الله تبارك وتعالى

قال في كتابه وقوله الحقُّ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ

وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. (الكافي للشيخ

الكليني ٨: ٧).

٤٦. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨٤٢.

٤٧. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨١٧؛

وفي البحار ٥٠: ٣١٩: (لم يدع المرزئة بأن لا



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

ضرورة وجود المعصوم عليه السلام

الشيخ إسكندر الجعفري

الحديث عن ضرورة وجود المعصوم يدخل في إطار التعرف على الإمام الذي يلزم على الأمة معرفته، إذ بمعرفته يهتدي الإنسان إلى قوام دينه، وسلامة عقيدته، وتهذيبها من الضلال، وتنقيتها من شوائب الانحراف.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لزرارة: «إذا أدركت هذا الزمان فادعُ بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِف نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِف حَجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حَجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي حَجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»^(١).

ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع الذي نحن بصددده، فإن الحديث عن وجود الإمام المعصوم في هذا الزمان الذي يشهد ألواناً من الانحرافات العقائدية الخطيرة، التي يسعى أصحابها إلى تشويش الفكر الديني الأصيل، كفيل بمعالجة بعض الشبه، التي تُطرح بين الحين والآخر.

وقد تحدّث المحققون والباحثون في الشؤون العقائدية والمهدوية عن هذا الموضوع كثيراً، وكتبوا في ذلك الكتب والأبحاث والدراسات والمقالات الشيء الكثير، ولكن إنطلاقاً من إيماننا بأهمية الموضوع، وضرورة إشباعه بحثاً وتدقيقاً، نغتنم هذه الفرصة للحديث عن ضرورة وجود المعصوم في كل زمان



من خلال عرض مجموعة من الروايات تصلح لإثبات ذلك، وهذه الروايات يتلخّص مضمونها بما جاء في بعضها: (أنّ الأرض لا تبقى بغير إمام).

والبحث - إن شاء الله - سيمرُّ من خلال النقطتين التاليتين:

النقطة الأولى: عرض الروايات.

النقطة الثانية: دلالتها.

إذاً لتحدّث عن هاتين النقطتين تباعاً.

النقطة الأولى

عرض الروايات

روى المحدثون من الخاصّة عدّة روايات تبلغ حدّ التواتر - على ما سنلاحظ - تتفق في مضمونها على أنّ الأرض لا تخلو من الإمام، والمقصود منه: الإمام المعصوم، كما سيّضح ذلك لاحقاً، وقد جاء هذا المضمون أيضاً في بعض مرويات العامّة، وفيما يلي نعرض الروايات التي روتها الخاصّة، ثمّ نعرض ما جاء في كتب العامّة.

روايات الإماميّة:

وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: ما دلّت على أنّ الإمام إذا رُفِعَ من الأرض لساخت:

وهي عدّة روايات:

١ - ما رواه الصّفّار في بصائره بسنده عن أحمد بن عمر، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: هل يبقى الأرض بغير إمام فإنّا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يبقى الأرض إلّا أن يسخط الله على العباد»؟ قال: «لا تبقى إذا لساخت»^(٢). ورواها أيضاً الصدوق في كتبه بسنده إلى أحمد بن عمر، عن الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

٢ - ما رواه الصّفّار أيضاً في بصائره بسنده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت



لأبي عبد الله عليه السلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^(٤).

ورواه أيضاً علي بن بابويه في الإمامة والتبصرة، والكليني في الكافي، والصدوق في العلل عن الصفار^(٥).

ورواها أيضاً في كمال الدين، ولكن فيها: «لو بقيت الأرض ساعة بغير إمام لساخت»^(٦).

ورواها النعماني في الغيبة، والشيخ في الغيبة^(٧).

٣ - ما رواه الصفار أيضاً بسنده عن أبي هراسة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لو أن الإمام رُفِعَ من الأرض ساعة لساخت بأهله كما يموج البحر بأهله»^(٨).
ورواها في الكافي، ولكن فيها بدل كلمة (لساخت): «لماجت»^(٩).

ورواها أيضاً الصدوق في كمال الدين كما في الكافي^(١٠).

ولعل المناسب أنهما (لماجت) كما في نسخة الكافي وكمال الدين، وذلك لتناسبها مع الذيل: «كما يموج البحر».

ورواها النعماني في الغيبة عن الكليني، وفيها: «لساخت بأهلها وماجت»^(١١).

ورواها الطبري في دلائل الإمامة، وفيها: «لماجت»^(١٢).

٤ - ما رواه الصفار أيضاً في بصائر الدرجات بسنده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: يكون الأرض بلا إمام فيها؟ قال: «لا إذا ساخت بأهلها»^(١٣).

ورواها الصدوق في العلل^(١٤).

٥ - ما رواه الكليني في الكافي بسنده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لا»، قلت: فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: «لا، لا تبقى إذا لساخت»^(١٥).

ورواها الصدوق في كمال الدين^(١٦).

٦ - ما رواه الصفار في بصائر الدرجات بسنده عن محمد بن الحسن بن عليّ الوشاء، قال: سألت الرضا عليه السلام: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لا»، قلت: فإننا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله على العباد، قال: «لا تبقى إذا **لساخت**»^(١٧).

ورواها في الكافي بسنده عن الوشاء^(١٨).

ورواها الصدوق في كتبه بسنده عن الوشاء^(١٩).

ورواها النعماني في الغيبة عن الكليني^(٢٠).

٧ - ما رواه الصفار في البصائر بسنده عن سليمان الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام، قلت: تخلو الأرض من حجة الله؟ قال: «لو خلت الأرض **طرفة عين من حجة لساخت بأهلها**»^(٢١).

ورواها الصدوق في عيون أخبار الرضا^(٢٢).

٨ - ما رواه الكليني في الكافي بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني وأثنى عشر من ولدي وأنت يا عليّ زرّ الأرض يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنى عشر من ولدي ساحت الأرض بأهلها ولم يُنظروا**»^(٢٣).

٩ - ما رواه الصدوق في الأمالي بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجلّين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يُمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يُمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»^(٢٤).



١٠ - ما رواه الخزّاز القمّي في كفاية الأثر، عن الإمام الحسن عليه السلام، قال: «خطب رسول الله يوماً، فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس كأني أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّمواهم فإنهم أعلم منكم، لا يخلو الأرض منهم، ولو خلت إذاً لساخت بأهلها»^(٢٥).

هذا كلّ ما عثرت عليه من الروايات في هذه الطائفة، ولعلّ المتبّع يجد غيرها، وفي ختامها لا بدّ أن أشير إلى بعض الملاحظات:

الملاحظة ١: إنّ تتبّع هذه الروايات، والاطّلاع على كثرتها، وتعدّد طرقها وأسانيدها، يوجب حصول العلم بصدورها عن معدن العلم والعصمة، ومعه لا حاجة إلى متابعة الأسانيد، وملاحظة حال الرواة، على الرغم من صحّة بعضها، وذلك لأنّ الكثرة، وتعدّد الطرق، بالشكل الذي لاحظناه يوجب حصول التواتر.

الملاحظة ٢: هناك تطابق كبير بين بعض الروايات، بل بعضها متطابقة، ومن هنا قد يُقال: إنّها رواية واحدة، قد رويت بطرق مختلفة، ومعه فليس من الصواب جعلهما روايتين، ومثال ذلك الروايات (١ و ٥ و ٦) فإنّها تشترك بنفس التعبير تقريباً.

ولكن يُقال: صحيح أنّها تشترك بنفس التعبير، ولكن هناك قرائن توجب الاطمئنان بتعدّدتها، منها: اختلاف الراوي، ففي الأولى (أحمد بن عمر)، وفي الثانية (محمّد بن الفضيل)، وفي الثالثة (الوشّاء)، وفي جميع هذه الروايات يقول الراوي: سألت أو قلت، ومن البعيد اجتماعهم كلّهم في مجلس واحد مع الإمام، وكلّهم سأل نفس السؤال، وب نفس الكيفية، والإمام يُجيب بنفس الجواب، على أنّ ذلك لو كان، لما كانت رواية واحدة، بل ثلاث، كما هو واضح.

الملاحظة ٣: إن تعدد الروايات، وتعدد الرواة لها، وتعدد الأئمة عليهم السلام المسؤولين، يكشف مدى أهميتها، وضرورتها، ففي بعضها يبدأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الحديث مع الناس بهذا المضمون، وفي بعضها يتحدث عن ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وفي بعض آخر يُسأل الإمام الباقر، ثم الصادق، ثم الرضا عليه السلام، وكلها تؤكد أن الأرض لا يمكن أن تخلو من الإمام المعصوم.

الطائفة الثانية: أن الأرض لا تخلو من الإمام فإنها لو خلت لماجت:

١ - ما رواه الكليني في الكافي بسنده عن أبي هراسه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لو أن الإمام رُفِعَ من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله» (٢٦).

ورواها أيضاً الصدوق في كمال الدين، بسنده عن أبي هراسه، عن أبي جعفر عليه السلام (٢٧).

ورواها عن الصدوق محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة (٢٨).

٢ - ما رواه الصدوق في كمال الدين بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «نحن حجب الله في خلقه، وخلفاؤه في عبادته، وأمناءه على سره، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته، بنا يُمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة، ولا تخلو الأرض من قائم منا ظاهر أو خافٍ، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله» (٢٩).

٣ - ما رواه الجوهرى في مقتضب الأثر بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن يزال الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» (٣٠).

الطائفة الثالثة: ما دلّت على أن الأرض لا تبقى بغير إمام:

١ - ما رواه الصقار في بصائر الدرجات بسنده عن علي بن أبي حمزة، عن أبي



بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ اللَّهَ (جَلَّ وَعَزَّ) أَجَلٌّ وَأَعْظَمُ مَنْ أَنْ يَتْرَكَ الْأَرْضَ بغير إِمَامٍ»^(٣١).

ورواها الكليني بسنده عن ابن أبي حمزة عن أبي بصير، ولكن مع إضافة كلمة «عادل» بعد كلمة «إِمَامٍ»^(٣٢).

ورواها الصدوق في كمال الدين بسنده عن ابن أبي حمزة عن أبي بصير، مع إضافة «عادل»^(٣٣).

ويقوي نسخة الكليني والصدوق المشتملة على الإضافة أمور:

الأول: أصبغة الكليني، كما هو معروف وواضح للمتبع.

الثاني: نسخة الصدوق وهو يرويها عن البطائني بسند آخر غير سند الكليني، يؤكّد وجود الإضافة.

الثالث: وتظهر فائدة القيد المذكور، إذ الإمام - كما هو معروف - إمامان: عادل، وجائر، ولا معنى أن الله تعالى لا يترك الأرض بغير إمام مطلقاً، عادلاً كان أو جائراً، إذ لا مانع من خلّوها من الإمام الجائر، وإنّما المانع الذي تريد أن ترشد إليه الرواية هو خلّوها من الإمام العادل.

٢ - ما رواه الصّقّار في بصائر الدرجات بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «وَاللّٰهُ مَا تُرِكَ الْأَرْضَ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ آدَمَ إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَىٰ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَلَا تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ»^(٣٤).

ورواها عليّ بن بابويه القمي في الإمامة والتبصرة، بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، مع فارق طفيف، فبعد قوله: «ترك» كلمة «الله»، وبدل قوله: «بغير إِمَامٍ حُجَّةَ اللَّهِ...» قوله: «بغير إِمَامٍ حُجَّةَ اللَّهِ»^(٣٥).

ورواها الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيها بالإضافة إلى فوارق الإمامة والتبصرة، بدل كلمة «الأرض» في أولها كلمة «أرضاً»، وبدل قوله: «وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ»: «وَهُوَ حُجَّتُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ»^(٣٦).

٣ - ما رواه الصفار في البصائر بسنده عن الحسين بن أبي العلا، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تُترَك الأرض بغير إمام؟ قال: «لا»، فقلنا له: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قال: «لا إلا إمام صامت لا يتكلَّم ويتكلَّم الذي قبله»^(٣٧).

ورواها الكليني في الكافي بسنده عن الحسين بن أبي العلا، مع اختلاف طفيف، ففيها: (تكون الأرض ليس فيها إمام؟)^(٣٨).

٤ - وروى الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة بسنده عن ابن أبي يعفور أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: هل تُترَك الأرض بغير إمام؟ قال: «لا»، قلت: فيكون إمامان؟ قال: «لا إلا وأحدهما صامت»^(٣٩).

وقد تسأل: أليست هذه الرواية هي عين سابقتها؟
فنجيب: تكرر سابقاً مثل ذلك، وقلنا: إنَّ اختلاف الراوي يكشف عن تعدد الرواية، كما أنَّ الراوي في كلا الروایتين قد سأل الإمام بنفسه، فيندفع احتمال كونها قد اجتمعا في مجلس واحد، وسأل أحدهما، وسمع الآخر، وقد روى ما سمعه.

الطائفة الرابعة: ما دلَّ على أنَّ الأرض لا تخلو من إمام يعرف الزيادة والنقصان:

وهذه الطائفة لا تختلف عن سابقتها إلا في وصف الإمام بأنَّه يعرف الزيادة والنقصان، معللة ذلك بأن لولاه لا اختلط على المسلمين أمرهم، فلم يعرفوا الحق من الباطل، وهي عدَّة روايات، نذكر منها:

١ - ما رواه الصفار في البصائر بسنده عن أبي حمزة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لن تبقى الأرض إلا وفيها رجل منا يعرف الحق، فإذا زاد الناس فيه قال: قد زادوا، وإذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، وإذا جاؤوا به صدَّقهم، ولو لم يكن كذلك لم يُعرف الحق من الباطل»^(٤٠).

ورواها الصدوق في العلل في موضعين، أحدهما فيه اختلاف طفيف،



حيث جاء فيها: «إِلَّا وفيها مَنْ يعرف الحقَّ» بدل «إِلَّا وفيها رجلٌ مَنْ يعرف الحقَّ»^(٤١)، والآخر مطابق^(٤٢).

٢ - ما رواه الصفّار في البصائر بسنده عن إسحاق بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الأرض لا تخلو من أن يكون فيها من يعلم الزيادة والنقصان، فإذا جاء المسلمون بزيادة طرحها، وإذا جاؤوا بالنقصان أكمله لهم، ولولا ذلك لا اختلط على المسلمين أمرهم»^(٤٣).

٣ - ما رواه الصفّار في البصائر بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ الله لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان في الأرض، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا أكمله لهم، فقال: خذوه كاملاً، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم ولم يُفرّقوا بين الحقّ والباطل»^(٤٤).
ورواها الصدوق في العلل^(٤٥).

٤ - وروى الصفّار في البصائر نفس المضمون السابق، ولكن عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، مع فارق طفيف، إذ لم يرد فيها: «ولم يُفرّقوا بين الحقّ والباطل»^(٤٦).
ورواها الصدوق أيضاً في العلل^(٤٧).

وهناك روايات كثيرة في نفس هذا المضمون، عند ملاحظتها بتمامها يحصل القطع أو الاطمئنان بتواترها.

الطائفة الخامسة: ما دلّ على أنّ الأرض لا تبقى بغير إمامٍ حيٍّ ظاهر:

١ - روى الصفّار في البصائر بسنده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لا تبقى الأرض بغير إمامٍ ظاهر»^(٤٨).

ورواها أيضاً ابن بابويه القمي في الإمامة والتبصرة بسنده عن محمد بن مسلم، ولكن فيه: «ظاهر أو باطن»^(٤٩).

وفي العلل أيضاً كما في الإمامة والتبصرة^(٥٠).

٢ - ما رواه الصدوق في العلل بسنده عن يعقوب السراج، قال: قلت لأبي

عبد الله ﷺ: تبقى الأرض بلا عالم حيّ ظاهر يفرع إليه الناس في حلالهم وحرّامهم؟ فقال لي: «إِذَا لَا يُعْبَدُ اللَّهُ يَا أَبَا يَوْسُفَ»^(٥١).

ورواها القمّي في الإمامة والتبصرة أيضاً^(٥٢).

٣ - ما رواه الصفّار في البصائر بسنده عن أبي إسحاق الهمداني، قال: حدّثني الثقة من أصحابنا أنّه سمع أمير المؤمنين ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ لَا تُخْلِي^(٥٣) الأرض من حجّة لك على خلقك ظاهر أو خافي مغمور لئلا تبطل حجّتك وبينانك»^(٥٤).

ورواها في الإمامة والتبصرة^(٥٥).

وفي الكافي أيضاً^(٥٦).

وفي العلل أيضاً^(٥٧).

وفي كمال الدين^(٥٨).

٤ - وروى الصدوق في كمال الدين بسنده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن عليّ ﷺ أنّه قال في خطبة له على منبر الكوفة: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا بَدَّ لأَرْضِكَ من حجّة لك على خلقك، يهديهم إلى دينك ويُعلّمهم علمك، لئلا تبطل حجّتك ولا يضلّ أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إمّا ظاهر ليس بالمطاع أو مكتّم مترقّب، إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم، فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون»^(٥٩).

الطائفة السادسة: ما دلّ على أنّ الأرض لا تخلو من حجّة:

١ - روى الصدوق في العلل بسنده عن كرام، قال: قال أبو عبد الله ﷺ: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام»، وقال: «إنّ آخر من يموت الإمام، لئلا يحتاج أحدهم على الله عزّ وجلّ تركه بغير حجّة لله عليه»^(٦٠).

ورواها القمّي في الإمامة والتبصرة^(٦١).

٢ - ما رواه القمّي في الإمامة والتبصرة بسنده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال



الباقر عليه السلام: «ما خلقت الدنيا - منذ خلق الله السماوات والأرض - من إمام عدل إلى أن تقوم الساعة حجة لله فيها على خلقه» ^(٦٢).

٣ - وروى القمي أيضاً في الإمامة والتبصرة عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: دخلت على مولانا أبي محمد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام، فقال: «يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان فيه الناس من الشك والارتياب؟»، فقلت له: يا سيدي، لَمَّا ورد الكتاب لم يبقَ منّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلّا قال بالحقّ، فقال: «أحمد الله على ذلك يا أحمد، أمّا علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجة؟ وأنا ذلك الحجة - أوقال: أنا الحجة -» ^(٦٣).

٤ - وروى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عليّ بن راشد، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجة، وأنا والله ذلك الحجة» ^(٦٤).

٥ - ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن الفضل بن شاذان فيما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون حيث جاء فيه بعد كلام طويل: «وأنّ الأرض لا تخلو من حجة الله تعالى على خلقه في كلّ عصر وأوان» ^(٦٥).

٦ - وروى الصدوق في كمال الدين بسنده عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له في الحسين بن عليّ عليه السلام أنّه قال في آخره: «ولولا من على الأرض من حجج الله لنفضت الأرض ما فيها وألقت ما عليها، إنّ الأرض لا تخلو ساعة من الحجة» ^(٦٦).

٧ - وروى الصدوق في كمال الدين بسنده عن صفوان بن يحيى، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إنّ الأرض لا تخلو من أن يكون فيها إمام منّا» ^(٦٧).

٨ - وروى الصدوق أيضاً في كمال الدين بسنده عن أبي خالد الكابلي، عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام حديثاً طويلاً، ومما جاء فيه: فقلت له: يا سيدي، روي لنا عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله (عزّ وجلّ) على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: «ابني محمد، واسمه في التوراة باقر، يقر العلم بقرّاً، هو الحجة والإمام بعدي...» ^(٦٨).

٩ - وروى الصدوق أيضاً في كمال الدين بسنده عن السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (قدّس الله روحه) يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليه السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال عليه السلام: «إِنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ»، فقيل له: يا ابن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمد، هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أمّا إنَّ له غيبة يُحَارُّ فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثمَّ يخرج، فكأنِّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»^(٦٩).

١٠ - وروى النعماني في غيبته بسنده عن المفصل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «خبر تدريه خير من عشر ترويه، إنَّ لكلَّ حقٍّ حقيقة، ولكلِّ صواب نوراً»، ثمَّ قال: «إنَّا والله لا نعدُّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتَّى يلحن له فيعرف اللحن، إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: إنَّ من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلَّا النومة. قيل: يا أمير المؤمنين، وما النومة؟ قال: الذي يعرف الناس ولا يعرفونه. واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله (عزَّ وجلَّ)، ولكن الله سيُعْمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة الله لساخت بأهلها، ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون»، ثمَّ تلا: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]»^(٧٠).

الطائفة السابعة: ما دلَّ على أنّ الأرض والناس لا يصلحها إلَّا وجود الإمام:

١ - فقد روى القمّي في الإمامة والتبصرة بسنده عن الحسن بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الأرض لا تكون إلَّا وفيها عالم يصلحهم، ولا يصلح الناس إلَّا ذلك»^(٧١).



ورواها الصدوق في العلل^(٧٢).

٢ - وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يصلح الناس إلا بإمام، ولا تصلح الأرض إلا بذلك»^(٧٣).

ورواها الصدوق في العلل^(٧٤).

الطائفة الثامنة: ما دلّ على أنّ الحجة تكون قبل الخلق ومعهم وبعدهم:

فقد روى الصّغار بسنده عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق»^(٧٥).

ورواها القمّي في الإمامة والتبصرة^(٧٦)، والكليني في الكافي^(٧٧)، والصدوق في

كمال الدين^(٧٨).

هذه طوائف ثمان، ذات مضمون واحد، وهو ضرورة وجود الإمام في كلّ زمان، وهي تُشكّل بجميع طوائفها تواتراً معنوياً، ولعلّ المتبّع يجد طوائف أخرى يمكن أن تُضاف إلى هذه الطوائف.

هذا كلّ بلحاظ روايات الإماميّة.

روايات العامّة:

بعد التّبّع عثرت على رواية واحدة، رواها بعض العامّة، وهي ما رواه

الحنفي القندوزي في ينابيع المودة، نقلاً عن الحموي في فرائد السمطين.

فقد ذكر القندوزي في ينابيع المودة ما نصّه: وأخرج الشيخ الحموي في

(فرائد السمطين): بسنده عن سليمان الأعمش بن مهران، عن جعفر الصادق،

عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين (رضي الله عنهم)، قال: «نحن أئمة

المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادات المؤمنين، وقادة الغرّ المحجلّين،

وموالي المسلمين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء،

وبنا يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا ينزل الله الغيث وتنشر

الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها»، ثمّ

قال: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، إمّا ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله». قال سليمان: فقلت لجعفر الصادق عليه السلام: كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحب»^(٧٩).

إذاً هذا المضمون تشترك في نقله كتب الخاصة وكتب العامة، ولكن يبقى الفارق أنه في كتبنا قد بلغ حدّ التواتر، بينما في كتب العامة لم نعثر سوى على رواية واحدة، ولكن المهم أن هذا المضمون لم تنفرد الإمامية بروايته، بل رواه الجمهور أيضاً.

ومما ينبغي الالتفات إليه أن الدليل الدالّ على التمسك بأهل البيت وبقائهم إلى يوم القيامة قائم عند العامة، وثابت في مروياتهم، كما اعترف بذلك أحمد بن حنبل المهيتمي المكي في الصواعق المحرقة، حيث قال ما نصّه: (والحاصل أن الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة. ثم اعلم أن حديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً)^(٨٠).

النقطة الثانية

دالاتها

مقدمة:

لا بدّ أولاً من إيضاح بعض المفردات التي وردت في الروايات المتقدمة.

١ - (ساخت الأرض):

قال ابن الأثير في النهاية: (يقال: ساخ في الأرض يسوخ ويسبخ إذا دخل فيها)^(٨١).

وقال ابن منظور في لسان العرب: (ثوخ: شاح الشيء ثَوْخاً: ساخ. وثاخت



قَدَّمَهُ فِي الْوَحْلِ تَثُوخٌ وَتَيْشَخٌ: خاضت وغابت فيه؛ قال المتنخل الهذلي يصف سيفاً:

أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَحْتَلِي

أراد بالأبيض السيف، والرَّجْع: الغدير، شَبَّ السيف به في بياضه. والرَّسُوبُ: الذي يَرُسِب في اللحم. والمُحْتَفَل: أعظم موضع في الجسد. ويحتلي: يَقْطَعُ. وثَاخَ وسَاخَ: ذهب في الأرض سُفْلاً.

وثاخَتِ الإِصْبَعُ في الشيء الوارم: ساحت؛ قال أبو ذؤيب:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ حَمُومَهَا بِالنَّيِّ فَهِيَ تَثُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ

وروي هذا البيت بالتاء وقد تقدَّم، وهذه الكلمة يائية وواوية.

شيخ: ثَاخَتْ رجله تَيْشَخ مثل ساحت، والواو فيه لغة، وقد تقدَّم؛ وزعم يعقوب أن ثاء ثاخت بدل من سين ساحت، والله أعلم^(٨٢).

وحاصله: أن سَاخ بمعنى دخل في الأرض.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: (ساحت قوائمه: ثاخت، والشيء: رسب، والأرض بهم سيوخاً وسؤوخاً وسوخاناً: انخسفت. وفيه سواخية كعلا بطة: طين كثير. وصارت الأرض سواخاً)^(٨٣).

والحاصل: ساحت الأرض بأهلها: رسبت بهم، وغاصت بهم، وانخسفت.

٢ - (ماجت الأرض):

قال الفراهيدي في العين: (موج: الموج: ما ارتفع من الماء فوق الماء. والفعل: ماج الموج يموج. وماج الناس: دخل بعضهم في بعض)^(٨٤).

وقال الجوهري في الصحاح: (ماج البحر يموج موجاً: اضطربت أمواجه.

وكذلك الناس يموجون)^(٨٥).

وقال ابن فارس في معجمه: (موج) الميم والواو والجيم أصل واحد يدلُّ

على اضطراب في الشيء. وماج الناس يمجون إذا اضطربوا. وماج أمرهم ومرج اضطرب، والموج موج البحر سُمي لاضطرابه. وماج يموج موجاً وموجاناً. وكلُّ شيء اضطرب فقد ماج^(٨٦).

وقال ابن منظور في لسان العرب: (مَوْج: المَوْجُ: ما ارتفع من الماء فوق الماء، والفعل ماَجَ الموجُ، والجمع أمواج؛ وقد ماَجَ البحرُ يَمْوِجُ مَوْجاً ومَوْجَاناً ومَوْجاً، وتَمْوَجَ: اضطربت أمواجه. ومَوْجٌ كلُّ شيء ومَوْجَانُهُ: اضطرابه)^(٨٧).

إذا ماَجَ الشيء اضطرب، فيكون المعنى: ماجت الأرض، أي اضطربت.

٣ - (نفضت الأرض):

قال الجوهري في الصحاح: ((نفض [نفضت الثوب والشجر أنفضه نفضاً، إذا حرَّكته ليتنفض. ونفضته شُدَّ للمبالغة. والنفض - بالتحريك - : ما تساقط من الورق والثمر، وهو فعل بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض. والنفاض - بالضم - والنفاضة: ما سقط عن النفض. والمنفض: المنسف. ونفضت المرأة كرشها فهي نفوض: كثيرة الولد. ونفضت الإبل أيضاً وأنفضت: نتجت)^(٨٨). وقال ابن الأثير في النهاية: (والأصل في النفض: الحركة)^(٨٩).

وقال ابن منظور في لسان العرب: (نفض: النَّفْضُ: مصدر نَفَضْتُ الثَّوبَ والشَّجَرَ وغيره أَنْفَضَهُ نَفْضاً إذا حَرَّكْتَهُ لِيَتَنَفَّضَ، وَنَفَضْتُهُ شُدَّ للمبالغة. والنَّفْضُ - بالتحريك - : ما تَسَاقَطَ من الورق والثَّمَر وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول كالقَبْضِ بمعنى المَقْبُوضِ. والنَّفْضُ: ما وقع من الشيء إذا نَفَضْتَهُ. والنَّفْضُ: أن تأخذ بيدك شيئاً فَتَنَفِّضُهُ تَزْعِزُهُ وتُتَرِّتُهُ وتَنَفِّضُ التراب عنه. ابن سيِّدة: نَفَضَهُ يَنَفِّضُهُ نَفْضاً فَانْتَفَضَ. والنَّفَاضَةُ والنَّفَاضُ - بالضم - : ما سقط من الشيء إذا نُفِضَ وكذلك هو من الورق، وقالوا: نُفَاضٌ من ورق كما قالوا: حَالٌ من ورق، وأكثر ذلك في ورق السَّمْرِ خاصَّةً يُجْمَعُ ويُجْبَطُ في ثوب. والنَّفْضُ: ما انْتَفَضَ من الشيء)^(٩٠).



إذاً (نفضت الأرض): تحرّكت، وتزعزعت، وألقت ما عليها، تماماً كما يُنتَفَضُ الثوب لإخراج ما علّق به من تراب.

هذه أهمّ المفردات الواردة في هذه الروايات، وقد اتّضح أنّ المراد منها شيء واحد، وهو أنّ الأرض لا تبقى إذا ارتفع الإمام منها، وقد عبّرت الروايات عن ذلك تارةً بـ (ساخت) أي انخسفت، وأخرى (ماجت) أي اضطربت، وثالثة بـ (نفضت) أي ألقت ما عليها، وكلّ ذلك يشير إلى معنى واحد.

دلالة الروايات:

والذي ينبغي أن لا يغيب عن الذهن أنّ الغرض من التعرّض لهذه الروايات هو إثبات ضرورة وجود المعصوم في كلّ زمان، وبالتالي إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الذي نعيشه، ولكي تتّضح دلالة الروايات على ذلك، نطرح الأسئلة التالية:

- ما هي علاقة وجود الإمام ببقاء الأرض واستقرارها؟
- ما هي علاقة وجود الإمام بصلاح الناس، وأنّه لولاه لفست أمورهم واضطربت؟

- كيف تُثبت أنّ المراد من الإمام في هذه الروايات هو الإمام المعصوم؟

جواب السؤال الأوّل:

مما يجدر الالتفات إليه أنّ الروايات تتحدّث - بحسب ظاهرها - عن وجود علاقة تكوينية بين وجود الإمام وبقاء الأرض، فهو علّة لبقائها واستقرارها، فانخساف الأرض وتموجها واضطرابها، وما شاكل ذلك، كلّ من الآثار التكوينية الناجمة عن فقد الإمام وارتفاعه، ولكن يا تُرى هل المراد منها هذا المعنى الظاهر، أي انخساف الأرض حقيقة أو المراد معنى كنائي وهو هلاك البشر واضطراب نظامهم، أو شيء آخر؟

هناك ثلاثة اتجاهات في هذا المجال:

الاتجاه الأول: ما تبناه بعض الأعلام، من المحافظة على المعنى الظاهر، وأن الأرض تسيخ حقيقةً، وتضطرب وتزول، منهم صاحب الأنوار الساطعة، حيث قال: (الظاهر هو الهلاك الحقيقي كما لا يخفى)^(٩١).

الاتجاه الثاني: ما احتمله بعض الأعلام، من أن المراد منها المعنى الكنائي، وهو الكناية عن هلاك الناس، وذهاب نظامهم. وفرقه عن الأول أن المفروض في الأول زوال الأرض حقيقةً وفنائها، بينما على هذا المعنى لا يفترض فناء الأرض وزوالها، وإنما هلاك البشر وفنائهم.

منهم المولى المازندراني في شرح أصول الكافي، حيث قال: (قوله: (لساخت): أي لغاصت في الماء وغابت، ولعلّه كناية عن هلاك البشر وفنائهم، ويحتمل أن يريد الحقيقة لأن الغرض الأصلي من انكشاف بعض الأرض هو أن يكون مسكناً لهم وكونه مسكناً لغيرهم من الحيوانات المتنفسّة إنّما هو بالعرض، فإذا فات الغرض الأصلي عاد إلى وضعه الطبيعي)^(٩٢)، ومراده من (عاد إلى وضعه الطبيعي) غوص الأرض في الماء، وزوالها.

ومنهم العلامة المجلسي في مرآة العقول، حيث قال: (والمراد هنا غوصها في الماء إمّا حقيقةً أو كناية عن هلاك البشر وذهاب نظامها)^(٩٣).

الاتجاه الثالث: ما حكي عن السيّد المرتضى في الشافي، من أن المراد وقوع الفتن، والضلال، وغياب الأمن والسعادة، بسبب ارتفاع الإمام، وليس المراد زوال الأرض حقيقةً، أو زوال الناس وفنائهم، فهذا الاتجاه يفترض بقاء الأرض، وبقاء الناس مع فقد الإمام، ولكن تضطرب أمور الناس من حيث الاستقامة والصلاح، وبهذا يفرق عن الاتجاهين السابقين.



فقد حكى عنه ذلك الميرزا أبو الحسن الشعراني، في تعليقه له على شرح أصول الكافي.

قال ما نصّه: (قوله: (ولعلّه كناية عن هلال البشر): أنكر السيّد المرتضى عليه السلام في الشافي أن يكون مذهب الإماميّة زوال الأرض وهلاكها تكويناً، أمّا قولهم: «لولا الحجّة لساخت الأرض» فإن ثبت صدوره من الإمام المعصوم كان المراد الفتنة والضلال وهلاك الناس بزوال الأمن والسعادة، لأنّ عدم وجود الإمام العادل المتصرّف إمّا أن يكون بعدم وجود أمير مطلقاً وفساد ظاهر، وإمّا بوجود جائر أو جاهل وهو مثله) ^(٩٤).

والانّجاء الأوّل هو الموافق للظاهر، ولا تُرفع اليد عنه إلّا بقريضة لفظية أو عقلية، وهي مفقودة في المقام، ولهذا لا يُصار إلى الانّجاهين الآخرين لأنّهما خلاف الظاهر.

إن قلت: روايات الطائفة الثالثة تصلح أن تكون قرينة لرفع اليد عن الظاهر، إذ هي تُعلّل ضرورة وجود الإمام برفع اللبس عن الناس وتمييزهم بين الحقّ والباطل، وأنّه لو رُفِعَ لالتبس على الناس أمرهم، ولم يُفرّقوا بين الحقّ والباطل، وهذا يعني أنّ وجود الإمام وعدمه لا علاقة له بالأرض، وإنّما العلاقة كلّ العلاقة بحال الناس، فمع ذهابه يهلك الناس، بحسب الانّجاه الثاني، أو يضلّون وتفسد أمورهم، بحسب الانّجاه الثالث.

قلت: يمكن أن تُجيب بما يلي:

أوّلاً: قد نقبل هذه القرينة لو لم يكن غير هذه الطائفة من الروايات، ليُقال: إنّ ذيلها يصلح لتفسير المراد من صدرها، إلّا أنّ وجود بقيّة الطوائف يمنع من

قبول ذلك، خصوصاً مع ملاحظة روايات الطائفة الأولى التي يدور الكلام فيها سؤالاً وجواباً حول الأرض، حيث يسأل السائل: هل تبقى الأرض بلا إمام؟ فيقول الإمام: «لا، إذاً لساخت»، أو يبتدأ الإمام بذلك من غير سؤال، وليس فيها إشارة إلى الناس لا من قريب ولا من بعيد.

ثانياً: لو تنزلنا وافترضنا عدم وجود غير هذه الطائفة، لا نُسلم دلالتها على المطلوب أصلاً، إذ هي لا تتنافى مع إرادة المعنى الحقيقي، وإنما هي تتحدث عن حال الناس عند فقد الإمام، وأمّا حال الأرض بعد ذلك، أبقى أم تزول؟ فهي ساكتة عن ذلك.

ثمّ ممّا يقوّي الاتجاه الأوّل كثرة الروايات، الناتج من كثرة السؤال حول هذا الموضوع، فلو كان المراد أنّ فقد الإمام ليس له تأثير تكويني، وإنما له تأثير في استقامة الناس وسعادتهم، لما اقتضى ذلك كثرة الأسئلة، وتكرارها، حتّى في الرواية الواحدة، إذ تأثير الإمام العادل في استقامة أمور الناس وتبدير شؤونهم وسعادتهم من الأمور الواضحة التي لا تستوجب كلّ هذه الأسئلة، بينما افترض تأثير الإمام في الأرض تأثيراً تكوينياً ممّا يثير الاستغراب، ويستدعي كثرة الأسئلة والاستفهامات، وتكرارها.

والحاصل: ظاهر الروايات وجود علاقة تكوينية بين الإمام والأرض، فمع زواله تزول الأرض، ولا يوجد ما يمنع من الأخذ بهذا الظاهر، خصوصاً وأنّ هذا المعنى يتناسب مع السنن الإلهية الجارية على الأمم التي كُتِبَ عليها العذاب الدنيوي، فكلّ أمةٍ استحقّت العذاب أخرج الله تعالى منها أنبياءه وصلحاءه ثمّ أهلكهم، ودمّر أرضهم ومساكنهم، وإليك بعض تلك الشواهد:

١ - من ذلك ما جاء في قصّة نبيّ الله لوط عليه السلام حيث أمره الله تعالى بالخروج



منها مع أهله إلا امرأته، ثم أهلك قريته وجعل عاليها سافلها.

قال تعالى: **قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾** فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ (هود: ٨١ - ٨٣).

٢ - وفي قصة نبي الله شعيب قال (عز من قائل): ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِئِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ (هود: ٩٤ و ٩٥).

٣ - وقال تعالى في قصة نبيه نوح **﴿إِلَّا﴾**: **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾** وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (هود: ٤٠ - ٤٤).

إلى غيرها من الشواهد القرآنية الكثيرة.

ومع توضيح هذا نأتي إلى الجواب عن السؤال، فنقول:

أولاً: أنَّ الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله تعالى، وقد خلق الله الأرض وما عليها لخدمة هذا الإنسان، الذي هو خليفة الله في الأرض، يُحقّق إرادته تعالى، ويُنفّذ مشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال (عزّ من قائل): ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَايِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

ثانياً: أنَّ الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان لها آثار تكوينية، من قبيل: منع المطر، وقلّة الزرع، وانتشار الأمراض والأوبئة، ونحو ذلك. وقد تحدّث القرآن الكريم عن ذلك في عدّة آيات، وهكذا أحاديث أهل البيت عليه السلام، قال تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾﴾ (الشمس: ١١ - ١٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

ونقرأ في دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذنوب التي تهتك العصم، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذنوب التي تُنزل النقم، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذنوب التي تُغيّر النعم، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذنوب التي تجبس الدعاء، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذنوب التي تُنزل البلاء» (٩٥).

والنصوص في هذا المجال كثيرة، ومنها يتّضح بما لا يقبل الشكّ أنَّ أفعال الإنسان الصالحة والطالحة ممّا لها تأثير إيجابي أو سلبي في عالم التكوين، أمّا



كيف يكون هذا التأثير، وما هي طبيعته؟ فهو ممّا يحتاج لبحث ودراسة معمّقة، ولعلّ بالامكان أن نطرح هذه الفكرة، وهي: أنّ الكون كلّ خاضع لنظام وقانون ومعادلات ثابتة، وبمجرّد أن يحصل اختلال في بعض جزئياته يتأثّر نظامه وقانونه، فالأرض تدور حول نفسها، فيحصل الليل والنهار، وبمجرّد أن تتوقّف عن الدوران تنعدم ظاهرة الليل والنهار، ويكون إمّا ليل وإمّا نهار، وقس على ذلك بقيّة الأمثلة، وحيث إنّ فعل الإنسان له حصّة من الوجود فلا بدّ أن يخضع لقانون ونظام معيّن ضمن هذا النظام الكوني العام المترابط في كلّ جزئياته ومفرداته، فإذا خالف هذا الإنسان هذا القانون من خلال الخروج عمّا رسمه الله تعالى له من نظام وقانون فلا بدّ أن يكون لهذا الخروج من تأثير على هذا النظام الكوني، وما لم يُصحّح المسير ويعود هذا الإنسان إلى نظامه المرسوم له وفق الخطّة الكونيّة فلا بدّ أن تتداعى التأثيرات وتتلاحق، ومن ثمّ يحصل الدمار والخراب، بسبب تعطلّ النظام الكوني العام.

ثالثاً: من خلال هذه الفكرة نستطيع أن نفهم الروايات التي تقول: «لا يصلح الناس إلّا بإمام، ولا تصلح الأرض إلّا بذلك»، والتي تقول: عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقى الأرض بلا عالم حيّ ظاهر يفرع إليه الناس في حلالهم وحرامهم؟ فقال لي: «إذا لا يُعبد الله يا أبا يوسف»، والتي تقول: «لن تبقى الأرض إلّا وفيها رجل منّا يعرف الحقّ، فإذا زاد الناس فيه قال: قد زادوا، وإذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، وإذا جاؤوا به صدّقهم، ولو لم يكن كذلك لم يُعرف الحقّ من الباطل»، فصلاح الأرض بل الكون لا يتمّ إلّا بصلاح الناس لأنّهم ضمن النظام الكوني العام، الذي إذا ما تصدّعت بعض أجزائه أو اختلّت - ومنها أفعال الناس وآثارهم - تصدّع سائر الكون واختلّ نظامه، وحيث إنّ الخطأ وارد في حقّ الناس لعدم عصمتهم، احتاجوا إلى المعصوم الذي يقوم بدور الإصلاح وإيضاح الحقّ من الباطل.

وإذا أردنا أن نرتب هذه الروايات ترتيباً منطقياً متسلسلاً، يمكن أن نقول:

١ - لا تصلح الأرض إلا بصلاح الناس، ولا يصلح الناس إلا بوجود الإمام المعصوم.

٢ - لأنهم إذا زادوا شيئاً نبههم إلى ذلك، وإن نقصوا شيئاً نبههم إلى ذلك، وإن جاؤوا بالحق كاملاً صدقهم.

٣ - فإذا فقد الإمام اختلط على الناس الحق والباطل، فلم يستطيعوا أن يحققوا الغاية التي من أجلها خلقوا وخلق الكون والأرض لهم، وهي العبادة الكاملة التامة ولو بوجوده المقدس، إذاً بارتفاع الإمام لا يُعبد الله تعالى حقَّ عبادته، فتتفنى الغاية التي لأجلها خلقت الأرض، فتضطرب وتزول.

وحاصل الجواب: أن فقد الإمام المعصوم يوجب فقد الغاية التي لأجلها خلق الكون، وهي العبادة الصحيحة الكاملة، إذ غير المعصوم لا يستطيع أن يحقق هذه الغاية دون هذا المرشد والمعلم، وحيث إن أفعال الإنسان الناقصة لها تأثير سلبي في تغيير المعادلات الكونية، فلا بد أن تتأثر بذلك الأرض فتضطرب وتسيخ.

جواب السؤال الثاني:

اتضح من خلال الجواب المتقدم عن السؤال الأول.

جواب السؤال الثالث:

يمكن أن نجيب بجوابين:

١ - اتضح من خلال الجواب المتقدم أيضاً، فإن الذي يعلم الزيادة والنقصان، والحق والباطل، بحيث لا يقع في حقه الاشتباه أو الخطأ إنما هو المعصوم فقط.



٢ - التصريح بذلك في بعض الروايات المتقدّمة، راجع على سبيل المثال الطائفة الأولى الأحاديث (٨ - ١٠)، والطائفة الثانية الأحاديث (٢ و ٣)، والطائفة الثالثة الحديث (١).

وفي خاتمة البحث نُلخّص النتائج التالية:

١ - إنّ الروايات الدالّة على أنّ الارض لا تخلو من الإمام المعصوم قد بلغت حدّ التواتر الذي لا يسع معه الإنكار والتكذيب، بل يجب معه الإذعان والتصديق.

٢ - إنّ هذا المضمون مروئي في مصادر العامّة، ولم تنفرد الإماميّة بروايته.

٣ - اتّضح أنّ الصحيح المحافظة على ظاهر الروايات الدالّة على أنّ الأرض تسبخ حقيقة عند فقد الإمام المعصوم.

٤ - من الواضح أنّ من الأسباب المهمّة وراء صدور هذا النوع من الروايات وبهذه الكثرة العظيمة هو إثبات وجود الإمام المهدي المنتظر عليه السلام في عصر الغيبة.



الهوامش

١. الكافي ١: ٣٣٧/ باب الغيبة/ ح ٥.
٢. بصائر الدرجات: ٥٠٨.
٣. علل الشرائع ١: ١٩٨؛ عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٦؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٢.
٤. بصائر الدرجات: ٥٠٨.
٥. الإمامة والتبصرة: ٣٠؛ الكافي ١: ١٧٩؛ علل الشرائع ١: ١٩٦.
٦. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠١.
٧. الغيبة للطوسي: ٢٢٠؛ الغيبة للنعماني: ١٣٩.
٨. بصائر الدرجات: ٥٠٨.
٩. الكافي ١: ١٧٩.
١٠. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٢.
١١. الغيبة: ١٣٩.
١٢. دلائل الإمامة: ٤٣٥.
١٣. بصائر الدرجات: ٥٠٨.
١٤. علل الشرائع ١: ١٩٨.
١٥. الكافي ١: ١٧٩.
١٦. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٢.
١٧. بصائر الدرجات: ٥٠٩.
١٨. الكافي ١: ١٧٩.
١٩. علل الشرائع ١: ١٩٨؛ عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٦.
٢٠. الغيبة: ١٤٠.
٢١. بصائر الدرجات: ٥٠٩.
٢٢. عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٧.
٢٣. الكافي ١: ٥٣٤.
٢٤. الأمالي: ٢٥٢.
٢٥. كفاية الأثر: ١٦٣.
٢٦. الكافي ١: ١٧٩.
٢٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٢.
٢٨. دلائل الإمامة: ٤٣٥.
٢٩. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٣.
٣٠. مقتضب الأثر: ٤.
٣١. بصائر الدرجات: ٥٠٥.
٣٢. الكافي ١: ١٧٨.
٣٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٩.
٣٤. بصائر الدرجات: ٥٠٥.
٣٥. الإمامة والتبصرة: ٢٩.
٣٦. الكافي ١: ١٧٩.
٣٧. بصائر الدرجات: ٥٠٦.
٣٨. الكافي ١: ١٧٨.
٣٩. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٣.
٤٠. بصائر الدرجات: ٣٥١.
٤١. علل الشرائع ١: ١٩٩.
٤٢. علل الشرائع ١: ٢٠١.
٤٣. بصائر الدرجات: ٣٥١.
٤٤. المصدر السابق.
٤٥. علل الشرائع ١: ١٩٦.
٤٦. بصائر الدرجات: ٣٥٢.
٤٧. علل الشرائع ١: ٢٠٠.
٤٨. بصائر الدرجات: ٥٠٦.
٤٩. الإمامة والتبصرة: ٣١.
٥٠. علل الشرائع ١: ١٩٧.
٥١. علل الشرائع ١: ١٩٥.
٥٢. الإمامة والتبصرة: ٢٧.
٥٣. هكذا في المصدر، والصحيح: (لا تخل)؛ وهكذا

الهوامش

- الأمري (خافي) إذ الصحيح (خاف).
 ٥٤. بصائر الدرجات: ٥٠٦.
 ٥٥. الإمامة والتبصرة: ٢٦.
 ٥٦. الكافي: ١: ١٧٨.
 ٥٧. علل الشرائع: ١: ١٩٥.
 ٥٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٢.
 ٥٩. المصدر السابق.
 ٦٠. علل الشرائع: ١: ١٩٦.
 ٦١. الإمامة والتبصرة: ٣٠.
 ٦٢. الإمامة والتبصرة: ٢٥.
 ٦٣. الإمامة والتبصرة: ١٠٠.
 ٦٤. الكافي: ١: ١٧٩.
 ٦٥. عيون أخبار الرضا: ٢: ١٣٠.
 ٦٦. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٢.
 ٦٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٩.
 ٦٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٩.
 ٦٩. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩.
 ٧٠. الغيبة: ١٤٤.
 ٧١. الإمامة والتبصرة: ٢٨.
 ٧٢. علل الشرائع: ١: ١٩٦.
 ٧٣. المصدر السابق.
 ٧٤. علل الشرائع: ١: ١٩٦.
 ٧٥. بصائر الدرجات: ٥٠٧.
 ٧٦. الإمامة والتبصرة: ١٣٥.
 ٧٧. الكافي: ١: ١٧٧.
 ٧٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.
 ٧٩. ينابيع المودة: ٣: ٣٦١، نقلاً عن فرائد السمطين
 ٤٥: ١.
٨٠. الصواعق المحرقة: ١٥٠.
 ٨١. النهاية: ٣: ٦٥.
 ٨٢. لسان العرب: ٣: ١١.
 ٨٣. القاموس المحيط: ١: ٢٦٢.
 ٨٤. العين: ٦: ١٩٥.
 ٨٥. الصحاح: ١: ٣٤٢.
 ٨٦. معجم مقاييس اللغة: ٥: ٢٨٤.
 ٨٧. لسان العرب: ٢: ٣٧٠.
 ٨٨. الصحاح: ٣: ١١٠٩.
 ٨٩. النهاية: ٥: ٩٧.
 ٩٠. لسان العرب: ٧: ٢٤٠.
 ٩١. الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: ٢: ٥٥.
 ٩٢. شرح أصول الكافي: ٥: ١٢٦.
 ٩٣. مرآة العقول: ٢: ٢٩٧.
 ٩٤. شرح أصول الكافي: ٥: هامش ص ١٢٦.
 ٩٥. مصباح المتهجد: ٨٤٤.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

انتظار الفرج وأثره في الحد من الآفات الاجتماعية

محمد باقر آخوندي

ترجمة: حسن علي مطر

المقدمة :

مَنْ مَنَّا لم يعتصر قلبه الألم وهو يشاهد أنواع الانحرافات والآفات الاجتماعية المتعددة.

حيث إنّ المرحلة الراهنة تشهد ما يلي:

- الضياع الأخلاقي وضعف العواطف والمشاعر الأسرية بشكل يتجاوز حدود الوصف.

- لقد أدّى التزيّن الظاهري إلى تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

- تزايد حالات ومظاهر الفسق والفجور في المجتمع.

- تشهد أركان المجتمع حالة من الاضطراب والفوضى، وأصبح المهرج

والمرج هو السائد.

- يقوم الأفراد بأكل أموال بعضهم، ويتربصون ببعضهم.

- لقد أحاطت نار الأحقاد بكلّ شيء، واتّسعت رقعة المذابح الوحشية.

- انتشر الكذب وأضحت شهادات الزور سيّدة الموقف.

- تمّ نسيان الفضائل الماضية، وحلّت محلّها البدع التي لا تستند إلى أساس

صحيح.





- تشهد الحالة الاجتماعية ضعفاً في التمسك بتعاليم الدين الإلهي^(١).

من خلال التوصيف المتقدم للآفات الاجتماعية نجد أنه على الرغم من رفع مستوى الوعي لدى الناس، وتطور النظام السياسي للسيطرة والإشراف والرقابة على المجتمع، وتشديد العقوبات، لم تحدّ من تسارع وتيرة الانحرافات، بل إنهما مع ذلك آخذة في الازدياد يوماً بعد يوم، مما يثبت عدم جدوائية الأساليب المتقدمة.

والسؤال المطروح هنا:

ألا يمكن العثور على حلّ للمشاكل الراهنة من خلال الرجوع إلى الدين حيث يُوفّر الأرضية المناسبة للسيطرة على المشاكل والآفات الاجتماعية؟ في معرض الجواب عن هذا السؤال تقول الفرضية الرئيسة لهذا المقال: إنَّ (انتظار الفرج) يُمثّل واحداً من الحلول الجوهرية للحدّ من المشاكل والآفات الاجتماعية.

ومن الضروري لتوضيح هذه الفرضية العمل على دراسة الانحرافات، وتحديد عللها وأسبابها، وبيان كيفية إيجاد الحلول لهذه المشاكل والانحرافات والآفات من خلال التدبُّر والتعمُّق في مفهوم (انتظار الفرج).

تعريف المفاهيم:

أ - الآفة الاجتماعية:

إذا كان المعيار قاعدة الفعل الاجتماعي، فإنَّ الآفة سوف تُعدُّ نقضاً لهذه القاعدة. إنَّ قواعد الفعل تتحدّد تارةً من خلال الدين والوحي الإلهي، وتارةً من خلال المجتمع واتِّفاق الأكثرية، والقانون تارةً أخرى. كما يتمُّ تقسيم الانحرافات إلى الانحرافات الأولى والثانوية، والانحرافات الفردية والجماعية، والانحرافات الواعية واللاواعية^(٢).

ب - الانتظار:

الانتظار لغةً: المكث، والرصد، والتوقع، ونوع من التفاؤل بالمستقبل.



وأما اصطلاحاً فيمكن أن يكون هناك مفهومان مستقلّان له:

فمن جهة تتمّ ترجمة الانتظار إلى (الترصد) حيث يستسلم الأفراد للواقع القائم، دون القيام بأيّ عمل من شأنه إصلاح المستقبل. فهؤلاء يضعون يداً على يد منتظرين ظهور المنقذ، ليتولّى عملية الإصلاح بالنيابة عنهم، ثمّ يُسلم مقاليد الأمور إليهم. وفي هذه الظروف تتعطّل المسؤوليات الاجتماعية والفردية، وتكون الأجواء مفتوحة لإشاعة الفحشاء وانتشار الفساد. كما تترتب على الانتظار بهذا المعنى الكثير من التداعيات الخطيرة، من قبيل: تعطيل الكثير من الحدود والأوامر الإلهية التي تُعتبر من المسؤوليات الاجتماعية والفردية لكلّ مسلم ومسلمة.

وفي مثل هذه الظروف ليس هناك من شكّ في أنّ مثل هذا المجتمع سيأخذ طريقه إلى الزوال والانقراض المحتوم طبقاً للسنن التاريخية حتّى قبل أن يصل الأمر إلى ظهور المنقذ.

وعلى هذا الأساس يكون هذا النوع من الفهم للانتظار أفيوناً ومخدّراً، ولا شكّ في أنّ الروايات الشريفة لا تريد هذا النوع من الفهم؛ وذلك لأنّ هذه الروايات تعتبر الانتظار من أفضل أعمال الأُمّة الإسلاميّة، وقد تمّ رصد الكثير من الأجر والثواب على من يمارس مفهوم الانتظار بشكله الصحيح. لقد شهد التاريخ على امتداده الكثير من التيارات والجماعات والأفراد الذين عملوا على إلهاء أنفسهم ومن يحيط بهم من خلال التمسك بهذا الفهم الساذج والسطحي للانتظار لفترات من الزمن، ولكن أين هذا من أحكام الدين الحيوية والراقية^(٣)!

وعلى كلّ حال رغم اشتغال الانتظار على معنى الترقّب والتفauّل بالمستقبل، يمكن بيانه بشكل آخر.

وفي الفهم الثاني يكون الانتظار جزءاً من فطرة الإنسان^(٤)، حيث يخلق لديه حالة من عدم الرضا بالواقع الراهن، ويسعى إلى تغييره وإصلاحه.



والانتظار بهذا المعنى هو في حقيقته رفض للظلم والجور، وينطوي على عنصر التحفيز والشعور بالمسؤولية والحيوية والبناء والوعي واليقظة. كما أنَّ الانتظار بهذا المعنى يعني العمل والنشاط والحيوية والحركة، وإعداد العُدَّة والأرضية، كما أنَّه يُمثَّل بالنسبة إلى الفرد المخطَّط وصاحب النظرة البعيدة منهجاً أساسياً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

إنَّ الانتظار طريق إلى المستقبل والوصول إلى الأهداف السامية في المستقبل. لا بدَّ من الاعتراف بأنَّ كلَّ عمل عظيم للوصول إلى هدفٍ أسمى إذا لم يكن مسبقاً بمرحلة من الانتظار والتمهيد والإعداد النفسي، فهو أبتَر، ولن يتمَّ تحقيقه بالنحو المطلوب. وكلَّما كان الهدف والغاية أعظم، كانت مرحلة الانتظار أوسع وأكبر أيضاً^(٥).

جذور السلبيات والآفات الاجتماعية :

إنَّ الأسباب التي تُذكر لظاهرة الانحراف - بالالتفات إلى مختلف الاتجاهات - تتفاوت بشكل صريح، فبينما يذهب علماء الأحياء إلى القول بأنَّ ذلك يعود إلى نقص في العضو - على سبيل المثال - يذهب علماء النفس إلى القول بأنَّه يعود إلى المشاكل النفسية. ويذهب علماء الاجتماع إلى تفسير ثالث مغاير لهما مغايرة جوهرية؛ حيث يُرجعون أسباب الانحراف إلى الحقائق الاجتماعية.

وفي هذا المقال نسعى إلى بيان بعض التفسيرات الاجتماعية في هذا المجال ضمن الأمثلة الثلاثة الآتية، وهي: (النظم الاجتماعي)، و(التضاد الاجتماعي)، و(ردود الأفعال الاجتماعية المتبادلة). وعلى الرغم من التباينات المختلفة والمناسبة المتحققة حتَّى الآن في بيان الأسباب النظرية للانحراف، إلَّا أنَّ التبويب الآتي قد يفي بالإجابة المناسبة عن السؤال الأوَّل لهذا المقال.

أ - ضعف السيطرة والرقابة الاجتماعية:

تُثبت الدراسات حدوث تغيّرات في ثلاثة أركان من المجتمع المعاصر، وهي:



الأركان المتمثلة بالأسرة، وظروف العمل، والمجتمعات المحليّة^(٦). فإنّ الأسرة - على سبيل المثال - التي كانت تلعب دوراً محورياً في تلبية الحاجات الجسدية والنفسية والروحية والعاطفية والاجتماعية للأولاد، والتي كانت تساعدهم في حقل بناء الشخصية وتكوين الهوية، وتمدُّ لهم يد العون في مجال النموّ والازدهار وتطوير طاقاتهم، قد تعرّضت هي الأخرى للتغيّر الجوهري في الآليات والأدوات. حيث أخذ أفراد الأسرة مؤخراً يقضون فترات طويلة من أوقاتهم خارج البيت، ويعودون أحياناً فرادى ليأخذ كل واحد منهم طريقه إلى مخدع النوم ليستريح بعد يوم حافل بالعمل الشاقّ والمرهق.

ومن هنا فقد انخفض منسوب العلاقات الاجتماعية المتبادلة ضمن أفراد الأسرة، وغابت المودة والراحمة فيما بينهم، وحلّت محلّها العلاقات الرسمية بالتدريج. فالأسرة التي كانت حتّى الأمس القريب تتكفّل بجانب كبير من المسؤولية الاجتماعية حيث تضطلع بمهمّة الإشراف والسيطرة على أفراد الأسرة، وتعمل إلى حدّ كبير على إصلاح وتحسين سلوكهم، بدأت تأخذ طريقها نحو الضعف والانحسار.

ومن جهة أخرى حيث لم يعد باستطاعة بعض أفراد الأسرة القيام بدورهم على النحو المطلوب؛ فقد آلت الأسرة إلى التفكّك والتصدّع^(٧).

وفيما يتعلّق بالمجتمعات المناطقية والمحليّة يجب القول: إنّ المجتمع المعاصر يشهد ضعفاً ملحوظاً في هذه الناحية أيضاً؛ حيث لا يحصل الأفراد على الحماية من قبل الأسر المجاورة لهم. فبينما كانت فترة استقرار وإقامة الأفراد والأسر في بيت ومكان واحد تمتدّ لمُدّة طويلة، وكانت العلاقات بين الأفراد والأسر والجيران وثيقة ومتينة، وكان مستوى الرقابة والإشراف في هذه التجمّعات المحليّة على الأفراد كبيراً، ويُشكّل عقبة أمام انحرافهم، أخذت فترة الاستقرار والإقامة في مكان واحد تشهد في الآونة الأخيرة تراجعاً إلى حدّ كبير، حيث زاد حجم الانتقال من بيت إلى بيت، ومن منطقة إلى أخرى.



ومن ناحية أخرى ساعدت ظاهرة النزوح من الأرياف والقرى والمدن الأخرى والتنوع الثقافي والعرقي ولاسيما في المدن الكبرى على ضعف الرقابة والسيطرة الاجتماعية المحلية إلى حد كبير، وربما زال مفهوم المجتمعات المحلية في الكثير من المدن الكبرى [حيث لا يعرف الجار جاره]. ويمكن مشاهدة النموذج البارز لهذه الظاهرة في ضواحي المدن بوضوح، حيث تكثر هناك الجرائم بالقياس إلى المناطق الأخرى إلى حد كبير^(٨).

كما شهدت ظروف العمل في المجتمع المعاصر تغييراً جوهرياً أيضاً، حيث بدأت تأخذ طابعاً تعاقدياً ومؤقتاً. ومن هنا لم يعد الأفراد يحصلون في الغالب على هوية وطبيعة عمل ثابتة، ولم يعد بإمكان الوظائف والأشغال أن تسهم في السيطرة على الأفراد وبسط الرقابة عليهم كما كان الحال في السابق.

ومن هنا قلّ منسوب الشعور بالأمن لدى المواطنين، وأخذ الأفراد يميلون إلى الانحراف والسقوط في شبكات الإدمان والتهرب والاتجار بالمخدرات^(٩).

وعلى كل حال فإنّ المتغيرات الاجتماعية والثقافية الراهنة تغلق الطريق أمام إمكانية العودة إلى طرق وأساليب تعزيز وتقوية الإشراف والرقابة^(١٠) الاجتماعية القديمة. وعليه لا بدّ من انتخاب طريق يجمع بين مزايا الأساليب القديمة والحديثة والقدرة على التناغم والتفاعل مع المتغيرات والظروف الجديدة والراهنة.

يقوم الادّعاء في هذا المقال على أنّ هذا الطريق يتمّ عبر (انتظار الفرج) على ما سيتمّ بيانه لاحقاً.

ب - انخفاض مستوى الشعور بالتبعية والانتماء إلى المجتمع والقيم:

إنّ من بين أسس تكوّن الجماعات، هو الشعور بالانتماء والتبعية للجماعة، ولذلك أربعة عناصر رئيسة، وهي كالآتي:

١ - التبعية: يذهب (ترافيس هيرشي) إلى الاعتقاد بأنّ الانحراف ينشأ



بالدرجة الأولى من ضعف الشعور بالتبعية والانتفاء إلى المجتمع^(١١). فلو أن الفرد كان متعلقاً بمجتمعه وجماعته لن يجد من نفسه ميلاً إلى انتهاك ونقض معايير الاجتماعية أبداً. ولن يكتفي من نفسه بعدم نقض هذه المعايير الاجتماعية، بل سيقف بوجه كل من يحاول نقض هذه المعايير أيضاً.

٢ - الشعور بالمسؤولية: تعني المسؤولية شعور الفرد بأنه مدين للمجتمع، ويمكن تصوّر ذلك على أربعة أشكال: المسؤولية القيمية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية تجاه الأهداف الجماعية، والمسؤولية تجاه المصادر الاقتصادية^(١٢). وكلّما كان شعور الفرد بكونه مديناً للمجتمع في هذه الحقول الأربعة قوياً، كان احتمال تعرّضه للانحراف أقلّ.

٣ - المشاركة الاجتماعية: إن هذا العنصر من عناصر التبعية الأخرى للمجتمع، حيث يشير إلى حجم ونوع الأنشطة الاجتماعية للإنسان. وكلّما كانت هذه الأنشطة أوسع، كانت المخاطر التي تُهدّد الأفراد وتدفعهم ناحية الانحراف أقلّ، بيد أن العاطلين عن العمل والذين لا يسهمون في النشاط الاجتماعي هم أكثر عرضةً لخطر الانحراف.

٤ - العقيدة والإيمان: يُعدّ الإيمان والاعتقاد بالقيم والتعاليم الدينية في المجتمع عنصراً جوهرياً في حفظ وصيانة الأفراد. فكلّما كان إيمان الفرد قوياً، كلّما كان أقلّ عرضةً للانحراف.

كما هو واضح فإنّ هذه العناصر الأربعة للشعور بالتبعية والانتفاء للمجتمع تُعتبر أدوات للرقابة والسيطرة الاجتماعية، وتربط بها ارتباطاً وثيقاً.

من هنا لو انخفض مستوى شعور الأفراد بالانتفاء والتبعية للمجتمع والثقافة، وانخفض مستوى إحساسهم بالمسؤولية تجاه المجتمع، وكان حجم مشاركتهم الاجتماعية متدنياً، وكان مستوى الالتزام الديني والأخلاقي لديهم ضعيفاً، فإنّهُ سيكون عرضةً للانحراف بشدّة. وعليه لا بدّ من العمل على رفع



مستوى الشعور بالانتماء والتبعية للمجتمع لدى الأفراد، وأن يتم تعزيز الشعور بالمسؤولية لديهم تجاه المعايير والقيم الاجتماعية، والعمل على توسيع رقعة مشاركتهم الاجتماعية، وتعميق التزامهم الديني والأخلاقي. وعلى الرغم من أن الطرق والحلول الأنفة قد يكون لها تأثير ملحوظ في هذا الشأن، إلا أن تأثير الدين ولاسيما فيما يتعلّق بالعنصر الخاصّ والمتمثّل بانتظار الفرج واضح للغاية.

ج - انخفاض الرصيد الاجتماعي:

إنّ من بين المفاهيم والعناصر التي أخذت بالتبلور في الآونة الأخيرة في علم الاجتماع وحتّى في علم الإدارة، وأضحى لها وجود هو مفهوم (الرسال الاجتماعي)^(١٣). وأخذ هذا المفهوم يكتسب يوماً بعد يوم مزيداً من الأهمية لعدّة أسباب، وقد شغل اهتمام الكثير من الباحثين والمحقّقين بشأنه.

إنّ عناصر من قبيل: انفلات الوضع فيما يتعلّق بالهجرة والنزوح إلى المدن الكبرى، وازمحلل المجتمعات التقليدية، وزوال القيم والمعايير المتعلّقة بها، وانهيار الأسر وضعف أسسها، وما إلى ذلك من الأمور، قد فاقم من الظروف التي جعلت الأبحاث المرتبطة بالثروة الاجتماعية تحظى بالأولوية في جميع البلدان، ولاسيما منها البلدان النامية. وفي تلك البلدان هناك الكثير من الشواهد الدالّة على ضرورة الاهتمام الجادّ بمسألة (الرسال الاجتماعي).

إنّ الواضح الذي يمكن للشعور العامّ أن يدركه هو انحسار الصدق والثقة المتبادلة والشعور بالانتماء والتبعية للمجتمع، يقابل ذلك ارتفاع مستوى الشعور بالقلق والخوف والاضطراب.

يذهب (بوتنام)^(١٤) إلى القول بأنّ الرسال الاجتماعي عبارة عن: الخصائص المنظّمة للمؤسسة الاجتماعية، من قبيل: الاعتماد والمعايير، وشبكة العلاقات، والتواصل الاجتماعي، ممّا يرفع بأجمعه من مستوى فاعلية المجتمع من خلال إيجاد التسهيلات وتنسيق الأعمال^(١٥).



إنَّ العناصر الرئيسة والأساسية في الرسال الاجتماعي، عبارة عن: الاعتماد الاجتماعي، والمشاركة الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية المتبادلة، والالتزام الأخلاقي والديني، وعلاقات السلطة والهيمنة. فإذا انخفض مستوى الثقة الاجتماعية في مجتمع، سوف يرتفع مستوى سوء الظنِّ بين الأفراد، الأمر الذي يخلق البيئة الصالحة لانخفاض مستوى العلاقات الاجتماعية المتبادلة، وتدني مستوى المشاركة الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى ضعف العلاقة مع السلطة في المجتمع.

وفي اعتقادي فإنَّ (انتظار الفرج) يُعدُّ عنصراً حيوياً ومحفِّزاً في ثقافة التشييع، حيث يتمتّع بالقدرة التامّة على رفع الرسال الاجتماعي بشكل كامل، على ما سيأتي شرحه وتوضيحه.

د - الافتقار إلى الإجماع الأخلاقي والمعياري في المجتمع:

حيث تُعتبر المعايير الاجتماعية قواعد للسلوك الاجتماعي لدى الأفراد، وتُحدّد الاتجاهات السلوكية للأفراد، فإنَّ أيَّ تصدّع أو شقاق في تلك المعايير الاجتماعية، سيؤدي إلى فوضى وهرج ومرج اجتماعي. وفي ظلّ هذه الظروف المضطربة لا يغدو بإمكان الأفراد أن يقيموا علاقةً وارتباطاً منطقياً بينهم وبين المجتمع، ولن يكون بإمكانهم تنظيم أهدافهم وتصرفاتهم لتنسجم مع مختلف الظروف؛ وذلك لاضطراب قواعد السلوك.

إنَّ هذه الشرائط تُقوّض الوحدة والانسجام الاجتماعي، وتفضي إلى تسلّل الانحرافات والآفات إلى المجتمع^(١٦). ومن جهة أخرى فإنَّ عدم الوفاق الأخلاقي والمعياري في المجتمع يؤدي إلى انهيار السلطة والقدرة الناشئة عن الاتحاد والانسجام الاجتماعي وعدم سيطرة ورقابة المجتمع على الأفراد^(١٧).

إنَّ هذه الحالة التي يتمُّ التعبير عنها بـ (الشذوذ المعياري) أيضاً، تُعبّر عن حالة اجتماعية خاصّة يُحشّر فيها الفرد ضمن شرائط معيّنة تضطرّه إلى الانطواء



على نفسه، ويدعوه سوء ظنه وسوداويته إلى إنكار جميع العلاقات الاجتماعية، وهكذا يتعرّض الفرد إلى الانحراف، وحيث تقلّ السيطرة والرقابة الاجتماعية عليه، ترتفع نسبة انحرافاته وآفاته الاجتماعية.

تقوم فرضية هذا المقال على أن مفهوم (انتظار الفرج) يوجد من الوفاق في القيم والمعايير بحيث لا يعود المجتمع معه عرضة للشذوذ المعياري أبداً، ولن يكون هناك معه أيّ خوف أو خشية من انهيار القيم والمعايير.

هـ - عدم الاعتدال النبوي:

إنّ دراسة السياسات الاجتماعية في بعض المجتمعات تُثبت أن هناك شرخاً عميقاً بين الأهداف التي يتمّ تسويقها وتعريفها للناس، وبين الفرص والآليات التي تُوضع بين أيديهم للوصول إلى تحقيق تلك الأهداف.

فعلى سبيل المثال: عندما يتمّ اعتبار المال والثروة فضيلة وقيمة اجتماعية في مجتمع ما، وتتمّ الدعاية لجمع الثروة بحيث يغدو ذلك غاية مطمح لكل فرد من أفراد المجتمع، يجب أن تكون الفرص والإمكانات للوصول إلى هذه الغاية متكافئة وفي متناول الجميع.

في حين أن الأمر على خلاف ذلك تماماً، حيث لا نجد على أرض الواقع سوى النزر القليل من الذين يمتلكون الفرص والأدوات الكفيلة بتحقيق هذه الغاية، أمّا سائر الناس - وهم الأغلبية - فلا يمتلكون مثل هذه الفرص. وعلى حدّ تعبير (مارتن): إنّ هؤلاء يضطرون من أجل تحقيق هذه الغاية إلى سلوك الطرق الملتوية وغير المشروعة^(١٨). في حين يقوم المدعى في هذا المقال على أن ثقافة الانتظار تعمل على تعريف تلك الأهداف بشكل يُمكن جميع الأفراد من الوصول إليها، حيث يتمّ وضع أدوات الوصول إلى تلك الأهداف في متناول الجميع بشكل متكافئ.

إنّ الاتحاد والانسجام في ثقافة الانتظار من القوّة بحيث يرى الجميع أنفسهم



والآخرين كياناً واحداً حقيقةً، حيث ينشد الجميع هدفاً واحداً محدداً، ويسعى الجميع إلى تحقيقه بكل ما أوتي من قوة.

و - التضاد والتعارض بين القيم والمعايير:

في المجتمع المعاصر حيث تنوّع الأذواق والأمزجة، وحيث يبدو الشرخ الواضح بين الأجيال والتنوّع الثقافي والعرفي واتّساع رقعة وسائل التواصل الاجتماعي، تتمّ الدعاية والإعلام لقيم مختلفة بل ومتعارضة في المجتمع أحياناً. فإنّ النظرة التحقيقية إلى ما تُسوّق له هذه الوسائل الإعلامية، تعكس الترويج إلى الحياة الباذخة واكتناز الأموال والحصول على السلطة والانغماس في الدنيا أحياناً، وأحياناً يتمّ الترويج إلى الأهداف والقيم الدينية السامية، الأمر الذي يعكس عمق التضاد القائم بين المفاهيم الراهنة. حيث تتمّ أحياناً دعوة الناس إلى حبّ الآخرين، ومدّ يد العون إليهم والمبادرة إلى الإيثار والتضحية من أجلهم. وفي أحيان أخرى - أو في الوقت نفسه - يتمّ التسويق لقيم أخرى تقف على الطرف النقيض من القيم الأولى.

فعلى سبيل المثال: في التعاليم المذهبية والدينية يتمّ تصنيف الانغماس في حبّ الدنيا، وجمع الأموال على أنّها أمور مخالفة ومتنافية مع القيم، في حين أنّ الواقع الاجتماعي - بعيداً عن الانغماس في الدنيا واكتناز الثروة - لا يُوفّر إمكانية الحياة لجميع الأفراد على السواء. فلبس العباءة للمرأة يتمّ الترويج له تارةً على أنّه قيمة حضارية للمرأة، وفي الوقت نفسه يتمّ تصويره في مقلب آخر على أنّه مخالف للقيم.

إنّ التعارض القائم بين القيم يؤدّي إلى تسلّل هذا التضاد إلى المجتمع ويعمل على تقسيمه إلى قطبين متنافرين أو إلى عدّة أقطاب متنافرة تماماً. كما أنّ هذا التناقض في القيم والمعايير يُعرّض النظم والتلاحم الاجتماعي لخطر الانهيار، حيث يتدنّى مستوى العلاقات الاجتماعية، ويخلق مرتعاً خصباً لانعدام الثقة



الاجتماعية، ويحدُّ من العلاقات العاطفية الخاصّة^(١٩). إنّ هذا الوضع يؤدّي بدوره إلى انتكاسة في الرسمال الاجتماعي، كما يُضعف من الرقابة والسيطرة الاجتماعية في المجتمع، وبذلك يرتفع حجم الآفات والانحرافات الاجتماعية بشكل مخيف.

لا بدّ من الالتفات إلى وجود نظريات أخرى في بيان الانحراف. وعلى كلّ حال فإنّ أسباب الانحراف من الكثرة والانتساع والتأثير، بحيث إذا أمكن العمل على إصلاحها عبر آلية محدّدة وفاعلة ومجدية، سوف يمكن القضاء على الجزء الأعظم من الانحرافات الاجتماعية.

تقوم دعوى هذا المقال على إمكانية توفير الأرضية اللازمة لإصلاح الانحرافات والآفات عبر آلية (انتظار الفرج) والعمل على الحدّ منها وتقليلها إلى حدّ كبير.

انتظار الفرج: آلية دينية لتطوير وبناء الإنسان وتكامله:

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

لقد عدّد الله في هذه الآية الكريمة جميع الشرائع التي ظهرت على طول التاريخ، وكان بإمكانها إيصال الإنسان إلى كماله وسعادته الحقيقية، وقد تمّ حصر أنبياء هذه الشرائع في خمسة، وهم: النبيّ نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليه السلام، والنبيّ محمّد ﷺ؛ إذ لو كان هناك من شريعة أخرى لذكرها تعالى؛ لكونه في مقام بيان جامعية الشرائع.

إنّ هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى تُثبت أنّ أنبياء الله ينشدون هدفاً واحداً، ولا يوجد هناك أيّ اختلاف بينهم؛ لأنّهم أخذوا الوحي والإلهام من مصدر واحد^(٢٠).



وعلى هذا الأساس لا يوجد من الناحية العقلية ما يُبرّر أن يوحى الله - وهو العالم الحكيم - إلى أنبيائه أحكاماً متعارضة ومتناقضة. وطبقاً للآيات الإلهية والعقل الإنساني حيث تكامل أجيال البشر على طول التاريخ (من الناحية العقلية والقدرة على احتضان واستيعاب الوحي الإلهي) فإن: (أنبياء الله كالمعلّمين، ربّى كلّ منهم البشرية في فصل دراسي، وبعد انتهاء المرحلة الدراسية الخاصّة به، يُسلّم المجتمع البشري إلى معلّم آخر؛ ليجتاز الأفراد مرحلة دراسية أعلى)^(٢١). ومن هنا فإنّ القرآن الكريم في هذه الآية: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦) يأمر المسلمين بتقديس جميع الأنبياء والمرسلين على السواء.

كان الله سبحانه وتعالى يُنزل في كلّ عصر جانباً من الشريعة بما يتناسب مع مستوى ما توصّلت إليه المجتمعات البشرية من التقدّم والتكامل، والفرق الوحيد بين الشرائع المتعدّدة يكمن في (الإجمال والتفصيل وحجم الفروع) وليس شيئاً آخر. حتّى بلغ الإنسان بالتدرّج - بعد فترة من الانتظار - مرحلة من البلوغ العقلي والفكري، جعلته أهلاً لتقبّل المعارف والتعاليم الإلهية السامية.

في هذه الظروف يكون (الإنسان من حيث العلم والمعرفة قد وصل إلى أعلى المراتب)، وهذا التقدّم والتكامل هو الذي أدّى إلى ختم رسالات السماء بالنبيّ محمّد ﷺ خاتم الأنبياء، الذي تمكّن - بالإضافة إلى (تصديق ما جاء به الأنبياء السابقون) - من أن يأتي من عند الله بأكمل الشرائع المشتملة على جميع الشرائع السابقة، ولكلّ البشر على طول التاريخ^(٢٢).

ومن الطبيعي أن تكون رسالة خاتم الأنبياء - الذي يكون أساسه هو



نفس أساس شرائع الأنبياء السابقين وهدفه هدفها، وماهيّة شريعته ذات ماهيّة شرائع الأنبياء السابقين - هي (التسليم) أمام (الأطروحة) الإلهية، يجب أن يتمّ الإذعان لها بشكل صحيح من قبل الذين يدينون بدين الأنبياء السابقين، إذ طبقاً للماهيّة المتدرّجة للشرائع الإلهية، لو تسنّى لكلّ نبيٍّ من الأنبياء السابقين أن يشهد عصر النبيّ الذي يليه لكان مدعناً له ولا من بشريعته.

وكذلك لو تسنّى لجميع الأنبياء أن يشهدوا عصر خاتم الأنبياء ﷺ لانضمّوا تحت لوائه وإمرته، وصاروا من أتباع شريعته.

ويبدو أنّ السبب الوحيد الذي يدعو أتباع الأنبياء السابقين إلى الامتناع من أتباع أوامر وتعاليم النبيّ اللاحق هو عدم إيمانهم الحقيقي بأنبيائهم وتعاليمهم، بالإضافة - كذلك - إلى وجود المنافع الشخصية والقومية والعرقية في شريعتهم الإلهية؛ وذلك لأنّ كلّ واحد من الأنبياء السابقين قد عرّف أتباعه بالنبيّ الذي يليه باسمه ومواصفاته وظروف عصره وحتى مكان ظهوره، وإنّ أتباع الأنبياء السابقين بدورهم كانوا يقضون فترة انتظار ظهور النبيّ الذي وعد به نبيّهم، وقد تمتدّ فترة الانتظار أحياناً لمُدّة طويلة من الزمن.

وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى الآية الحادية والأربعين من سورة البقرة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

إنّ الله سبحانه وتعالى في صدر هذه الآية يأمر اليهود - الذين كانوا من أشدّ المخالفين للنبيّ الأكرم ﷺ - أن يؤمنوا بالقرآن والنبيّ؛ لأنّ القرآن مصدّق بالتوراة وشاهد عليه، وأنّ التوراة قد ذكرت صفات نبيّ الإسلام ﷺ وتعاليمه الصحيحة. فلو أنّكم قارنتم صفات نبيّ الإسلام ﷺ بما تجدوه في التوراة، ستدركون أنّ القرآن منزل من عند الله، وأنّ من جاء به لا يمكن إلّا أن يكون صادقاً. فالقرآن يُصدّق الكتاب الذي بحوزتكم، والذي يحتوي على



البشارة التي بَشَّرَها جميع الأنبياء السابقين أتباعهم، من أن نبيًّا سيأتي يحمل هذه الصفات، وأنَّ القرآن يُصدِّق هذه البشارة الواردة في التوراة^(٢٣).

ورد في بيان شأن نزول القسم الأخير من هذه الآية الشريفة، حيث يعكس سبب عدم إيمان اليهود بالنبيِّ الأكرم ﷺ، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«كان حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من [أثرياء] (٢٤) اليهود لهم مأكلة على اليهود في كلِّ سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبيِّ؛ فحرَّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره [ليواصلوا أخذ تلك المأكلة من الناس]»^(٢٥)»^(٢٦).

من هنا يمكن استنتاج الأمور الآتية:

١ - إنَّ الأنبياء الذين كانت لهم شرائع سماوية، هم خمسة أنبياء لا أكثر، وهم: النبيُّ نوح، والنبيُّ إبراهيم، والنبيُّ موسى، والنبيُّ عيسى عليه السلام، والنبيُّ محمد ﷺ، وأمَّا سائر الأنبياء الآخرين (البالغ عددهم ١٢٤ ألف نبيٍّ) فكانوا مجرد مبلِّغين وناشرين لتلك الشرائع.

٢ - إنَّ كلَّ دين آخر غير هذه الأديان الخمسة، إنَّما هو من صنع البشر، ولا يحظى بتأييد القرآن الكريم.

٣ - إنَّ جميع الأنبياء قد تلقَّوا الوحي من مصدر واحد، وينشدون غاية واحدة.

٤ - إنَّ اختلاف الشرائع السماوية إنَّما يكمن في الإجمال والتفصيل، وفي حجم الفروع فيها.

٥ - إنَّ جميع الأنبياء كانوا يُصدِّقون بمن سبقهم من الأنبياء، ويُشِّرون بالنبيِّ الذي سيأتي بعدهم.



٦ - إنَّ انتظار ظهور المنجي كان موجوداً في جميع الشرائع السماوية، وفي الفترة الواقعة بين ظهور شريعة وشريعة أخرى، كان الناس يعيشون فترة من الانتظار.

٧ - إنَّ شرائع الأنبياء إنما هي في الواقع عبارة عن خمسة شؤون لحقيقة واحدة تُعبّر عن مسار وهدف واحد متدرّج.

٨ - إنَّ شريعة خاتم الأنبياء ﷺ تُمثّل المرحلة الأخيرة من مراحل ودرجات سُلّم تكامل الدين الإلهي، حيث تُلبّي جميع ما يحتاج إليه الإنسان، وتشتمل على جميع الشرائع السابقة.

٩ - إنَّ شرائع الأنبياء حقيقة واحدة، وهي عبارة عن (تسليم) الإنسان أمام (المشروع) الإلهي^(٢٧).

يُعتبر (انتظار الفرج) في المسار التكاملي للدين من وجهة نظر القرآن، هو الطريق الرئيس للتكامل الفكري والعقائدي للبشر.

يُعرفون على أساس الآية السابعة والستين من سورة آل عمران باسم واحد فقط، هم (المسلمون)^(٢٨).

إنَّ ما تقدّم يُثبت أنَّ كلَّ واحد من الشرائع السماوية كانت مقرونة بمرحلة من الانتظار، وما لم تنصرم تلك المرحلة وتبلغ نهايتها فلن تصل المرحلة إلى ظهور الشريعة اللاحقة؛ لأنَّ التكامل الفكري للبشرية في كلِّ مرحلة يقتضي مقداراً من التعاليم والأحكام الإلهية، ولم يكن بوسع الإنسان في حينها أن يتقبّل ما يزيد عليها.

ونتيجة لذلك فقد تعاقبت البشرية على أربع مراحل تكاملية من الانتظار، حتّى بلغت مرحلة من التقدّم نحو التكامل؛ حتّى تمكّن الإنسان من تحمّل المعارف والأحكام الإلهية بشكل تامّ وكامل.

طبقاً لما تقدّم ندرك أنَّ جهود جميع الأنبياء والشرائع السماوية إنّما كانت



من أجل بلورة آخر الشرائع السماوية وأكملها (حيث يشتمل عليها بأجمعها)، وذلك إثر تكوّن المجتمع المهدوي بعد انقضاء مرحلة من الانتظار.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنّ ثمرة ونتيجة جهود جميع الأنبياء هو الوصول إلى بناء المجتمع المهدوي عبر اجتياز مراحل من الانتظار على طول التاريخ.

وقد بدأت هذه الجهود منذ نزول شريعة نوح عليه السلام واستمرت إلى هذه اللحظة بشكل متسلسل للوصول إلى هدف واحد، إذ تقدّم أن قلنا: إنّ الدين الإلهي حقيقة واحدة ذات شؤون مختلفة ولكنها في طول بعضها، وإنّ كلّ واحد من هذه الشؤون تولّى فيها نبيٌّ من أنبياء الله مهمّة التأسيس لها، وإنّ الأنبياء يُصدّقون بعضهم بعضاً، وكلٌّ لاحق منهم يُكمل مسيرة السابق.

إنّ المجتمع المهدوي الذي هو نتيجة جميع الشرائع السماوية لا يختصّ بقوم أو مجتمع أو ثقافة محدّدة، وإنّهُ سوف يتبلور عبر مراحل مختلفة من النموّ والازدهار الفكري والاعتقادي للبشر على طول تاريخ ما بعد بعثة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

وفي هذه المرحلة لا يمكن الوصول إلى التكامل الفكري والاعتقادي للناس إلّا من خلال انتظار الفرج، كما كان الأمر كذلك في الأزمنة الغابرة، حيث جاء الازدهار الفكري والعقائدي للناس عبر آية الانتظار أيضاً، ويمكن لنا أن نرى نماذج لذلك في مختلف المحطّات التاريخية^(٢٩).

ومن دون سلوك مثل هذا المسار لا يمكن أن يبلغ الإنسان مرحلة النموّ والتكامل، ومن هنا نجد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله في الأحاديث الواردة بشأن المهدويّة هو أوّل من بشر بهذه الحقيقة، وأمر الأجيال القادمة بذلك، حتّى ورد في الكثير من الروايات وصف (انتظار الفرج) بأنّه من أفضل أعمال الأمّة الإسلاميّة، حتّى نجد الإمام أبا عبد الله الحسين والإمام الصادق عليهما السلام يتميّنان لو يكونان في ركاب المنجي^(٣٠).



كما تُثبِت الدراسات التاريخية أنَّ هذا المسار هو الذي حفظ للتشيع حيويته وحركته المتنامية والمزدهرة، وعدم تأثره بالمتغيّرات الاجتماعية - الثقافية المتسارعة، بل كان يُضاف إلى حيويته حيوية أخرى على مدار الأيام.

ومن ناحية أخرى فإنَّ سبب الجمود والشلل الذي أصاب سائر الفرق الإسلامية الأخرى يعود إلى افتقارها إلى هذا المسار أو قلّة اهتمامهم به في عقائدهم؛ إذ لا مجال للنموّ والتكامل من دونه.

وبطبيعة الحال فإنَّ المسيحية واليهودية من خلال إدراكهما لهذا الأمر تمكّنا من الوصول إلى نتائج عجيبة جدّاً، ومن خلال التلفيق بين هذين الأمرين ظهرت فرقة باسم (الصهيونية المسيحية)، تنتهج في الأساس مفهوم (انتظار الفرج)^(٣١)، والملفت أنَّ هذه الفرقة تُمَسِّك بالأنظمة السياسية في أغلب الدول الغربية بما فيها الولايات المتّحدة الأمريكية، ويبدو أنَّ جميع الممارسات السياسية والعسكرية يتمُّ تبريرها والدفع بها في ضوء هذا المسار^(٣٢).

وعليه فإنَّ الادّعاء القائم هنا يقول: ألا يستحق هذا الموضوع - الذي يشتمل على كلّ هذه الفاعلية والذي حظي بكلّ هذا الاهتمام من قِبَل الله سبحانه وتعالى - أن تكون له مكانة في حلولنا الاجتماعية والثقافية؟ فإذا كان لمفهوم (انتظار الفرج) مثل هذا الدور في تكامل الإنسان طوال تاريخ ظهور الأديان السماوية، لا شكَّ في إمكان أن يكون له دور مماثل حتّى في إصلاح المشاكل الاجتماعية والثقافية.

انتظار الفرج: طريق لبعث الأمل والقضاء على الآفات والانحرافات:

ربّما أمكن القول بأنَّ التفاوض بالمستقبل من أهمّ العوامل في تحريك وحيوية وازدهار المجتمع والأفراد على مستوى الثقافة والاقتصاد والسياسة.

إنَّ التفاوض بالمستقبل يسدُّ الطريق على الكثير من الانحرافات والآفات، ويعمل في مختلف جوانب الحياة على تحريك الفرد لبذل المزيد من الجهود.



إنَّ الذين يفقدون الأمل هم في العادة يعيشون حالة من العزلة والانطوائية، أو السكون في الحد الأدنى، أمَّا الذين يتمتَّعون بالأمل فلا يكتفون بعدم الخضوع للمخاطر والسلبيات المختلفة، ولا يستسلمون للضغوط والأحوال القاسية، بل ويعتبرونها فرصاً مناسبة ومؤاتية لتحسين الأداء ومواصلة الطريق.

وفي المقابل نجد الأفراد المحبطين يستسلمون لطوفان الحوادث دون أن يُبدوا أيَّة مقاومة تجاه المتغيِّرات الحاصلة ناسين قدراتهم وطاقاتهم وكلِّ إمكاناتهم في هذا المجال، بل قد يجدون أنفسهم منهارين ومتهاوين أمامها. وعليه فإنَّ وجود الأمل يمنح المجتمع نشاطاً وحركةً وحيويةً، ويُمهِّد الأرضية لازدهار وانتعاش الطاقات والكفاءات. إنَّ انقراض واضمحلال المجتمع الفاقد للأمل إذا لم يكن حتمياً، فهو وشيك لا محالة.

إنَّ تأثير الأمل على النظام الاقتصادي والسياسي في المجتمع عميق جداً، إلَّا أنَّ تأثيره على الثقافة والعناصر الثقافية يحظى بأهميَّة أكبر؛ وذلك لأنَّ التفاؤل والأمل إذا لم يتمَّ التعامل معه بوصفه أصلاً وأساساً في الثقافة، فإنَّه سوف يُبتلى بالموت والفناء، كما سيترك تأثيراً سلبياً للغاية على سائر الأنظمة الاجتماعية وسيُعرِّض النظام الشخصي للأفراد للفناء أيضاً.

وربَّما لهذا السبب يُعدُّ اليأس والقنوط في الثقافة الإسلامية من بين الذنوب الكبيرة (الكبائر).

من هنا يشتمل نظام الثقافة الدينية (التشييع) على عناصر ثقافية كبيرة للغاية، من أجل بثِّ الأمل وتزريقه في المجتمع على المستويات، والتي سيؤدِّي توظيفها (بالإضافة إلى التخطيط) إلى إحداث نقلة نوعية وعميقة في المجتمع. ومن بين تلك العناصر التي تُزوِّد الأنظمة الجزئية في المجتمع، ويبعث روح التفاؤل لدى الأفراد بالمستقبل، ويحول دون تسلُّل العناصر الثقافية الأجنبية، هو انتظار الفرج. للأسف الشديد فإنَّ النتائج التي نحصل عليها من خلال



الدراسات الإجمالية بشأن المسارات الثقافية السائدة والآخذة في الاتساع، تشير إلى انخفاض حجم استفادة النظام السياسي والمخططين لثقافتنا واستثمارهم لهذه الثروة العظيمة.

في حين أنَّ هذه الدراسات نفسها تُشير - كما سبق أن ذكرنا - إلى التوظيف الكبير والمفرط أحياناً لهذه العقيدة من قِبَل سائر الأديان (ولاسيَّما المسيحية منها)، حتَّى في المجالات العسكرية واجتياح البلدان، وإنَّ هذه الغفلة قد تبلغ في بعض الأحيان حدّاً يؤدِّي ببعض المسلمين إلى الركون والاستسلام لليأس رغم امتلاكهم لكلِّ مقوّمات التمسك بروح التفاؤل والأمل.

ربّما كان أحد الأدوار الهامّة والجوهرية لكلِّ نظام سياسي، بعث روح الأمل والتفاؤل في نفوس أفراد المجتمع؛ وذلك لأنَّ الحيوية والخطوات المتطلّعة بالأفراد والمجتمع إلى الأمام، تُشكّل أرضية لثبات واستقرار النظام السياسي وتعزيز دعائمه.

وعلى هذا الأساس كلّما كان قلق النظام السياسي على بقائه أكبر، كلّما وجب عليه حتّ أعضاء المجتمع على التفاؤل.

ولا يخفى أنَّ اليأس والقنوط وتعميمه على مستوى المجتمع، يمكنه أن يؤدِّي إلى تغيير النظام السياسي.

إنَّ انتظار الفرج يمنح الحياة الاجتماعية نشاطاً وأملاً، ويجعل النظام الثقافي متعالياً وراقياً، ويحفظ النظام السياسي من الحوادث والعقبات من خلال بثّ روح الأمل في أفراد المجتمع.

ومن خلال روح الأمل التي يتمُّ تزويد الكيان الاجتماعي بها من خلال مفهوم الانتظار، يحصل الأفراد على مناعة في مواجهة أمواج الفساد والانحراف، فلا يصابون باليأس عند اتساع رقعة الانحراف، بل بحكم القول القائل (كلّما اشتدَّت حلقاتها فُرِجَتْ) يرون بلوغ الهدف قريباً جدّاً، وكأنّه



ماثل بين أعينهم، فيزدادون حماسةً في محاربة الفساد أو الدفاع عن وجودهم بكلّ يقين وثقة^(٣٣).

إنّ طبيعة الإنسان بحيث إذا انتشر الفساد بعد اليأس وانعدم الأمل بإمكان إصلاح الوضع، يستولي عليه التصدّر القاضي بفوات الأوان، وأنّه لم يعد بالإمكان التمسك بحبال الأمل لإصلاح الأمور.

وعلى هذا الأساس فإنّه سينساق وراء تصوّره، فيرى في كلّ جهد لإصلاح الأمور مجهوداً عبثياً^(٣٤). أمّا الأمل الذي يتمّ تزريقه في البنية الاجتماعية والثقافية عن طريق (انتظار الفرج)، فهو الأمل بالإصلاح النهائي وتكوين المجتمع المتمحور حول العدالة والمجتمع المثالي الذي يطمح له الدين، حيث يرى كلّ جهد في إطار تحقيقه يُمثّل انتصاراً.

وبعبارة أوضح: إنّ الجهد المبذول من أجل تحقيق المجتمع المهدوي لا يمكن أن يقترن بأيّ خسارة أو اندحار؛ إذ حتّى القتل في هذا السبيل يُعتبر فوزاً عظيماً وغاية مطمح وأمنية لكلّ حرّ. وربّما لهذا السبب لا يتطرّق اليأس والقنوط أبداً إلى نفوس المنتظرين للمنجي، وحيث يبلغ التفاؤل عندهم ذروته، فإنّهم لا ينجذبون إلى الفساد والفحشاء والانحراف، بل ويسعون إلى إصلاح هذه الأمور.

إنّ آلية انتظار الفرج من خلال بعث الأمل المقرون بالمحبّة والتفاني يستطيع السيطرة على السلبيات والآفات الاجتماعية.

وكما هو واضح فإنّ هذا النوع من الأمل يرفع من مستوى تعلّق الأفراد وشعورهم بالانتماء إلى المجتمع والدين، ويضاعف من شعورهم بالمسؤولية، والأهمّ من كلّ ذلك حيث يشعر جميع الأفراد بالمسؤولية تجاه بعضهم، فإنّ مستوى الرقابة والسيطرة الاجتماعية سيتضاعف إلى حدّ كبير.



انتظار الفرج: طريق إلى إصلاح شخصية الأفراد:

إنَّ من بين الأسباب الرئيسة في ظهور الانحراف، عدم تبلور الشخصية المنسجمة والمتناغمة مع القيم والتعاليم الدينية والاجتماعية. إنَّ انتظار الفرج يُمهّد الأرضية بحيث يعمل المتظنون على توظيف القيم والتعاليم الدينية في بناء أنفسهم بما يجعلهم في المستقبل أهلاً للانخراط في صفّ الثوريين. فهم يؤمنون بأنّ التحليّ بالطهر والروح الشفافة والتمتّع بالصدق والوعي هو وحده الذي يُحوّلهم انتظار مجتمع يُمثّل ثمرة ونتيجة جهود جميع الأنبياء.

إنّهم يُدركون أنّهم إذا أصبحوا فاسدين ومنحرفين، لا يستطيعون أن ينتظروا نظاماً يكافح المنحرفين والفاستدين، ولا يمكن أن يكون هناك أيّ دور للفاستدين والمنحرفين في مثل هذا النظام^(٣٥). وعلى هذا الأساس يجب على الذين ينتظرون هذا النظام السياسي أن يعكسوا المعتقدات والتعاليم الدينية على أنفسهم وأن يجعلوا من الدين جزءاً من ذواتهم، وأن يتمتّعوا بتوجّهات لا تحيد عن أهداف الدين أبداً.

إنّهم وطبقاً للآية رقم مائتين من سورة آل عمران (يرتبطون) بإمامهم ارتباطاً وثيقاً، وعلى أساس ذلك يبلغون مرتبة ﴿أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) حتّى ينسوا كلّ شيء سواه.

إنّ المتظرين حيث يعتقدون أنّهم في عين إمامهم لحظة بلحظة، يرون أنفسهم مرتبطين به دائماً، ويسعون إلى تنظيم أفعالهم ومواقفهم الاجتماعية بحيث لا يسقطون من عين إمامهم.

إنّ طبيعة مثل هذه الحالات المقرونة بالصبر والمراقبة الشديدة تؤدّي إلى تبلور شخصية مقاومة وثابتة وقويّة تتمتّع بالاعتدال والحيوية اللازمة والكافية.

إنّ مثل هذه الشخصية لا تصاب بالانحراف أبداً، حيث يرى أتباع الإمام



أنفسهم على الدوام عرضة للأحكام القضائية الصادرة عن إمامهم الحي، ولذلك يرون الأخطار محدقة بهم على الدوام، وتراهم يرفعون من مستوى مراقبتهم لأنفسهم لحظة بلحظة، وإن هذه المراقبة المتزايدة ترفع من مستوى القوة والثبات في شخصياتهم. قال الله تعالى في هذا الشأن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فُصِّلَتْ: ٣٠).

إن إدخال المعتقدات البديية في الإطار الذاتي ينطوي على الكثير من الأهمية في بناء الانتظار، بيد أن الذي يجعل من شخصية الفرد - طبقاً لهذه الآية الكريمة - شخصية قوية وراسخة، وتجري منها عيون المعرفة والعرفان، هي الاستقامة والصبر والثبات على المبادئ.

وعلى هذا الأساس فإن انتظار الفرج إذا اقترن بالاستقامة والصبر والثبات، سوف يُعدُّ طريقاً رئيساً وأساسياً في بناء شخصية الأفراد^(٣٦). ولا بد من الالتفات - بطبيعة الحال - إلى أن الأمل والتفاؤل على أساس انتظار الفرج إذا بلغ الذروة، فإن الاستقامة والصبر والثبات في مرحلة الانتظار لن يكون مشكلاً أبداً^(٣٧).

إن للأمل دوراً أساسياً في الاستقامة والصبر والثبات، وبالتالي في بناء شخصية الأفراد، وطبقاً لما تقدّم فإن انتظار الفرج يبلغ بالأمل والتفاؤل مرحلة لا يتسلّل إليها أي نوع من أنواع اليأس والقنوط أبداً.

انتظار الفرج: آلية لرفع مستوى الرقابة والسيطرة الاجتماعية:

كما تقدّم أن ذكرنا فإن الرقابة والسيطرة الاجتماعية تنقسم إلى قسمين: داخلي وخارجي. وإن الرقابة والسيطرة الداخلية إنما تكون مجدية وفاعلة إذا كانت شخصية الأفراد قد تبلورت بحيث تقوى فيها السيطرة الذاتية، وكان لكل شخص فيها واعظ من نفسه.



وبعبارة أخرى: أن تتحوّل المعتقدات والقيم والمعايير بشكل تُعدُّ معه جزءاً من ذات الفرد، بحيث تتغيّر الشخصية الفردية وتغدو حيوية بفعل المتغيرات الاجتماعية والثقافية.

وكما تقدّم أن ذكرنا في العنوان السابق فإنّ انتظار الفرج يؤدّي بشخصية الأفراد إلى التحوّل بحيث يكون الاستحكام والثبات والتقدّم فيها من خصائصها الأولى والبديية. وحيث تكون خصوصية الانتظار مقرونة دوماً بالاستقامة والصبر والمراقبة، فإنّ الحيوية والحركة في الشخصية تكون بحيث لا تقترن بالتخلّف والرجعية أبداً.

إنّ السيطرة الداخلية لدى هذا النوع من الأشخاص تكون قد بلغت طورها الأتمّ والأكمل، وتغدو مراقبتهم الذاتية من خصائصهم الذاتية على كافّة الجهات.

أمّا السيطرات الخارجية، فتتمّ عبر المجتمع والمراكز الرسمية. فإذا كان أفراد المجتمع يهتمّون ببعضهم، ويشعرون بالمسؤولية تجاه بعضهم، وكان اهتمامهم بمصير المجتمع والطبقة التي ينسبون إليها قوياً، فإنّ الرقابة والسيطرة الخارجية في ذلك المجتمع سوف تكون قوياً أيضاً؛ لأنّهم سوف يرصدون كلّ نوع من أنواع الانحراف ويقفون أمامه ويواجهونه بالشكل المنطقي اللائق. إنّ هؤلاء لا ينتظرون أيّ سيطرة رسمية أو إجراءات من قبل المنظّمات المسؤولة، رغم أنّ السيطرة الخارجية تشمل الرقابة والسيطرة القانونية أيضاً. إنّ الأشخاص في المجتمع الذي يُعدّ فيه (الانتظار) المنهج الرئيس، يتمتّعون بشخصية قوياً، ومشاعر اجتماعية متينة، وعواطف مرهفة تُشكّل أساس النظام الاجتماعي. وحيث إنّ الأفراد في مثل هذا المجتمع ينتظرون قيام المجتمع المهدوي، فإنّهم يتمتّعون بمسؤولية اجتماعية قوياً، فلا يغفلون عن أخطاء الآخرين وانحرافاتهم، وحيث يرون أهميّة لمصير مجتمعهم فإنّهم يُشكّلون سداً منيعاً بوجه المنحرفين والفاستدين.



ومن بين الآثار والنتائج المترتبة على الانتظار، إنه يدفع الفرد إلى المسارات المتوائمة والمتماهية مع الذات، ويحول دون الخوض في المسارات المتضادة أو الموازية لها^(٣٨). ومن جهة أخرى فإن تحقق الانتظار ممكن في الحقيقة مع الانتظار لحظة بلحظة؛ إذ لم يتم تحديد وقت محدد للظهور، وإن تحققه يحصل فجأة^(٣٩). كما أن إمام المنتظرين حيٍّ ويشهد أعمال وسلوكيات أتباعه على الدوام. وإن هذا الاعتقاد يؤدي بأتباع الإمام المهدي عليه السلام إلى أن يعتبروا أنفسهم تحت مراقبته؛ فلا يرتكبون ما يخالف أهدافه. ومثل هذا الشعور يرفع من مستوى الإحساس بالمسؤولية، ويقلل خطر الانحراف ويصل به إلى مستوى الصفر. وحتى إذا تجاوزنا هذا الأمر، وسلمنا جداولاً بوجود بعض الأشخاص الذين لا يعتقدون بهذه الأمور، إلا أنهم مع ذلك لا يجرون على فعل ما يخالف حركة الانتظار بفعل التركيبة الاجتماعية التي تغطي عليها هذه الحالة. وبعبارة أوضح: عندما تكون شخصية الأفراد متبلورة على أساس مسار الانتظار بشكل جيد، واقرنت بالاستحكام والثبات المقرون بالحيوية، فإن التركيبة الاجتماعية العامة ستكون بحيث تكون توجهها متعارضاً مع الانحراف والشذوذ. إن مثل هذا التناغم إذا قام بين المنظومة الشخصية والنظام الاجتماعي والنظام الثقافي، فسوف يؤدي بدوره إلى الاعتدال والحيوية الثقافية والاجتماعية.

انتظار الفرج: آلية ازدياد الثروة الاجتماعية:

طبقاً لما تقدّم فإن انتظار الفرج يفضي إلى زيادة التمسك بالتقاليد والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية وما إلى ذلك. ومن جهة أخرى فإن الأفراد يتمسكون بالقيم والمعايير والمتبنيات بشدة، ويحافظون عليها. إنهم ينتظرون تأسيس المجتمع المهدي الذي سيكون الدين أساساً ورافعاً له. وإن هذا الشعور بالمسؤولية والاعتقاد سيحملهم - بشكل طبيعي - على اعتبار العالم



بأسره موطناً لهم، ولذلك يسعون إلى الحيلولة دون انحرافه، كما يجهدون في بنائه وعمارته. وعندما تنخفض الاتجاهات القومية لدى الأفراد إلى أدنى مستوياتها، ترتفع حظوظ الاتجاهات العامّة والعالمية إلى أعلى مستوياتها، وسوف يقيم الجميع علاقاتهم على أساس المحبة العامّة؛ وذلك لأنّ من بين العناصر الرئيسة للنظام المهدي الذي سيقمه الإمام الحجّة بن الحسن العسكري (عليه السلام) في آخر الزمان، هو جمع العالم بأسره تحت لواء واحد، ولن يكون في هذه الدولة العالمية موطناً للأنظمة السياسية العنصرية والقبلية أبداً.

إنّ جميع الأفراد في هذا المجتمع متساوون، ويُنظر إليهم بنظرة واحدة. فإذا كانت هذه هي هوية هذا النظام السياسي، يجب أن تكون حالة المنتظرين كذلك. فيجب عليهم أن يعتبروا آلام الآخرين آلامهم، وسعادة الآخرين سعادة لهم. وأن يعمدوا من خلال علاقاتهم العاطفية والمخلصة مع الجميع، أن يُقدّموا يد العون إليهم، و(أن يلبسوا جراح الآخرين، وأن يسعوا إلى رفع مشاكلهم والتخفيف من معاناتهم في حدود الإمكان بما يرضي إمامهم. فإذا كان ذلك، لن يكون هناك في حدود الجغرافيا والمجتمع الذي يحكمه الإمام المهدي (عليه السلام) محروم أو مُعَدَم أو مريض أو مكتئب أو حزين أو محتاج...، وربّما كان من معاني بعض الأحاديث القائلة: (انتظار الفرج، فرج) يرمي إلى هذا المعنى، وهو أنّ المجتمع المنتظر إذا كان انتظاره حقيقياً وصادقاً، فإنّه في الحدّ الأدنى وفي حدود دائرته [مجتمعه] يعمل على رفع المشاكل والمنغصات عن كاهل الناس، ويعمل على تحقيق الأهداف التي يريدّها الإمام الموعود في محيطهم. من هنا تمّ تفسير سورة العصر بعصر الغيبة^(٤٠).

إنّ توسيع رقعة العلاقات التضامنية والحماية الاجتماعية في المجتمع، يؤدّي إلى تقليل الظلم الاجتماعي، وخفض مستوى التضاد في القيم، ورفع مستوى الوفاق الأخلاقي والقيمي والمسؤوليات الاجتماعية لأفراد المجتمع، ويسيطر العلاقات الحميمة والودّية.



ومن جهة أخرى فإنَّ بسط العلاقات التي تُوفّر الحماية الاجتماعية في المجتمع تُقلّل من حالات الحرمان والانتحار واليأس والاستغلال والانفعال الاجتماعي^(٤١).

إنَّ هذه الشرائط والمناخات تؤديّ إلى رفع مستوى الثقة والاعتماد الاجتماعي وبسط العلاقات الاجتماعية، وبذلك ستكون للأفراد مشاركة وإسهام واسع في النشاطات الاجتماعية ذات الصبغة الدينية في الأعمّ الأغلب. وحيث يكون الالتزام والصدق لدى المنتظرين في مرحلة الانتظار قائماً، يرتفع هنالك مستوى الاعتماد وتكون العلاقات الاجتماعية في أحسن وأفضل حالاتها. من هنا يرتفع منسوب الرسمال الاجتماعي، وفي هذا السياق تنحسر حالات الانحراف في المجتمع إلى حدّ كبير.

انتظار الفرج: آلية تعزيز الانتماء الاجتماعي والوفاق الأخلاقي؛

يتّضح ممّا سبق على نحو جيّد أنّ مرحلة الانتظار وما يتبلور من البنى الاجتماعية والنظام الشخصي الذي يتمّ إيجاده، أنّ تعارض القيم والمعايير ينخفض بشدّة، ويرتفع مستوى التوافق على القيم. وفي ظلّ هذه الظروف يرتفع حجم الانتماء والتبعية الاجتماعية. ولا يخفى - بطبيعة الحال - أنّ آلية هذا الانخفاض والارتفاع يجب أن يتمّ تحقيقها وتحديدها، وهذا في حدّ ذاته يستدعي بحثاً تفصيلياً مستقلاً. وفي عملية الاستنتاج ممّا سبق، يمكن التأكيد على الموارد الآتية:

١ - إنّ انتظار الفرج يُعدّ الأرضية لبورة الشخصية المتقدّمة والحيوية في المجتمع.

٢ - إنّ انتظار الفرج يقضي على اليأس والقنوط في المجتمع، ويُبقي الأمل والتفاؤل على أعلى مستوياته.



٣ - إنَّ انتظار الفرج يرفع مستوى الرقابة والسيطرة الاجتماعية على المستوى الداخلي والخارجي، ويُقلِّل من النفقات الاجتماعية والسياسية المترتبة على هذه الرقابة وتلك السيطرة.

٤ - إنَّ انتظار الفرج يؤدي إلى زيادة الثقة والاعتماد الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية، والمشاركة والمسؤولية الاجتماعية، ويرفع من الرصيد والرسالة الاجتماعي أيضاً.

٥ - إنَّ انتظار الفرج يرفع من مستوى الانتساب والعواطف الاجتماعية، ويُعزِّز الشعور بالمسؤولية لدى الأفراد.

٦ - إنَّ انتظار الفرج يؤدي إلى خفض التعارض والتضاد الاجتماعي والمعياري والقيمي إلى حدٍّ كبير، ويعمل على سدِّ الثغرات والفجوات الاجتماعية والاقتصادية بشكل لائق.

٧ - إنَّ انتظار الفرج يدفع بجميع الأفراد نحو الوصول إلى هدف وغاية واحدة، الأمر الذي يساعد على رفع مستوى الوفاق والتوافق على القيم والمعايير.

٨ - إنَّ جميع هذه الأمور تساعد على بلورة البنية الاجتماعية والشخصية بحيث تؤدي إلى انخفاض مستوى الانحراف، واقتصاره على محافل خاصّة وفردية.

٩ - في مرحلة الانتظار يرتفع منسوب الشعور بالأمن والهدوء والطمأنينة، وتنخفض أسباب الخوف والقلق.

١٠ - في مرحلة الانتظار تصبح العدالة والمساواة محور المفاصل الاجتماعية، وينخفض منسوب الشعور بالحرمان النسبي.



- ١١ - في مرحلة الانتظار يرتفع مستوى الشعور بالمسؤولية والتعاطف مع الآخرين، ويقلُّ الانحياز إلى القومية والأنانية والغرور والتكبر.
- ١٢ - في مرحلة الانتظار يرتفع مستوى الشعور بالانتماء إلى المجتمع والجماعة، وتتسع رقعة العلاقات المخلصة القائمة على العواطف والمشاعر.

* * *



الهوامش

١. أنظر: منتخب الأثر للصافي الكلبايكاني: ٤٢٤ و ٤٢٨ و ٤٣٢ / مركز نشر الكتاب / قم.
٢. أنظر: ونداليسم اجتماعي لعليّ محسني تبريزي (مصدر فارسي): ٣٠.
٣. لمزيد من الاطلاع، أنظر المصادر الآتية:
 - أ - قيام و انقلاب مهدي از ديدگاه فلسفه تاريخ لمرتضى مطهرى (مصدر فارسي): ٦٢ / انتشارات جامعه مدرسين / قم.
 - ب - (<http://www.hawzah.net/per/magazine/index.htm>).
 - ج - تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) لكارم الشيرازي ٧: ٣٨١ و ٣٨٢.
 - د - نگاهی دوباره به انتظار لمجيد حيدري نيك (مصدر فارسي) / فصلية انتظار التخصصية.
 ٤. أنظر: شيعة در اسلام (الشيعة في الإسلام) للعلامة الطباطبائي: ٢٣٢ / ط ١٣٨٣ ش / نشر دفتر انتشارات اسلامي. وأنظر أيضاً: گفت وگو درباره ی امام مهدي (بحث حول المهدي) لمحمد باقر الصدر / ترجمه إلى الفارسية: مصطفى شفيعي، (نقلاً عن صحيفة انتظار التخصصية / العدد الأول).
 ٥. لمزيد من الاطلاع، أنظر المصادر الآتية:
 - أ - انتظار مذهب اعتراض لعليّ شريعتي (مصدر فارسي): ٦ و ٧، و ٩ - ١١.
 - ب - قيام و انقلاب مهدي از ديدگاه
- فلسفه تاريخ لمرتضى مطهرى (مصدر فارسي): ٦٢.
- ج - زمام در آينده لمحمد جواد مغنية / ترجمه إلى الفارسية: إبراهيم دامكافي وآخرون: ٥ / ط ١٣٤٤ ش.
- د - (<http://www.hawzah.net/per/magazine/index.htm>).
- هـ - صحيفة قدس (الإيرانية) / بتاريخ: (١٥ / ٤ / ١٣٨٥ ش).
- و - تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) لكارم الشيرازي ٧: ٣٨١ و ٣٨٢.
٦. أنظر: آسيب هاي اجتماعي ايران / إعداد: انجمن جامعه شناسي ايران (مصدر فارسي): ١٧.
٧. أنظر: ونداليسم اجتماعي لعليّ محسني تبريزي (مصدر فارسي): ٦٨ و ٦٩.
٨. أنظر: حاشية نشيني در شهر مشهد و چشم انداز آينده لمحمد باقر آخوندي (مصدر فارسي) / انتشارات مؤسسه تحقيقات و مطالعات بين المللي ابرار معاصر / ط ١٣٨٢ ش.
٩. أنظر: آسيب هاي اجتماعي ايران / إعداد: انجمن جامعه شناسي ايران (مصدر فارسي): ٢٠.
١٠. يرى (ريموند بودن) أن الرقابة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من المصادر المادية والرمزية التي يمتلكها المجتمع لضمان التناغم والمواءمة بين سلوكيات أفرادها في مواجهة الانحرافات، مع سلسلة من القواعد والأصول المعينة التي



١٨. أنظر: المصدر السابق: ٦٣.
١٩. أنظر: جامعہ شناسي نظم لمسعود جلبی (مصدر فارسي): ١١٧.
٢٠. أنظر: تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) لمكارم الشيرازي ١: ٣٤٥.
٢١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل لمكارم الشيرازي ١: ٢٥٩ / ط ٢ / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م / الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت.
٢٢. أنظر: الترجمة الفارسية لكتاب الميزان في تفسير القرآن ٨: ٢٦٨.
٢٣. أنظر: تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) لمكارم الشيرازي ١: ١٤٤.
٢٤. لا توجد في المصدر.
٢٥. ليست من المصدر.
٢٦. مجمع البيان للطبرسي ١: ١٣٢ / ط ١ / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م / الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت.
٢٧. أنظر: از افسانه يهود ستيزی تا واقعييت اسلام ستيزی در دنيا لمحمد باقر آخوندي (مصدر فارسي) / ط ١٣٨٤ ش / انتشارات مؤسسه تحقيقات ومطالعات بين المللي ابرار معاصر. (تحقيق غير منشور).
٢٨. أنظر: المصدر السابق: ٨.
٢٩. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد رسول الله ﷺ».
١١. تتمتع بالضمانة التنفيذية. (جامعه شناسي كج روى (مصدر فارسي): ٥٨٥ / ط ١٣٨٠ ش / انتشارات پژوهشكده حوزه ودانشگاه).
١٢. أنظر: درآمدي بر جامعه: ١٧٦ / ط ١٣٧٧ ش / انتشارات آستان قدس رضوي.
١٣. أنظر: جامعہ شناسي نظم لمسعود جلبی (مصدر فارسي): ٧١ / ط ١٣٧٥ ش / نشر ني. (Social Capital).
١٤. روبرت بوتنام، أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد الأمريكية، أجرى استطلاعاً شمل عشرات آلاف الأشخاص من المواطنين الأمريكيين من شتى القوميات والأعراق؛ ليصل من خلال ذلك إلى نتيجة مفادها: أنه كلما زاد عدد الأعراق والقوميات في مجتمع، كلما انخفض مستوى الثقة والاعتداد بين أفراد المجتمع على مستوى التعامل مع القوميات الأخرى، وحتى مع أبناء قوميتهم. وتلخص رؤيته لرأس المال الاجتماعي في فكرته الأساسية القائلة: إن الشبكات الاجتماعية تتضمن قيمة للأفراد، فالعلاقات الاجتماعية عنده تشبه رأس المال البشري. (المعرب).
١٥. <http://www.sse.rue.dk/institrional/research-paper>.
١٦. أنظر: ونداليسم اجتماعي لعل محسني تبريزي (مصدر فارسي): ٥٥.
١٧. أنظر: المصدر السابق: ٦١.



الهوامش

مخلف فيكم من أَسْرَقِي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حين تراهم الأوس والخزرج، فلمَّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أَمَا لَوْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ ديارنا وأموالنا، فلمَّا بعث الله مُحَمَّدًا ﷺ آمَنت به الأنصار وكفرت به اليهود. (مجمع البيان للطبرسي ١: ٢١٥ و ٢١٦).

وعن ابن عباس، قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يُبعثَ مُحَمَّدٌ ﷺ يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَنْصِرُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ. (الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ١: ١٨٨).

وعليه فإن اليهود طبقاً لهذه الآية كانوا يعلمون بأنَّ نبيَّ آخر الزمان ﷺ سيظهر في شبه الجزيرة العربية، وأنَّه سيهاجر إلى موضع بين جبلي (عير) و(أُحُد) بالتحديد. ولذلك عمدوا إلى شدِّ الرحال ناحية هذين الجبلين ليُدرِكوه. فكانوا يعلمون اسمه وأوصافه بشكل دقيق، ويتصوَّرونه ناصراً لهم. وكانوا يتصوَّرون أنَّه سيخرج من بينهم (من شعب الله المختار على حدِّ تعبيرهم)، ولذلك كانوا يفاخرون على الكفَّار والمشرِّكين، ويتوعَّدوهم بالانتقام بعد ظهور النبي الذي كانوا ينتظرونه. ولكن بعد أن بُعثَ النبي الأكرم ﷺ وهاجر إلى المدينة، وأيقن اليهود من خلال الأوصاف

ما بين عير وأُحُد؛ فخرجوا يطلبون الموضع، فمروا بجبل يقال له: حداد، فقالوا: حداد وأُحُد سواء؛ فتفرَّقوا عنده، فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمَرَّ بهم أعرابي من قيس فتكاوا منه، وقال لهم: أمرُّ بكم ما بين عير وأُحُد [وكان في هذا الكلام الذي صدر عن الأعرابي ما كانوا ينتظرونه منذ زمن بعيد، وكانوا قد هاجروا من أجله، ولكنهم ظنُّوا خطأ أنَّ حداد هو أُحُد]؛ فقالوا له: إذا مررت بها فأذِّنا بها، فلمَّا توسَّط بهم أرض المدينة قال: ذلك عير وهذا أُحُد. فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة بنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إِنَّا قَدْ أَصَبْنَا الْمَوْضِعَ فَهَلِّمُوا إِلَيْنَا؛ فكتبوا إليهم: إِنَّا قَدْ اسْتَقَرَّتْ بِنَا الدار واتَّخَذْنَا بِهَا الْأَمْوَالَ وَمَا أَقْرَبْنَا مِنْكُمْ، فإذا كان ذلك [أي إذا ظهر النبي بينكم] فما أسرعنا إليكم. واتَّخَذُوا [أي اليهود الذين استوطنوا ما بين جبل عير وأُحُد] بأرض المدينة أموالاً، فلمَّا كثرت أموالهم بلغ ذلك ثَبَعَ فغزاهم فتحصَّنوا منه، فحاصره ثمَّ أمنهم فنزلوا عليه، فقال لهم: إِنِّي قَدْ اسْتَطَبْتُ بِلَادَكُمْ وَلَا أَرَانِي إِلَّا مُقِيمًا فِيكُمْ، فقالوا له: ليس ذلك لك إِنَّهَا مهاجر نبيٍّ وليس ذلك لأحد حتَّى يكون ذلك، فقال لهم: فإِنِّي

الهوامش

للإبطال أبداً. بعبارة أخرى: إِنَّ الكنيسة لم تحل محلَّ إسرائيل، وعلى الرغم من العراقيل ونقض العهود والمواثيق لم يتمَّ إلغاء امتيازات إسرائيل.

ب - الكنيسة: لقد كانت غاية الله منذ البداية قائمة على إسعاد إسرائيل إلى الأبد. ومع ذلك حيث لم يستطع إسرائيل أتباع عيسى المسيح عليه السلام تمَّ طرح الكنيسة، ولكن في الظهور الثاني للسيد المسيح عليه السلام سيتمَّ إلغاء الكنيسة، ليعود إسرائيل ثانية بوصفه عاملاً رئيساً في تنفيذ الأهداف الإلهية في العالم. وبعبارة أخرى: هناك الآن عهدان وميثاقان معتبران في العالم: الميثاق الأول: ميثاق الله مع النبي موسى عليه السلام، والميثاق الآخر: ميثاق النبي عيسى عليه السلام، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ الميثاق الجديد لا ينسخ الميثاق القديم بأيِّ حالٍ من الأحوال.

ج - حماية إسرائيل الجديدة: يجب على الصهيونية المسيحية أن تؤمن بما جاء في سفر التكوين (١٣/ ١٢) (Genesis) بالمعنى الواقعي والحقيقي، وأن يطبقوا ذلك دعماً لدولة إسرائيل الجديدة: (سوف أرحم من يسيط حاميته لكم، وسوف أنتقم ممن يلعنكم). وإنَّ عدم دعم إسرائيل يعني العجز عن توفير الحماية لبقاء إسرائيل في الظروف الراهنة، وهذا الأمر سيؤدي إلى نزول العقاب الإلهي. د - النبوة: إِنَّ النبوءات الموجودة في الإنجيل

التي كانوا يعرفونه بها أَنَّهُ هو النبي الموعود الذي بشرت به التوراة، وصدَّق به المشركون ولاسيَّما قبائل الأوس والخزرج لما رأوه فيه من الصفات التي طالما سمعوها من اليهود، فأمنوا به، إلاَّ أنَّ اليهود لم يحجموا عن الإيمان به وتصديقه فحسب، بل ناصبوه العداء وحاربوه بكلِّ الوسائل التي توفَّرت لديهم.

٣٠. عن أبي عبد الله الحسين بن عليٍّ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ: هل وُلِدَ المهدي؟ قال: «لا، لو أدركته لخدمته أيام حياتي». (موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٦٦٠). [والصحيح كما في غيبة النعماني أَنَّهُ عن الإمام الصادق عليه السلام].

٣١. أنظر: تحولات مذهبي مسيحيت ويهوديت واحتمال چالش با اسلام لمحمد باقر آخوندي (ج ٣) (مصدر فارسي) / انتشارات مؤسسه تحقیقات ومطالعات بین المللی ابرار معاصر / ١٣٨٢ ش. (تحقيق غير منشور).

٣٢. من هذا القبيل بعض المعلومات ذات الصلة بهذه المسألة بالاعتماد على مقالة (دونالد فاكسر)، وقد عمد الدكتور (بيرك) الأمريكي إلى تلخيص العقائد الجهورية للصهيونية المسيحية على النحو الآتي:

أ - ميثاق الله مع الإنسان (في الإنجيل): إِنَّ ميثاق الله مع إسرائيل ميثاق أبدي غير مشروط. وعلى هذا الأساس فإنَّ الوعد بالأرض الموعودة للنبي إبراهيم عليه السلام غير قابل



الهوامش

لا تختص مجرد الأحداث التي وقعت في مرحلة الإنجيل، بل تعمل على بيان الحقائق الراهنة أيضاً. وعلى هذا الأساس عندما ننظر - مثلاً - في الإصحاح السابع من سفر دانيال (Daniel)، وكانت لنا القدرة على التفسير بشكل مناسب، سوف ندرك كيفية التحول في التاريخ المعاصر.

هـ - تأسيس إسرائيل: وهي المرحلة التي تُسرّع من تحقق وعود الإنجيل. وعلى هذا الأساس، عندما يحين آخر الزمان، يجب على الصهيونية المسيحية أن تنتظر انهيار الحضارات، وارتفاع عدد الجرائم، وزوال السلام، وغياب الاعتدال العالمي، وانتشار معاداة المسيحية والتعاليم المخلصة والمالية لإسرائيل، والأهم من كل ذلك إن هذا التحالف والاتلاف السياسي سيحدد موقع هذه الجماعة في اليوم الحاسم والمصيري لهرمجدون (Armageddon).

وهرمجدون هو الموضع الذي ستقع فيه الحرب الأخيرة والفاصلة بين الخير والشر قبل يوم المحشر طبقاً للرواية الإنجيلية. (أنظر في هذا الشأن: أينده از نگاه صهيونيسم (مصدر فارسي).

(http://www.icej.org/about/about_doctrines.html).

وعلى كل حال طبقاً لعقيدة الصهيونية، فإن (الأيام الأخيرة) كما سماها (القديس بطرس)

قبل ألفي سنة، ستشهد حرباً ضروساً بين النور والظلمة، وإن إسرائيل ستكون في بؤرة هذه المعركة؛ لأن الله سيبسط حكومة عدله وينشرها في العالم عبر إسرائيل (زكريا ٩ / ١٤). إن قوى الشر سوف تبرز بالمعارضة لسيادة هذه الحاكمية، وبالتالي سوف تسعى إلى القضاء على إسرائيل، إلا أن تحقق الوعد الإلهي بقيام إسرائيل وانتصارها، سيكون بمثابة إتمام الحجة على العالمين وعلى جميع المخالفين لإسرائيل، وسيثبت أن قول الله حق. وعلى هذا الأساس يجب أن يقف الصهاينة المسيحيون في الخطوط الأمامية من هذه المعركة؛ لأن الحقيقة القائلة بالتحاق الكثير من الأشخاص إلى هذه الحركة في الأعوام الأخيرة تمثل خير شاهد على أن الله يُعد جيشاً روحياً لخوض هذه المواجهة النهائية (Showdown) الوشيكية.

(http://www.rca.org/images/mission/mideast/christianzionism.pdf).

٣٣. أنظر: تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) ٧: ٣٨٨.

٣٤. أنظر: المصدر السابق ٧: ٣٨٦ و ٣٨٧.

٣٥. أنظر: المصدر السابق ٧: ٣٨٣.

٣٦. للمزيد من الاطلاع، أنظر المصادر الآتية:

أ - انتظار لمجيد حيدري نيك/ مجلة انتظار التخصصية (مصدر فارسي).

ب - عصر زندگي (آينده انسان واسلام)

لمحمد حكيمي (مصدر فارسي): ٣٢٨ - ٣٣٧ /

ط ١٣٧١ ش / انتشارات هاتف.

ج - رسالت اسلامي در عصر غيبت لمحمد

صدر (مصدر فارسي): ٣٣ و ٣٤ / ط ١٣٦٠ ش /

انتشارات بدر.

٣٧. للمزيد من الاطلاع بشأن الروايات الموجودة

في هذا الشأن، أنظر المصادر الآتية:

- أصول الكافي للكليني ٢: ١٦٣، و ٨: ٢٣٤.

- بحار الأنوار للمجلسي ٥٢: ١٢٢ و ١٤٠.

- الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٢٢.

- من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤: ٣٥٨

و ٣٦٦.

- وسائل الشيعة للحرّ العاملي ١٨: ٦٥.

٣٨. أنظر: عصر زندگي (آينده انسان و اسلام)

لمحمد حكيمي (مصدر فارسي): ٣٠١ و ٣٠٢.

٣٩. أنظر: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم

لمحمد تقى الموسوي الأصفهاني: ١٦٠ / ط

١٣٦٣ ش / انتشارات مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام.

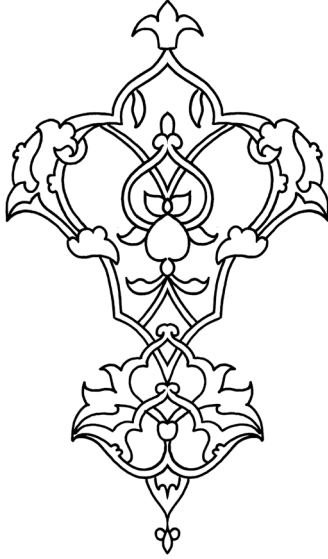
٤٠. أنظر: عصر زندگي (آينده انسان و اسلام)

لمحمد حكيمي (مصدر فارسي): ٣٢١ و ٣٢٢

و ٣٢٥.

٤١. أنظر: جامعه شناسي نظم لمسعود جلببي

(مصدر فارسي): ١٥٧ - ١٥٩.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com



العدد (٤) خوالجبة ٨٣١ هـ / يوليو ٢٠١٧ م

خلاصة البحوث

Abstracts

ردُّ الاستدلال برواية الوصيَّة على دعوى المهدويَّة

الشيخ أبو محمد القره غولي

أطال أحمد إسماعيل وبعض أتباعه الوقوف على رواية الوصيَّة بزعمه، والتي رواها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة، وعليه سنقف في هذا البحث على مكان الخطأ في الاستدلال بها على دعواه، والبحث في نقاط: ١ - المناقشة السندية، وبه تُثبت أن الرواية رواها مجهول عن آخر، وكيف يتمُّ عليها تأسيس قضيَّة عقائدية، ويترتب عليها كفر من لم يعتقد بها؟! والإشارة كذلك إلى بعض المضعفات الأخرى في هذه النقطة داخلية وخارجية، كاحتمال الغفلة أو التصحيف وغيرها.

٢ - عنصر الغرابة في القضيَّة المدَّعاة يجعلنا نترتّب قبل تصديق مضمونها، والغرابة نزعة بشرية حصلت عند الأولياء والأنبياء عندما واجهوا قضايا غريبة، ولا لوم عليهم في استغرابهم عند هذه المواقف.

٣ - ذكر بعض الأوصاف والألقاب في الرواية غير المعهودة ممَّا يوجب التوقُّف فيها كمضعف آخر، كوصف الجواد عليه السلام بأنه ثقة، والمهادي عليه السلام بأنه الناصح.

٤ - هناك جملة من القرائن الخارجية التي تمنع من الأخذ بالمضمون الوارد في الرواية، كمخالفتها للمشهور، ومعارضتها لما دلَّ على خروج اليماني من اليمن، وأن الروايات أمرت بالسكون حتَّى يخرج السفيناني، ومخالفتها لروايات انقطاع السفارة، ومعارضتها لروايات منع التوقيت.

ومن القرائن الخارجية أن مدَّعي الوصيَّة ادَّعى أنه اليماني، وحيث توجد في دلالة بعض الروايات مقارنة بين اليماني والسفيناني، فهذه المقارنة تُشكِّل مانعاً من تحقُّق أحدهما دون الآخر.

وهنا مانع قويٌّ يمنعنا من التمسُّك برواية الوصيَّة على فهم أحمد إسماعيل، إذ توجد نصوص متعدِّدة تصف من يخرج قبل قيام القائم أنه كذاب.

ثمَّ صدور الادِّعاءات الكثيرة من هذا الرجل - والتي ذكرنا بعضاً منها هنا - تضعه في دائرة الاتِّهام، وهو يستدعي التعامل مع ما يقول بحذر تامٍّ.

٥ - توجد جملة من المؤثِّرات تمنعنا من قبول رواية الوصيَّة ذكرناها في البحث مفصَّلاً، منها: أن الظهور لا يكفي لإثبات الدعوى الخطيرة ما لم تُرفد بالعلم دليلاً على مدَّعائها.

ومنها: أن الظهور حجَّة على صاحبه أو من ساغ له تقليده.

ومنها: أن تدبير الأمور مقنن، وأن أصحاب المشاريع الإصلاحية الكبرى سُنَّتْهم التكتُّم لا الإعلان، وكون المعجزة خيار الحالات الاستثنائية ولا أثر لها في هذه الدعوى وغيرها.



Defying False Claims and their Dependence on the Hadith of Guardianship

Sheikh Abu Muhammad Qara Guli

Translated by: Mujtaba Al-Helu

Ahmad Ismail and his companions have heavily founded their false claim upon the Hadith of Guardianship, which has been narrated by Sheikh Al-Toosi in his Gaiba. This study strives to diagnose the pitfalls of this claim and its dependence upon the above Hadith.

First, the narrational line of the Hadith is ambiguous, and the individuals who have narrated this Hadith are unknown. The point is that how is it possible to propose an entire ideological heritage upon an ambiguous Hadith and to excommunicate those who disbelieve this ideology? Moreover, there are other possible deviating factors that affect the narration of this Hadith, like misspelling in the books that have narrated it.

Second, the uncanny also withholds individuals from believing this claim. The uncanny is a common human feature that even the prophets share.

Third, in the Shia narratives, it is unfamiliar to mention certain characteristics in narrations, as in the above Hadith. This unfamiliarity opens the path for further skepticism.

Fourth, there are other irrational elements that further justifies the sceptic attitude towards the Hadith, as the for granted futuristic events of yamani who will rise from myemen. Moreover, the narrations have insisted on the Shias to halt until the uprising of Al-Sufiani. The correspondence of these two events destabilizes the validity of the forged Hadith. In the same context, other narrations emphasize that those who rise before the Debut of Imam Al-Mahdi are false forgers. Ahmad Ismail is one of those who announced his Debut before the rise of Imam Al-Mahdi, a feature that proves his invalidity.

Fifth, we may add other factors that justify our withholding from adopting this false claim as the fact that mere claim of Debut is insufficient to prove the legitimacy of this claim without supporting it with any tangible proof. Despite the prior point, the matter of Debut without any proper historical support is only a proof for Ahmad Ismail and is followers. Additionally, such grave issues maintain their legitimacy and survival through secrecy, and that miracles are the last option and cannot be employed as a resort in proving such claims.



تحصين الأنام من دعاوى الاتصال بالإمام عليه السلام

الشيخ جاسم الوائلي

بعد الاعتقاد بضرورة المهدي عليه السلام في هذه الأمة، وأنه الذي يملؤها عدلاً وقسطاً، وبعد اعتقادنا بأنه ثاني عشر أئمة أهل البيت عليه السلام، وأنه اليوم يعيش الغيبة الكبرى وقع الكلام في إمكانية رؤيته، بل وفي وقوعها أو عدم إمكان ذلك. إنَّ عدم وصول البعض إلى قطع في هذه المسألة جعله يعيش الحيرة ممَّا يسمعه من ادِّعاء المشاهدة لصاحب العصر والزمان عليه السلام، الأمر الذي يدعو الباحث إلى الوصول لحزم معيَّن في هذه المسألة، وهو ما يصبو إليه هذا البحث.

يتمحور البحث في تحقيق حال سند التوقيع المشهور الذي رواه السفير الرابع عن الإمام المهدي عليه السلام، والذي يُراد الاستشهاد بفقرة «ألا فمن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفترٍ» منه على عدم إمكانية أو عدم وقوع اللقاء بالإمام المهدي عليه السلام خلال هذه الغيبة.

وبعد الانتهاء من تحقيق هذا الأمر يتحوَّل البحث إلى ما يقتضيه مضمون هذا الحديث وما يُستفاد منه في هذا المجال، وقد تضمَّن هذا المحور ذكر عدَّة احتمالات فيما هو المراد من تكذيب مدَّعي المشاهدة وتقييمها وتقديم الراجح منها.

وتضمَّن البحث أيضاً التحقيق في صدق دعاوى المشاهدة خارجاً عن أشخاص يُوثَّق بصدقهم ويُستبعد اجتماعهم على الكذب في تلك الدعوى.

وكانت الخاتمة في هذا البحث في بيان الوظيفة الملقاة على المؤمنين تجاه تلك الدعاوى، وتأسيس أصول الموضوعية لمعرفة الصادق منها من الكاذب.

* * *



Intellectual Protection from False Claims about the Representation of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H)

Written by: Sheikh Jasim Al-Wa'ely

Translated by: Mujtaba Al-Helu

One of the fundamental Islamic beliefs is the necessary presence of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H) in the Umma. This belief also confirms the fact that one day, he will fill the earth with equality and justice. However, since his Major Occultation, there has been debates concerning the possibility of meeting him.

Because many could not reach to a decisive conclusion about the above issue, they were led astray after coming across claims of meeting Imam Al-Mahdi (P.B.U.H). Thus, this paper strives to propose a definite conclusion regarding this issue.

This study investigates the narration line of the tradition, narrated from Imam Al-Mahdi (P.B.U.H) through his fourth and last special Ambassador, stating that “whosoever claims meeting me before the debut of Al-Sufiany and the Celestial Cry, he is indeed a forger liar”. This study looks into the possibility of meeting the Imam during the Major Occultation, depending on this tradition.

This paper, moreover, studies the intended meaning of the above tradition, investigating its various probable intentions.

The paper, also, looks into the validity of claims of meeting the Imam by highly credible individuals, who are almost impossible to give false claims.

Finally, the research clarifies the expected responsibility of the faithful believers towards such claims, and also proposing certain objective features in differentiating between false and true claims.



عنصر الخفاء في القضية المهدوية

الشيخ حسين الأسدي

يكتنف الخفاء القضية المهدوية في العديد من مفاصلها، الأمر الذي أوضحت الروايات بأنه كان مقصوداً للأئمة عليهم السلام، وحتى يتمكن الفرد من التعرف على ما يرفع ذلك الغموض، فلا سبيل له إلا الرجوع لنفس الأئمة عليهم السلام في رواياتهم التي تعرضت لتلك المفردات.

ما هو السبب الذي كان وراء إخفاء يوم الظهور بالضبط؟

لماذا يخاف المهدي من أعدائه؟ ولماذا غاب عن شيعته ومحبيه؟

لماذا أخفت الروايات الشريفة المعالم التفصيلية للشخصيات الإيجابية عند الظهور؟

ولماذا خفيت ولادة المهدي عليه السلام عن أقرب الناس من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، بل وعن أقاربه إلا الأقل من القليل؟

هذه بعض المفردات التي نحتاج إلى مطالعة الروايات فيها، لنحاول أن نتعرف على أجوبة مقنعة فيها، الأمر الذي يفتح الأفق أمام ملفات مخفية عديدة من هذا القبيل. لا محيص لنا من الرجوع إلى الروايات في هذا المجال، لأنها هي ما يمكنه أن ينقل لنا التاريخ المنصرم، وأن يستشرف لنا المستقبل الموعود، وبالتالي فلا مجال للتكهّنات، ولا للاحتمالات غير المبررة ما لم يساعد عليها الدليل أو القرائن الحالية أو السياقية المحيطة بالظرف الموضوعي أو بسياق الرواية.

هذا البحث يعمل على إبداء أجوبة مناسبة لتلك المفردات، مما يساعد عليه الدليل أو ترفده القرائن، ولا يُعطى أجوبة قطعية، لأن ملاكات تلك القضايا خافية علينا، ولم يُعلن عنها تماماً، وبالتالي، فما زال هناك مجال لتوسعة البحث نقضاً وإبراماً.

* * *



The Concept of Concealment in Mahdism

Written by: Sheikh Husain Al-Asady

Translated by: Mujtaba Al-Helu

Concealment is a crucial cornerstone in Mahdism. Some traditions from Ahlulbait (P.B.U.T) justify this concept as motivating individuals to look for the truth. This search for truth will finally lead to Ahlulbait in an attempt to find answers.

There is a group of inquiries that accompany the concept of concealment in Mahdism. For example, what is the reason behind hiding the exact date of the Debut? Why Imam Al-Mahdi fears his enemies? Why has he hidden from his followers and Shias? Why have the traditions veiled the detailed features of the characters, who will have positive effects on the Debut? Why was the birth of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H) concealed from the companions and relatives of Imam Al-Askary (P.B.U.H)? These inquiries provoke us to investigate the related traditions in an attempts to find convincing answers to these and similar issues.

Accordingly, one is obliged to resort to related traditions, because only these concrete narrations could provide us with the required answers, since there is no place for foretelling or hypothesizing in this field.

This research proposes some proper answers to the above inquiries, depending upon relevant clues. However, it cannot display decisive solutions and answers, since matters of the Occult are not entirely known to us, a fact that leaves this study open to criticism.



الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة)

المرحوم الشيخ عامر الجابري

يُعَدُّ النعماني من كبار علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري، ومُنَّ أدرك نهايات الغيبة الصغرى وبدايات الغيبة الكبرى.

يظهر من بعض المعطيات - كمصاهرتة للوزير المغربي - أنَّ النعماني كان يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة، وأنَّه كان معروفاً بين الملوك والأمراء والوزراء.

تنقَّل النعماني من بلد إلى بلد في سبيل طلب العلم، والتقى بالعديد من الشخصيات العلمية المرموقة، كابن عقدة والكليني وغيرهما.

يُعتَبَر كتاب الغيبة للنعماني من أهم وأقدم منابع والمآخذ التي لا يستغني عنها الباحث والدارس للقضية المهدوية.

نقل النعماني في هذا الكتاب عن (١٨) شيخاً من مشايخه، وقد أكثر النقل عن خمسة منهم، وهم: (ابن عقدة، والإسكافي، والكليني، والبندنجي، والموصلي)، وهؤلاء المشايخ الخمسة هم المصادر الرئيسية للكتاب.

اشتمل الكتاب على فوائد أخرى، منها على سبيل المثال: التوثيقات لبعض الرواة كتوثيق ابن عقدة، أو اعتبار بعض الكتب ككتاب سُليم بن قيس، وغيرها من الفوائد المذكورة في هذا البحث.

مع أنَّ الغرض الأساسي من تأليف هذا الكتاب هو جمع الأحاديث المرتبطة بالغيبة، إلَّا أنَّه قد اشتمل على العديد من الفوائد العرضية والجانبية.

* * *



Sheikh Al-Nomany and his Al-Gaiba

Written by: Sheik Amer Al-Jabery

Translated by: Mujtaba Al-Helu

Al-Nomany is one of the greatest Shia scholars in the fourth century (A.H). He lived in a transitional era: at the end of the Minor Occultation, and at the beginning of the Major Occultation.

Al-Nomany occupied a high social status due to different reasons. He was well known among kings, princes, and high officials. He moved to different countries for the sake of knowledge. He met a number of great intellectuals of his time, like Ibn Oqda, Al-Kulainy, and others.

In Mahdism, Al-Nomany's book, Al-Gaiba, is considered one of the most important sources. He has narrated from eighteen of his masters, mostly from five who are Ibn Oqda, Al-Iskafy, Al-Kulainy, Al-Bandanijy, and Al-Musoly. These five scholars are the primary sources of this book.

It, also, attempts to justify other related fields. It authenticates some narrators, as Ibn Oqda, or other books like the Book of Sulaim bin Qais.

The primary thesis of this book is collecting related traditions and Hadiths to Occultation, in addition to other relevant studies. These issues shall be encountered in this research.



دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية

الشيخ مشتاق الساعدي

من أهمّ الأرصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليه السلام هو وجود إمام نائر عندهم، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات، وتضحيتته أمّ التضحيات، وحرارة مقتله من أشدّ المهيّجات، فتولّد لديهم بركة ثورته ما لم يتولّد عند غيرهم، وهو عنصر الإصلاح لا المصلحة دنيوية، ولو كُلف ذلك الحياة وإنّ الذلّة لا وجود لها في صفحة الحياة، إيماناً منهم بتضحياته وبكلماته.

ومن الأرصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليه السلام هو الإيمان بالإمام الغائب المنقذ الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا الإيمان هو الذي يُحفّزهم على العمل الجادّ في التمهيد لظهوره، والاستعداد للانخراط تحت قيادته، والانتظار لفرجه. فبين تراث الماضي وأمل المستقبل تكوّن الحاضر الإيمان لدى أتباع الحقّ، وتولّدت حالة معنوية عالية تمخّض منها عدّة فعّاليات وعبادات وتحركات.

ومن هذه الفعّاليات العبادية المهمّة فعّالية الزيارة الأربعينية المقدّسة، فهذه الفعّالية تميّزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدوي، لتوليد حاضر يفرض علينا واقعاً يجعلنا ننظّم أنفسنا من كلّ النواحي، استعداداً وتمهيداً لدولة الحقّ.

فالذي يطّلع على وقائع الزيارة، وما يراه من تجمهر الملايين زماناً ومكاناً وبلغات وقوميات وتوجّهات شتّى يجمعهم رجل واحد اسمه (الحسين عليه السلام) وينادون بنداء واحد هو: (اللّهُمَّ عَجِّلْ لوليّك الفرج، وسهّلْ له المخرج)، يرى بوضوح أنّ تلك الزيارة من أهمّ ممهّدات الظهور. وفي هذا البحث نقف على أهمّ تلك المعطيات التي لها دور في الظهور، وسنغنّس النظر عن ما للزيارة من أهميّة واضحة ومعطيات جمّة في المجالات الأخرى الكثيرة، لأنّ هدفنا هو التركيز على دور الأربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدويّة.

فنبين في هذا البحث الأبعاد المختلفة في صناعة المستقبل المهدوي وشخصياته، ونحاول بيان تلك الممهّدات وتطويرها، والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من الطرق العبادية التي يَتَمَسَّك بها لبناء شخصية الظهور المهدوي المقدّس، ونطرح ذلك في اثني عشر محوراً، والله وليّ التوفيق.



Arba'een and the Formation of a Mahdist

Written by: Sheikh Mushtaq Al-Sa'edy

Translated by: Mujtaba Al-Helu

One of the tremendously significant historical heritage that the followers of Ahlulbait possess is the revolutionary Imam, whose rise became a model for all the following upheavals. His revolution generated fundamental reformative guidelines that motivated his true followers to confront oppression at any cost.

One of the future aspects that keeps the Shias optimistic and motivated is their belief in a concealed Imam, whose salvation shall fill the earth with equality and justice as it was filled with oppression and injustice. This faith, in fact, keeps them sparked to create a fertile ground for the holy Debut of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H).

Thus, both the historical heritage and the future hope create a faithful present, to result in highly spiritual and reformative activities.

Among such activities is the holy march to Imam Al-Husain (P.B.U.H) in Arba'een. This ritual has connected the glorious history of Imam Al-Husain to the hopeful future of Imam Al-Mahdi. This entire process has formulated a reformative present with prepared selves.

When one makes a comprehensive perusal of this pilgrimage and the gathering of millions of people from different nationalities for the sake of one character, Imam Al-Husain (P.B.U.H), while unified in their prayers for the Debut of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H), one recognizes that this pilgrimage is a cornerstone of the preparation for the holy Debut.

This study inspects the philosophy of this march as one of the most significant demands of the Debut, disregarding other beneficial outputs of this pilgrimage. This study will focus on the role of the pilgrimage of Arba'een in preparing a fertile ground for the Debut and in its role in creating a true awaiter.

This study, moreover, investigates the different dimensions of the future that embraces the Debut. It, also, encounters the requirements of the Debut and expectations from the awaiters to pave the way for this future event. This study is constituted of twelve sections.



سلمان المحمّدي

وارتباطه بالعقيدة المهدوية

الشيخ د. علي الفيّاض

يتحدّث البحث عن فكرة مفادها إيجاد العلاقة بين الصحابي الجليل سلمان الفارسي - المحمّدي - والقضيّة المهدوية من خلال النصوص التي رويت في المجاميع الحديثية.

والبحث يقع في تمهيد بمقدّمتين: الأولى في تعريف موجز بالإمام المهدي عليه السلام والعقيدة المهدوية، والثانية تعريف موجز لسلمان المحمّدي. وأما مباحث البحث، فهي:

الأول: حول مسألة طول عمر سلمان وارتباط ذلك بطول عمر الإمام المهدي عليه السلام، مع ذكر بعض المعمرين من أنبياء وغيرهم، كما وتمّ التطرّق إلى بعض الأقوال التي تحدّثت عن عمر سلمان.

والمبحث الثاني: ذكّر فيه علاقة سلمان بالرجعة، والنصوص التي تحدّثت عن كونه يرجع مع الإمام المهدي عليه السلام.

والمبحث الثالث: يتحدّث عن مرويات سلمان في الإمام المهدي عليه السلام، سواء ما كان منها مروياً عن رسول الله ﷺ أو عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نُقِلَ فيه تسعة عشر نصّاً.

ثمّ خاتمة البحث والنتيجة حيث تمّ التطرّق فيها إلى إثبات طول عمر سلمان، وأنّه بلغ على بعض الأقوال أكثر من خمسمائة سنة، وأنّه سيرجع مع الإمام المهدي عليه السلام، وله منزلة عظيمة قد تفوق منزلة الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإثبات عدد غير قليل من روايات سلمان، فيكون البحث مفتاحاً للباحثين والمحقّقين للتحقيق حول علاقة بعض الشخصيات

الإسلاميّة بقضيّة الإمام عليه السلام ومدى ارتباط هذه الشخصيات به عليه السلام ومواقفها.



Salman Al-Muhammady and Mahdism

.Sheikh Ali Al-Faiadh, Ph.D

Translated by: Mujtaba Al-Helu

This study investigates the relationship between the Prophet's companion, Salman Al-Farsi (Al-Muhammady) and Mahdism by looking into a group of related traditions.

This research, first, proposes an abridged introduction to Imam Al-Mahdi (P.B.U.H), Mahdism, and then to Salman Al-Muhammady.

As for the goals of this study, they are:

First: investigating the longevity of Salman, and the relationship of this figure with Imam Al-Mahdi (P.B.U.H). Moreover, the research will mention some of the prophets who have been gifted with similar longevity.

Second: encountering the resurrection of Salman and his coming back with Imam Al-Mahdi (P.B.U.H).

Third: studying the traditions narrated from the Prophet and Imam Ali, by means of Salman about Imam Al-Mahdi (P.B.U.H). They are nineteen traditions.

Finally, in the conclusion, this research strives to prove the longevity of Salman, who aged more than 150 years, and that he will return with Imam Al-Mahdi (P.B.U.H). Moreover, he is believed to be higher in position than Imam Al-Mahdi's 313 companions. This research is an entry for further reading about other Major Islamic characters and their association with Mahdism.



الدعاء المهدوي

وآثاره في بناء الفكر والعقيدة

البناء التوحيدي أنموذجاً

الشيخ حميد الوائلي

من العبادات التي أولاها الشرع المقدّس اهتماماً واضحاً عبادة الدعاء، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَرُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧)، وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، ووردت مئات الروايات الحاثّة عليه، والمبيّنة لشروطه، منها: «الدعاء مخُّ العبادة»، وغيرها.

وهذا الاهتمام التشريعي يكشف أهميّة هذه الطاعة بالمطابقة، ويمثل رداً على من يُقلِّل من أهميّة الدعاء أو يُعَدِّم أثره بالالتزام.

وفي بحثنا هذا بيّنا أهميّة الدعاء وأثره في حياة الإنسان وعقيدته ومستقبله وعلاقته بالله تعالى، ورددنا على شبهات أُثيرت من هنا وهناك على الدعاء وأهمّيته.

وبيّنا أهميّة الدعاء في البناء التوحيدي للإنسان، وأنّه لا تمامية للتوحيد الإلهي إلّا بالارتباط الدعائي بالله تعالى، وإبراز الفقر والحاجة إليه.

ثمّ ذكرنا أنموذجاً لذلك، وهو الدعاء المهدوي، وضرورة جعل الإمام واسطة في الدعاء، لأنّه إمامنا الفعلي، والمؤثّر الأكبر في الكون، لكونه السبب المتّصل بين الأرض والسماء. وذكرنا نماذجاً من أدعيته لمواليه، وأدعيته على أعدائه ومناوئيه.

* * *



Mahdist Supplication in Stabilizing Faith: A Study of Monotheist Construction

Written by: Sheikh Hamid Al-Waily

Translated by: Mujtaba Al-Helu

Supplication is among the rituals to which our religion has allotted a respectable amount of attention. In this regard, Allah stated: "And say, O Muhammad, that my Lord pays attention to you only because of your invocation to Him" (Al-Furqan: 77). The Almighty Allah also stated: "And your Lord said: invoke Me and ask Me for everything, I will respond to your invocation. Verily, those who scorn My worship, they will surely enter Hell in humiliation" (Ghafer: 60). There is, also, a great heritage of traditions that invokes believers to pray to God, like: "Supplication is the essence of worship".

This tremendous divine concern about this ritual discloses its significant role in one's belief.

This study investigates the importance of supplication and its effect on individual's life. It also leaves a great impact on one's belief and his relationship with God. The study also proposes certain answers to a set of questionings.

The study also clarifies the role of supplication in forming one's monotheism, and the impossibility of gaining ultimate monotheistic understanding without honest supplication and humiliation in the presence of God.

Finally, this research presents a model for this type of honest prayers, that of Mahdist supplications. It also encounters the necessity of designating the Imam as a mediator in our prayers to God, since he is our leader and the only connection line between people and the heaven.



ضرورة وجود المعصوم عليه السلام

الشيخ اسكندر الجعفري

الحديث عن ضرورة وجود المعصوم يدخل في إطار التعرف على الإمام الذي يلزم على الأمة معرفته، إذ بمعرفته يهتدي الإنسان إلى قوام دينه، وسلامة عقيدته، وتهذيبها من الضلال، وتنقيتها من شوائب الانحراف.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لزارة: «إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حَجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حَجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي حَجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي».

ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع الذي نحن بصدد، فإن الحديث عن وجود الإمام المعصوم في هذا الزمان الذي يشهد ألواناً من الانحرافات العقائدية الخطيرة، التي يسعى أصحابها إلى تشويش الفكر الديني الأصيل، كفيل بمعالجة بعض الشبه، التي تُطرح بين الحين والآخر.

وقد تحدّث المحقّقون والباحثون في الشؤون العقائدية والمهدويّة عن هذا الموضوع كثيراً، وكتبوا في ذلك الكتب والأبحاث والدراسات والمقالات الشيء الكثير، ولكن انطلاقاً من إيماننا بأهمية الموضوع، وضرورة إشباعه بحثاً وتدقيقاً، نغتنم هذه الفرصة للحديث عن ضرورة وجود المعصوم في كلّ زمان من خلال عرض مجموعة من الروايات تصلح لإثبات ذلك، وهذه الروايات يتلخّص مضمونها بما جاء في بعضها: (أنّ الأرض لا تبقى بغير إمام).

والبحث - إن شاء الله - سيمرّ من خلال النقطتين التاليتين:

النقطة الأولى: عرض الروايات: وهي ما رواه الإماميّة، ويقع في طوائف - ثمانية، ثمّ يتبعها ما رواه العامّة في الباب.

النقطة الثانية: دلالتها: ونحدّث فيها عن بيان وفاة هذه الأخبار، وما يمكن أن يُستفاد منها في إثبات المطلوب.



The Necessary Presence of an Infallible Imam

Sheikh Iskandar Al-Jafary

Translated by: Mujtaba Al-Helu

Once people identify the real position of an Imam, they will consequently recognize his necessary presence in their life, since he is the path to the ultimate understanding of the religion.

In a narrated tradition from Imam Al-Sadiq (P.B.U.H), he tells Zurara that if you are given the chance to live during the era of Occultation, recite the following supplication: “O Allah, define yourself to me, for if you do not define yourself to me, I will not be able to recognize your Prophet. O Allah, define your Prophet to me, for if you do not define your Prophet to me, I will not be able to recognize your Proof (Imam). O Allah, define your Proof to me, for if you do not define your Proof to me, I will go astray”.

Accordingly, this study encounters this critically fundamental matter. In a time when various deceiving ideologies are dominant, studying the presence of Imam would be a relieving protection from such delusions.

A respectable number of thinkers and intellectuals have proposed different studies regarding this subject. However, I have chosen to inspect the necessity of the presence of an Infallible Imam at any time through investigating a group of traditions that concern this subject.

This research is divided into two parts: first, I will carry out a perusal of relevant traditions from both Shias and Sunnis. Second, I will make a contextual study of the traditions to disclose their real intended meaning.



انتظار الفرج وأثره في الحد من الآفات الاجتماعية

محمد باقر آخوندي

ترجمة: حسن علي مطر

يعتصرنا الألم جميعاً لكثرة الانحرافات الاجتماعية، والضياع الأخلاقي، وتزايد حالات مظاهر الفساد، وضعف التمسك بتعاليم الدين.

فالانتشار الكبير للآفات الاجتماعية يتطلب منا وضع الحلول الجذرية لهذه الظاهرة، ومعالجتها من خلال السيطرة والرقابة الاجتماعية، ومن خلال تقوية حسّ الانتماء إلى المجتمع والقيم الذي تُوجد فيه، ورفع الرصيد الاجتماعي لدى الأفراد، ووضع المعايير الأخلاقية والقيم السوية التي تأخذ بأفراد المجتمع إلى بناء نفوسهم وتكميل ذواتهم، ومن ثمّ السيطرة على الآفات المستشرية في مجتمعاتهم.

وفي هذه الدراسة نُقدّم انتظار الفرج كطريق لبعث الأمل والقضاء على الآفات والانحرافات، لأنّ التفاؤل بالمستقبل من أهمّ العوامل في إيجاد الحيوية في المجتمعات، والقضاء على المشاكل، والإسهام في طريق إصلاح الأشخاص من خلال ما يُمثله انتظار الفرج من آلية لتمهيد الأرض وتوظيف القيم والتعاليم في بناء الفرد والمجتمع. وكذلك يسهم في رفع آلية مستوى الرقابة والسيطرة على المجتمعات ممّا يسهم في زيادة الوعي، وتنامي الثروة البشرية، وتعزيز الانتماء الاجتماعي، وضبط الأخلاق في مساراتها.

فهذا البحث يعالج من خلال مقولة انتظار الفرج المشاكل الاجتماعية، ويضع هذه المفردة كعلاج ناجع دائم تُضمّن به نتائج عالية وتكاليف أقلّ.

* * *



Awaiting the Debut: A Protection from Social Lesions

Muhammad-Baqer Akhondy

Translated into Arabic: Hasan Ali Matar

Having recently observing moral degeneration, corruption, and great distance from pure Islamic instructions, one gets wounded spiritually. Such a spread of social lesions challenge us to propose fundamental solutions, through various strategies, as moral observation over deviated behaviors and stabilizing ethics in the society to pave the way for individuals' perfection. This could be a pivotal method in confronting moral degeneration.

This study, thus, proposes the concept of 'awaiting' as a solution to decadence. Awaiting also represents hope, a social condition which results in an optimistic future. Consequently, this optimism motivates the members of the society to confront moral declination to prepare a fertile future. This optimism motivates the members of the society to confront moral declination and work on social reformation, finally to result in a bright future.

Thus, this study proposes the concept of 'awaiting' as an ultimate solution to moral challenges and social lesions.



المحتويات

٥	التمهيد الأربعيني
١١	ردُّ الاستدلال برواية الوصية على دعوى المهدوية
٦٩	تحصين الأنام من دعاوى الاتِّصال بالإمام عليه السلام
٩٩	عنصر الخفاء في القضية المهدوية
١٤٥	الشيخ النعماني وكتابه (الغيبة)
١٧٣	دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية
٢٠٧	سلمان المحمّدي عليه السلام وارتباطه بالعقيدة المهدوية
٢٢٧	الدعاء المهدوي وآثاره في بناء الفكر والعقيدة
٢٦١	ضرورة وجود المعصوم عليه السلام
٢٨٩	انتظار الفرج وأثره في الحدّ من الآفات الاجتماعية
٣٢٥	خلاصة البحوث والترجمة

